



الأدب العصري في العراق العربي

رفائيل بطي

الأدب العصري في العراق العربي

القسم الأول (المنظوم)

تأليف
رفائيل بطي



الناشر مؤسسة هنداوي سي أي سي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي سي أي سي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره،
وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: خالد المليجي.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٥٠٩ ٩

جميع الحقوق الخاصة بالإخراج الفني للكتاب وبصورة وتصميم الغلاف
محفوظة لمؤسسة هنداوي سي أي سي. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا
العمل خاضعة للملكية العامة.

Artistic Direction, Cover Artwork and Design Copyright © 2018

Hindawi Foundation C.I.C.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

١١	الجزء الأول
١٣	كلمة
١٥	ملاحظات ثلاث
١٧	جميل صدقي الزهاوي
٦٥	معروف الرصافي
٨٧	عبد المحسن الكاظمي
٩٩	رضا الشيببي
١١٣	محمد حبيب العبيدي
١٣٩	خيري الهنداوي
١٦١	كاظم الدجيلي
١٨٩	الجزء الثاني
١٩١	بيان موجز
١٩٣	ملاحظتان
١٩٥	علي الشرقي
٢٠٥	محمد الهاشمي
٢٣٣	عبد الحسين الأذري
٢٤٩	محمد الحسين كاشف الغطاء
٢٦٥	محمد مهدي البصير
٢٨٩	باقر الشيببي

الأدب العصري في العراق العربي

٢٩٧

٣١٣

٣٢٣

محمد حسن أبو المحاسن

محمد السماوي

عبد العزيز الجواهري



صاحب الجلالة الملك فيصل الأول، ملك العراق.



رفائل بطي، مؤلف الكتاب.

الجزء الأول

كلمة

هذا كتاب جديد، أردت بتأليفه إبراز صورة مجسمة للأدب العصري في العراق، وتبيان الطريقة التي يتبعها شعراؤنا وكتابنا في نَظْمهم ونثرهم، فما أحوَجنا اليوم إلى درس أدبائنا ونقد أساليبهم، وقد تطورت الآداب العربية في مصر والشام والمهجر بطورٍ جديدٍ يُلائم روح العصر الحديث! عسى أن يكون لعراقنا نصيب من هذا التطور؛ حينذاك يتضح الغرض الذي قصدت إليه في كتابي هذا.

بغداد: ١ أيلول، ١٩٢٢

رفائيل بطي

ملاحظات ثلاث

- (١) يُقسم هذا الكتاب إلى قسمين في أربعة أجزاء: اثنان للمنظوم واثنان للمنتور، وقد خُصَّ كلُّ جزأين من الكتاب بقسم.
- (٢) لم يَتَسَنَّ لي درسُ أدبائنا كلُّهم درسًا مُدَقَّقًا؛ لذلك أسهبتُ في تعريف بعضهم، وأوجزتُ في ذكر الآخرين.
- (٣) كان بوذي أن أفتتح الكتاب بنبذة في الأدب قديمًا وحديثًا، وبالخاصة في العراق، لكنني رأيتُ أخيرًا تركَ ذلك إلى كتابٍ خاصٍّ أوَّلَّفه في نقدِ الأدبِ العصريِّ في العراق العربي.
- المؤلف

جميل صدقي الزهاوي



جميل صدقي الزهاوي.

فيلسوف عربي، انكشفت له من الحياة أسرار، فأودعها شعره الراقى ونثره المتين.
نابغة من ذوي العقول الكبيرة، خلب لبّه نظامُ هذا الكون فراح يفكر في معجزاته
غير مُعتمِدٍ في تفكيره على أجنبي.

شاعر سبّاق في حلبة البلاغة، يُصوّر ما يخفق به قلبه في أبياتٍ عامراتٍ وقوافٍ مُحكمات، وينظم منثورات الحقائق العلمية في قلائد شعرية ليجمع بين العلم والفن. لم ينفرد ببحث، بل أحبَّ أن يستجمع حبل الأبحاث التي لم يفتح الله بها على قلوب وطنييه؛ فنبد هؤلاء أفكاره أولاً وضربوا بأقواله عرض الحائط — وهذا شأن النوابع والمصلحين — حتى إذا ما انبعثت إلى نشئهم الحديث أنوار التهذيب من كوى العلم، تجلت لهم محاسن أفكاره فأكبروها، وتبينوا قدر أقواله فصفقوا لها تصفيقاً عالياً؛ فهو اليوم شاعر الشبيبة الناهضة على شيخوخته.

نشأ الزهاوي في بيئة تصوحت أزاهير الأدب فيها بعد الازدهار، ودرست معالم العلم بعد أن ناطحت بعلوها أجواز الفضاء، فراحه الجمود الهائل المستولي على الفهوم والأقلام، واستنكر الطريقة البالية التي يتبعها النظمون في بنائهم الأبيات، مُقلّدين غير مُبتكرين ينسجون على منوال الشعر للسالفين من غير ما تأثر بالروح الجديد، فلم تأنس روحه الناهضة بهذه الحطة، وعزَّ على عقله المتوقد ذكاءً أن يبقى مصفّداً بأغلال التقليد؛ ففر إلى حيث يغرد له فؤاد في شواهد صروح الفن الحديث، بعد أن فك الأغلال وحطم القيود، داعياً قومه إلى النهضة والانتعاش في الفكر والقول والعمل.

نزل إلى الميدان؛ ميدان مكافحة القديم البالي، ليطرده ويحل مكانه الجديد العصري، وهو لا يملك غير فؤاد حساس، وفكرٍ ناضجٍ وقلمٍ محدد، فتجافى عن المديح والتثناء، وكفكف دموع الرثاء والبكاء على الطلول الهمد، ونظم في أبوابٍ من الشعر جديدة، مخرجاً للناس قصائد تحوي روائع المعاني، مُتبعاً في نظمه السنن المُستحدث، كما أنه أغار على العادات السقيمة والأخلاق المنحطة، التي كوّنتها في مجتمعه عصور الانحطاط، فمزقها أيّ ممزق، ورأى ذلك المخلوق اللطيف — المرأة — أسيراً بدار الظلم أعياء أسره، واستبد به، فعز على مروءته إهمالها؛ فجرد لذلك قلمه البليغ، وكتب في الدفاع عن حقوق ضلع الرجل مقالات، ونظم قصائد أقامت العراق، بل الشرق العربي، وأقعدته، وقد نكب بمحن صعبة من جراء نصرته للجنس الضعيف، فإذا تسنى لابنة العراق أن تنتبه غداً من رقدتها، وتبلغ ما بلغته أختها السورية أو المصرية من الرُقي، فلتذكرن فضل «الجميل» عليها، ولتغنّ بشعره الخالد الذي نظمه في المطالبة بحقوقها المسلوقة.

شغف الأستاذ الزهاوي بالعلوم الطبيعية في شبابه، فشرع يطالع ما تكتبه المجلات العلمية في هذا الباب وفي مُقدمتها «المقتطف»، مطالعةً الباحث المُنقب، يُريد إدراك أسرار الوجود،

ثم أظهر نتيجة درسه للطبيعة في كتابه «تعديل الجاذبية»، الذي جاء فيه غير مُترجم عن أجنبي — وهو لا يُحسن لغة أجنبية — ولا ناقل، بل أبرز به ثمرةً من ثمار القرائح الشرقية. ومع أنّ جُلّة العلماء الغربيين والشرقيين لم يُوافقوه على آرائه تلك، فحسبه فخرًا أنه أول عربي هجر التقليد، وحاول حل غوامض العلم الطبيعي مُعتمداً على عقله وحسه.

وهو ابن العلامة محمد فيضي الزهاوي مُفتي بغداد، ينتسب أبوه إلى أمراء الأكراد من آل بابان، وهؤلاء يمتون إلى خالد بن الوليد (رضي الله عنه)، وكذلك أمه فيروزج، فهي من أسرة كردية كريمة، وأمّا شهرته بالزهاوي فنسبة إلى «زهاو»، أحد أعمال ولاية كرمناشا الفارسية، كانت موطن جدته لأبيه.

وُلد جميل صدقي في بغداد، في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٧٩ هجرية، يوم الأربعاء الموافق ١٨ حزيران سنة ١٨٦٣ ميلادية، وهو اليوم في الستين من عمره نحيف البدن لا يستطيع أن يمشي على رجله أكثر من بضع دقائق؛ لذلك قد اتخذ له أتاناً بيضاء يقطع عليها الشوارع عندما يسير من محل إلى آخر، ويشكو فوق آلامه الروحية ألماً عصبية قد برحت به.

عُيّن المترجم قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره في ٢ تموز سنة ١٣٠٣ هجرية عضواً في مجلس المعارف في بغداد، ثم مديراً لمطبعة الولاية فيها في ١ نيسان سنة ١٣٠٦ هجرية، ومحرراً للقسم العربي من جريدة «الزوراء» الرسمية، وانتُخب بعدها عضواً لمحكمة الاستئناف في بغداد في ٥ نيسان سنة ١٣٠٨ هجرية.

وقد أصابه في سن الخامسة والعشرين داء عضال في نخاعه الشوكي سلبه الراحة، ولم يبرأ منه إلى الآن برغم معالجة نُطس الأطباء له، كما أنّ رجله اليسرى أصيبت بشللٍ وهو في الخامسة والخمسين من عمره.

وكبر شأنه بعد سفره إلى الأستانة سنة ١٨٩٦، مدعواً إليها بإرادة سُلطانية، فمرَّ في طريقه بمصر حيثُ قابل نُخبة من أكابر العلماء وأساطين الأدب، أمثال الدكتورين يعقوب صروف وفارس نمر صاحبي «المقتطف»، و«المقطم»، والدكتور شبلي شميل، وجرجي بك زيدان مؤسس الهلال، والشيخ إبراهيم اليازجي الشهير، ولقي منهم كل حفاوة.

ذهب إلى الآستانة فأخذ الجواسيس يتأثرونه، ولمّا علم السلطان عبد الحميد أنّ عدداً من محرري الجرائد يترددون عليه أوجس منه خيفة، وأوعز إلى أبي الهدى الصيادي ألا يغفل عنه، وأراد الأستاذ الزهاوي بعد سنة أن يرجع إلى بغداد؛ فإذا السلطان يأمره بإرادة سنية أن يلحق بالبعثة التي كانت قد تألفت هناك للذهاب إلى اليمن لإصلاحه؛ فذهب إليها ورجع بعد سنة إلى الآستانة، وأحسن السلطان مكافأته على خدماته بالسام المجيدي الثالث، ورتبة (البلاد الخمس الموصلة)، ورأى في رجوعه أنّه لم يزل محاطاً بالجواسيس فساءه ذلك، وطلب الرجوع إلى وطنه فلم يُسمح له خشية أن تكون وجهته غير بلاده. وقد قاسى بعد رجوعه إلى الآستانة الأمرين، حتى ضاق صدره فنظم قصيدة يذم فيها سياسة عبد الحميد وسلوكه، منها:

أيأمر ظلُّ الله في أرضه بما	نهى الله عنه والرسولُ المبجلُ
فيُفقر ذا مال وينفي مبراً	ويسجن مظلوماً ويسبي ويقتلُ
تمهّل قليلاً لا تغضُ إنه إذا	تحرك فيها الغيظ لا تتمهّلُ
وأيديك إن طالت فلا تغترّز بها	فإنَّ يد الأيام منهن أطولُ

وأنشدها أبا الهدى في داره، وهذا كتب بها تقريراً إلى السلطان؛ فكان ذلك سبباً لسجنه مع الشهيد العربي المرحوم عبد الحميد الزهاوي، وصفا بك الشاعر التركي الشهير، ثم نفيه إلى بلاده.

وكان بعد رجوعه من الآستانة إلى مدينة السلام، أنّ أحد رؤساء الوهابية في بغداد أخذ يُحرض عليه الحكومة تارة، بحجة أنّه يطعن بسياسة السلطان عبد الحميد، وطوراً يرميه بالكفر والزندقة، وذلك على عهد عبد الوهاب باشا الألباني والي بغداد، وكان الوالي هذا يُعاديّه، فكتب إلى المراجع يطلب إبعاده عن الديار العراقية إلى بلاد قَصِيّة، فاضطرّ الأستاذ إلى أن يؤلّف كتابه «الفجر الصادق» في الرد على الوهابية، مُصدِّراً إياه بمدائح السلطان عبد الحميد مخافة أن يناله المعتدون بسوء، وتبكيّاً لذلك المحرض الوهابي.

ولما جاء الدستور أخذ الأستاذ جميل الزهاوي يخطب في الناس، ويعلمهم فوائده وحسناته.

ورحل المترجم في السنة الأولى من الانقلاب العثماني إلى القسطنطينية، فعُين في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٣٢٤ هجرية أستاذًا للفلسفة الإسلامية في أكبر مدارسها، وهو المكتب الملكي، وعُين كذلك في تشرين الثاني سنة ١٣٢٤ هجرية مُدرِّسًا للآداب العربية في فرع الآداب من جامعة «دار الفنون»، وكان يكتب في أوقات فراغه في مجلات الآستانة التركية مقالات فلسفية حتى اشتدت عليه أمراضه بعد سنة، فهاجه ذكر الوطن المُحَبَّب فقصده وجاء الزوراء، فعُين مُدرِّسًا للمجلة في مدرسة الحقوق فيها، وظل يُواصل «المقتطف»، و«المؤيد» بالقصائد والمقالات حتى نشر مقالته الشهيرة في العدد الـ ٦١٣٨ من «المؤيد» بعنوان «المرأة والدفاع عنها»، فأحدثت ضجة كبرى في العالم العربي الإسلامي، فهاج الناس لها وماجوا في بغداد، وأشاعوا بأنَّ الكاتب تحامل على الشريعة الغراء، وذهبوا متجمهرين في ٢٨ أيلول سنة ١٣٢٦ هجرية إلى والي بغداد، وهو يومئذٍ ناظم باشا، يطلبون إليه عزل الكاتب من وظيفته، وساعدهم في طلبهم أحد مبعوثي بغداد، فأقاله الوالي، واشتدَّ سخط الجمهور عليه في هذا الحين، حتى اضطرَّ الأستاذ إلى مُلازمة داره خوفًا من الاغتيال، جرى ذلك في ظل الدستور، وشمسُ الحرية ممدودة الظل، وكان فيمن نصر الأستاذ الزهاوي في محنته هذه الدكتور شميل والمرحوم ولي الدين بك يكن في مقالات نشرها في «المقطم»، وغيرهما في سورية ومصر.

وفي هذه الآونة نشر الزهاوي في بغداد كتابه «الجانبية وتعليها»، ثم ألف رسالة «الدفع العام والظواهر الطبيعية والفلكية»، ونشرها في «المقتطف».

وأعيد إلى تدريس المجلة في مدرسة الحقوق في بغداد على عهد جمال باشا واليها، ثم انتُخب نائبًا عن المنتفق، فذهب إلى الآستانة، وأقفل المجلس بعد أشهر من اجتماعه فعاد الأستاذ الفيلسوف إلى وطنه، وما لبث أن انتُخب نائبًا عن بغداد فذهب إلى دار الملك العثماني ثانية، وقد دافع في البرلمان العثماني دفاع الأحرار عن حقوق العرب في مواقف عديدة؛ مما نَمَّ على وطنيته الصادقة. وكان في بغداد حين الاحتلال البريطاني، فعُين في حكومة الاحتلال المؤقتة عضوًا في مجلس المعارف براتب زهيد، ثم عُين بعد مدة طويلة رئيسًا للجنة ترجمة القوانين العثمانية، والحق يُقال إن تلك الحكومة المؤقتة لم تُقدِّر علم الأستاذ الزهاوي وفضله؛ إذ لم تُسند إليه منصبًا خطيرًا يليق به، وهي معذورة في عملها لأنها كانت تُعيِّن الموظفين — وبخاصة الكبار منهم — لغايات سياسية حسبما تقتضيه الظروف، فلا تنظر في تعيينهم إلى مقدرة أو تزلُّع من علم أو خبرة في أمر.

وكذلك كان نصيب الأستاذ الزهاوي في العهد العربي؛ فبعد أن توقّع القوم أن يُسند إليه منصب خطير، ظلّ من غير وظيفة حتى كتابة هذه السطور.

قال الزهاوي الشعَرَ بالعربية والفارسية وهو صبي، وأجاده فيهما بعد أن صافح الثلاثين، ولم ينشر شيئاً مذكوراً من شعره قبل هذا العمر، بل بقي متوغلاً في درس العلوم الحديثة والفلسفة، حتى ذاع أمره في أقطار الضاد كلها.

وتجلت عبقريته الشعرية بعد أن رجع من الآستانة إلى بغداد منفياً؛ فإنه طفق ينظم القصائد الشيقة الواحدة تلو الأخرى، ويذيعها بتوقيع مُستعار في «المقتطف» و«المقطم» و«المؤيد».

وظلّ الفيلسوف الشاعر ينظم الشعر، وأكثره بموضوع فلسفي أو اجتماعي، مُستنهضاً به أُمته العربية، يريد إيقاظها من رقدتها نحو عشر سنوات، وقد أحدثت قصائده انقلاباً في الأدب؛ فدخل في طرّز جديد لم يُعهد قبله، فأخذ الشعراء يحذون حذوه في نَظْم المعاني المستحدثة، وقد كان لشعره تأثير عظيم في البلدان العراقية، وبخاصة في بغداد، مع أنّه لم يبده الإبداع كله إلا في سنواته الأخيرة.

أمّا شعره فمن أعلى طبقات الشعر العصري، لا تجد فيه تعقيداً أو ألفاظاً غريبة كثيرة، تغلب عليه الحكم والأمثال، مع جزالة في اللفظ ومثانة في الأسلوب، يحلي كل ذلك شعور رقيق، وحس دقيق، وعواطف مُتقدّة، ومذهبه فيه مذهب العالم يريد تقييد حقائق العلم بسلاسل النظم، والفيلسوف يصف الحياة ووجوهها بشعر غال، والحكيم الاجتماعي يضع قواعد العمران في أبيات مرصفة القوافي مُحكمة الأوزان.

ولقد كان حياة المرأة الشرقية نصيب وافر من آماله وآلامه في شعره، كما أن غادته السحرية الفتانة هي «ليلي»، فهي بطل أشعاره لا يزال يتغزل بها، ويتشبه ويئن ويتوجع لفراقها وبينها، وقلما خلت قصيدة له طويلة من ذكراها وذكر محاسنها.

وهو يحسن غير العربية الفارسية والتركية والكردية، ولا يرغب في ترجمة شيء من اللغات التي يُحسنها، وله اطلاع في أكثر العلوم والفنون الأدبية، كما يظهر ذلك من شعره.

ولم يتفرد المترجم بنظم الشعر بل جال في ميدان النثر، وقد نشر مقالات عدة في «المقتطف» وعمره بين الثلاثين والخامسة والثلاثين، وكذلك نشر رسالته في «الخط الجديد»، ورسالته

الثانية «سباق الخيل» في «الهلال»، وكتب بعد أن نُفي من الآستانة ورجع إلى بغداد مقالات فلسفية خطيرة، مُرتئياً في حقيقة هذا الكون غير ما يرتئيه فلاسفة عصره، داعماً آراءه بأدلة بناها على العلوم العصرية.

وكتب مدة إقامته في الآستانة بعد إعلان الدستور مقالات فلسفية كثيرة باللغة التركية نشرتها مجلات «فروق»، وعلقت عليها من وصف صاحبها ما دل على تقديرها لنبوغها. ونثر الزهاوي بليغ يُحاكي شعره، انتحى فيه طريقة خاصة به؛ فهو من أرقى النثر وأمتنه، يبتعد فيه عن تقعُّرات المقلدين وأسجاع المُتكلفين من بقايا طلبة المدرسة العتيقة، مع اتساق الأسلوب، وبلاغة في التركيب، وخطه غير جميل شأن كثير من المشاهير، وقد أثبتنا نخبة من نثره في «قسم المنثور» من كتابنا هذا.

لم يدرس الأستاذ الزهاوي في مدارس تسير على النمط الحديث، ولم يلج الجامعات الكبرى في أوربة أو أميركة، ولا تعلَّم لغة أجنبية، بل هو بحدّة فؤاده وتوقُّد ذهنه وعلو همته وانكباه على المطالعة بجلد عظيم أحرز كثيراً من العلوم والفنون، وهو بهذا الاعتبار يُعد من النواخب الأقدان. ولقد قال من عرفه حق المعرفة إنه لو تيسرت له المُعدات اللازمة من درس وبيئة، لآتى بما لا يقل عن مآتي نبغاء الغرب.

وهو اليوم شيخ مُسن يعيش عيشة بسيطة بينما تجده مُلقى على سريره في داره، يناجي إلهة الحب والشعر والجمال، ساعة يستنزل الوحي ليُضمّنه آياته الشعرية، تراه بعدها في إحدى قهوات بغداد يلعبُ بالداما أو النرد، أو تلقاه في نادي أدب وظرف، وقد التّف حوله القوم على اختلاف مراتبهم، يُلقى عليهم من لطائفه ما يسرهم ويكبره في عيونهم. وإذا ما جلس في مجلس أصحابه الأخصاء، تراه يداعب جلساءه وينشدهم في فترات متقطعة شيئاً من شعره القديم أو الحديث على الأكثر بصوته المتهدج وقهقهته التي تكشف عن سلامة قلبه، وله في تلاوته شعره تمثيل خاص يسترعي أذهان السامعين، تدنو منه فتقرأ على وجهه الناحل وفي عينيه البرّاقتين وأسارير جبهته أثر الاشتغال الطويل بالأشغال العقلية، وشعره الأشمط المُتدلي على فؤديه ولحيته الخفيفة يُمثلان لك زهد الفلاسفة وتقشّفهم، وكذلك ملابسه. يفرط في شرب الدخان باللفافة، ويدخن النرجيلة في القهوات والمجتمعات العامة. له في المجتمع البغدادي، بل العراقي، مقام أدبي كبير، وقد ولع أخيراً بمطالعة الروايات الغربية التي تترجم في مصر فيبتاع منها كل ما تصل إليه يده ويظالها في خلواته.

وهو أنيس المحضر، لا يتكلف في قعوده وقيامه، تزوج ولم يُرزق ولدًا، وبما أن نفسه طمّاحة إلى آمال كبيرة لم يُوفَّق إليها تجده حانقًا على الحياة وأبنائها، وعنده في داره كلب أسود دعاه «ولك»، هو بمقام قطة الدكتور شمیل البيضاء — التي اشتهرت بقصيدة طانيوس عبده — وله من أوراق الفيلسوف الشاعر ومنظوماته ما يلهيه.

اشتغل صاحب الترجمة بمؤلفات عديدة وأنجزها، كما أن له من قصائده الكثيرة ما يملأ بضعة دواوين، وما نحن ذاكرون مؤلفاته مبتدئين بالمنظومة منها:

(١) ديوان الكلم المنظوم: هو أول دواوين الزهاوي يتضمن أوائل شعره إلى إعلان الدستور العثماني، وقد طُبع ونُشر في بيروت في أول سنة الدستور، لكنه مع الأسف لا يدل على شاعريته، كما أنه مشوّه بالأغلاط المطبعية وغيرها، وقد هدّبه ناظمه وصحّحه على نية تجديد طبعه.

(٢) ديوان بعد الدستور: هو ثاني دواوينه يجمع شعره من إعلان الدستور حتى الاحتلال البريطاني للعراق، وهو من طبقة أعلى من الديوان الأول (معد للطبع).

(٣) ديوان هواجس النفس: هو ديوان الزهاوي الثالث، ويحوي نظمه منذ الاحتلال البريطاني للعراق حتى بداية صيف سنة ١٩٢١، وفي هذا الديوان والذي يليه أحسن شعر الأستاذ الزهاوي (معد للطبع).

(٤) ديوان بقايا الشفق: أودع المترجم هذا الديوان الرابع شعره الذي نظمه من بداية صيف سنة ١٩٢١ إلى يومنا هذا (معد للطبع).

(٥) رباعيات الزهاوي: تتضمن المثنيات التي نظمها الشاعر الفيلسوف الزهاوي في مطالب متنوعة، عارض بها أبا العلاء وعمر الخيام، وأبلغها المائة والألف، وهي أقسام أربعة من بحور قصيرة، وقسم خاص من بحور مُختلفة. أمّا المطالب التي نظم فيها فهي اثنا عشر مطلبًا: الغراميات، البؤس والشقاء، الشعر والشعراء، الإنهاضيات، الأخلاقيات، السياسيات، الفلسفيات، الاجتماعيات، الطبيعيات، الوصف والخيال، الشك واليقين، الجد والهزل. وما أبدع قوله في إهدائها:

أهديها إلى الأجيال الآتية، إلى الذين سوف يعيشون في بغداد غير بغداد هذه،
وأنا يومئذٍ تراب صامت.

(٦) ديوان الشذرات: مجمعة تتضمن مختارات دواوين الزهاوي كلها (على وشيك الطبع).

(٧) ديوان نزغات الشيطان: يُقال إن للزهاوي الفيلسوف الناظم ديواناً آخر بعنوان «نزغات الشيطان»، وعنوانه يدل على موضوعه.

(٨) عيون الشعر: مجموعة تقع في نحو ٢٠٠٠ بيت اختارها الأستاذ الزهاوي من المجاميع الأدبية، ودواوين الشعراء على اختلاف عصورهم، وقسمها إلى أبواب جديدة في الشعر، وقد نُشرت فصول منها في بعض الصحف العراقية.

(٩) كتاب الكائنات: ألّف المترجم كتاب الكائنات في الفلسفة في عنفوان شبابه ونشره سنة ١٨٩٦م، وهو يأسف أن جاء هذا الكتاب غير محكم الإنشاء لأنه من أوائل مؤلفاته. وقد قال فيه بابتناء جواهر المادة من قوَى دقيقةٍ تدخل فيها وتخرج على الدوام، وهي الإلكترونيات.

(١٠) كتاب الفجر الصادق: ألّفه في الرد على مذهب الوهابية، وطُبع ونُشر في مصر سنة ١٣٢٣ هجرية، وقد ألّف علماء الوهابية ردوداً عديدة عليه شحنوها بالسب والطعن في المؤلف.

(١١) كتاب الجاذبية وتعليلها: كتاب فلسفي في الحكمة الطبيعية نشره مؤلفه قبل ١٢ سنة، وذهب فيه مذهباً يُخالف مذاهب حُكماء عصره أجمعين مرتئياً أن المادة لا تجذب المادة، بل أن المادة تدفع المادة، وأبان أن الحجر الذي يسقط على الأرض لا يسقط لجذب الأرض إياه بل لدفع المواد في السماء إلى الأرض، وأورد على ذلك أدلة ذات شأن مبنية على قواعد العلم. وقد كتبت مجلة «المقتطف» في نقد الكتاب والرد على ما جاء فيه من الآراء، فأجابها المؤلف برد على نقده، وهكذا تكرر النقد والرد مرتين.

(١٢) الدفع العام والظواهر الطبيعية والفلكية: رسالة نُشرت قبل ١٣ سنة تباغاً في الأجزاء ١ وال ٢ وال ٣ من المجلد ال ٤١ من «المقتطف»، أيّدها ما كان يذهب إليه من وضع الدفع مقام الجذب لتعليل ظواهر الكون، وصار يعلل أنواع الجاذبيات بناموس واحد؛ وهو دفع المادة للمادة بسبب إلكتروناتها التي تشعها بكثرة، وأخذ يُعلل بمبدئه المدّين المتقابلين في وقت واحد على الأرض؛ مما كان يعجز عن تعليله العلماء على مبدأ الجذب، وقد أوضح المؤلف في هذه الرسالة سبب ارتباط النظام الشمسي ببعضه ببعض، وقال بتولد الحرارة والنور في الشمس من الأثير المنعكس عن مراكزها بعد جريانها إليها، حفظاً للموازنة التي لا تزال تختل بطرد الإلكترونيات له من بين الجواهر في كل

جسم، مُبيناً أن هذا الأثير الجاري إلى الأجرام هو الذي يدفع الأجسام إليها، فيزعم العلماء هذا الدفع الخارجي جذباً داخلياً، ويبيّن بمبدئه سبب حدوث الزلازل، وشرح حالات ذوات الأذناب، وأماط اللثام عن توجّه أذنابها إلى خلاف جهة الشمس، وعن سبب ابتعادها عن الشمس بعد أن تدور حولها دورة ناقصة، وعن بقاء القوة، وعن حقيقة الشمس، وقال بانحلال الشموس إلى السدم منكرًا تولدها منها.

(١٣) محاضرة في الشعر: ألقى الأستاذ الزهاوي محاضرة نفيسة في الشعر في المعهد العلمي في بغداد سنة ١٩٢٢، بطلب من المعهد، كان لها أعظم وقع، وضاق المعهد بالسامعين، وقد نُشرت تبعاً في جريدة العراق البغدادية، وجمعت مع ترجمة الأستاذ ورسمه في كتاب «سحر الشعر»، الذي جمعه كاتب هذه السطور وطُبع سنة ١٩٢٢ في مصر، وهو يتضمن مقالات وقصائد في الشعر والشعراء لنخبة من أكابر الأدباء المعاصرين. (١٤) كتاب في ألعاب الداما: مؤلف في ألعاب الداما جمع فيه ٥٠٠ لعبة لغيره من المشاهير، و١٠٠٠ لعبة من مخترعاته، واستنبط لتصوير هذه الألعاب طريقة بالأرقام، فاستغنى عن خط الجداول، ووضع الحجارة في شكلين؛ فقدر بذلك أن يضع بضعة أرقام، ويدل بها على وضع أحجار الخصم ووضع أحجاره، وكيفية تحريك أحجاره، ليستولي على أحجار خصمه.

(١٥) حكمت إسلامية درسلي: هي الدروس التي كان يلقيها الأستاذ في الفلسفة الإسلامية، على طلبة المكتب الملكي، في الأستانة نشرتها مجموعة «دار الفنون» هناك.

وقد ترجم زهاء ١٧ قانوناً بين كبير وصغير من القوانين العثمانية لما كان رئيساً للجنة ترجمة القوانين في بغداد، في حكومة الاحتلال المؤقتة.

كان بؤدنا أن نبحت في فلسفة الأستاذ الزهاوي، وننظر في أقواله وآرائه، غير أننا أحجمنا عن هذا لأسباب كافية، وقد أودعنا كل ذلك كتابنا «فيلسوف بغداد في القرن العشرين»، الذي ضمّناه ترجمة مطولة للأستاذ جميل صدقي الزهاوي، وبحثاً مُسهباً في شعره وفلسفته وأعماله على الأسلوب الحديث، وقابلنا بينه وبين النواياح العرب، والإفرنج من معاصريه، فهو بهذا الاعتبار تاريخ العلم والأدب في العراق، بل في العالم العربي في هذا الطور، والكتاب لا يزال مخطوطاً.

وإليك نخبة من شعره:

(١) النائحة

وهي قصيدة في رثاء من شق الاتحاديون في سورية من أفاضل العرب.

على الأعواد

على كل عُودٍ صاحبٍ وخليلاً
وفي كل جنبٍ مأتمٍ ومناحة
وفي كل عينٍ عَبرةٌ مُهراقة
علاها وما غير الحمية سلم
كأن وجوه القوم فوق جذوعهم
كأن الجذوع القائمات منابر
سموٌ كما شاءت نزار لولدها
لقد ركبوا كور المطايا يحثهم
أجالوا بهاتيك المشانق نظرة
وبالناس إذ حفوا بهم يخفرونهم
يرومون أن يلقوا عدولاً فينطقوا
دنوا فرقوها واحداً بعد واحدٍ
فمن سابق كي لا يُقال مُحاذر
ولله ما كانوا يحسُّون من أدَّى
وإن قُربوا منها وما سعدوا بها
وما هي إلى رجفة تعتري الفتى
رجال عليهم من سنى الفضل رونق
ألَمَّت من الترك الرزايا بهم كما
مشوا في سبيل الحق يحدوهم الردى
ستبكي على تلك الوجوه منازل
وأعظمُ بخطب فيه للمجد شقوة

وفي كل بيتٍ رنةٌ وعويل
وفي كل صوبٍ مُقصدٌ وقتيل
وفي كل صدرٍ عِبرةٌ وغليل
«شبابٌ تَسامى للعلَى وكهول»
نجومٌ سماءٍ في الصباح أفول
علت خطباء عودهنَّ تقول
وبعد كما شاء الفخار وطول
إلى الموت من وادي الحياة رحيل
يلوح عليها اليأس حين تجول
وقوفاً وفي أيدي الوقوف نصول
وهيهات ما في الحاضرين عدول
وقالوا وجيزاً ليس فيه فضول
ومُستعجل كي لا يقال كسول
إذ الأرض تنأى تحتهم وتزول
وإن مس هاتيك الرقاب حبول
مفاجأةً والرأس منه يميل
وللمجد فيهم غرّةٌ وحجول
ألَمَّ بحدِّ المشرفيِّ فلول
وللحق بين الصالحين سبيل
وتبكي ربوع للعلَى وطلول
وفي جسد العلياء منه نحول

قبور القتلى

قبور ببירות، وأخرى بجلق
سرت روحهم تطوي السماء لربها
ولله عيدان من الليل أثمرت
ويا لك من رُزءٍ حمدتُ له البكا
ويا لقلوبٍ حزنهنَّ مبرِّحُ
لقد دحض الظلمُ العدالةَ قاهرًا
كأن قبور القوم إذ رقدوا بها
هوت أمهم ماذا بهم يوم صُلبوا
سوى أنهم قد طالبوا لبلادهم
ونادوا بإصلاح يكون إلى العلى
فما ردَّ عنهم بالشفاعة عصابة
ولا نفع السيف الصقيل حديده
لعمرك ليس الأمر ذنبًا أصابه

تُجرُّ عليها للرياح ذيول
وما غير ضوء الفرقدين دليل
رجالاً عليهم هيبة وقبول
وقبَّحتُ فيه الصبر وهو جميل
ويا لعيون دمعهنَّ يسيل
وغطى على الحق المبين بطول
عباديد سفر بالتلاع نزول
على غير ذنب كي يقال ذحول
بأمرٍ إليهم فخره سيئول
وللنجح والعمران فيه وصول
ولا ذبَّ عنهم بالسلاح قبيل
مضاء ولا الرمح الطويل غسول
قصاص، ولكن يعرب ومغول

نساء القتلى وذووهم

وفي الحي ولدانٌ وفي الحي نسوة
شقاء على الوجه المنعم لائح
تئن بداجي ليلها أم واحد
وللأمهات الويل في الليل إنَّه
ونائحة في الليل أمًا نشيجها
أهذا الذي يشجو بكاءً حزينة
وتسمع من حين لآخر صرخة
ولله آباء حنى من ظهورهم

قد اغتيل آباء لهم وبعول
ودمع على الخد الأسيل يسيل
كما أن من برح السقام عليل
على من تناجيه الهموم طويل
فبادٍ وأمًا همها فدخيل
على إلفها أم للحمام هديل
تكاد لها شم الجبال تزول
توالي رزايا عبؤهن ثقل

أسماء القتلى

على عمر الغالي وشكري تلهفت^١
وبعد السليمين العريقين في العلى
وعبد الحميد الحر أفضل ميت
ولهفي على مسعى شفيق وجهده
وباتت تصك الوجه أم محمد^٢
أيدري الذي وارى علياً بقبره
ويا غيث إن لم تسقِ مرقد حافظ
ويا قبر رشدي والشهيد مبجل
ويا جدث الوهاب قل لي مصرحاً
قلوب وتاهت في المصاب عقول
وأحمد طرف المكرمات كليل^٣
فحزني على عبد الحميد يطول^٤
فما لشفيق في الرّجال مثيل^٥
دعوها تصك الوجه فهي تكول
على أي شهم للتراب يُهيل^٦
فطرفي في الإرواء عنك بديل^٧
سقاك من الغر العهاد هطول^٨
أأنت بإعزاز النبوغ كفيل^٩

^١ عمر هو «الأمير عمر الجزائري»، أحد أنجال القائد العربي الكبير الأمير عبد القادر الجزائري. وشكري هو «شكري بك العلي» أحد مبعوثي دمشق.

^٢ السليمان: «سليم بك الجزائري» من كبار أركان الحرب في الجيش العثماني، و«سليم الأحمد العبد الهادي» من أعيان نابلس وأفاضلها. وأحمد هو «الشيخ أحمد طبارة» صاحب جريدة «الاتحاد العثماني» كاتب بليغ وخطيب مفاوّه.

^٣ هو «السيد عبد الحميد الزهراوي» أحد أعضاء مجلس الأعيان العثماني، وصاحب جريدة «الحضارة» في الآستانة، ورئيس المؤتمر العربي الأول في باريس.

^٤ هو «شفيق بك المؤيد»، من أسرة العظم الشهيرة في سورية، ومن مبعوثي دمشق السابقين، وأكبر المalleين في البلاد العثمانية، تقلب في أعظم وظائف الدولة التركية، واكتسب خبرة عظيمة في السياسة والاقتصاد والإدارة.

^٥ هو «محمد المحمصاني»، من خيرة شباب العرب تخرّج في المدارس العالية في فرنسة.

^٦ هو «علي الأرمنازي»، من ناشئة حماة الراقية.

^٧ هو «حافظ بك السعيد»، من أعيان فلسطين وعقلائها.

^٨ هو «رشدي بك الشمعة»، من أعيان دمشق ومبعوثها.

^٩ هو «عبد الوهاب بك المليحي»، المعروفة أسرته بأل الإنكليزي، أحد علماء دمشق الاجتماعيين، وكان قد تولى منصب المفتش الإداري في ولايات سورية.

وهل للعريسي الجريء وعارف
وليس كتوفيق فتى أو كصالح
وعبد الكريم الندب ما ضاع رشده
تمثل فوق العود قبل وفاته
«إذا مات منّا سيد قام سيد
جلال لعمر الحق ما كنت مذنباً»^{١٢}
ولا مثل جرجي فهو أتوا به
كذاك سعيد يوم غيل ومثله
هنالك ركب إن سرى أبعد السرى
نأوا قبل حين ثم ما أب غائب
أفكر في الماضي فيأتي خياله
أناخوا المطايا حين أدرك ليلها
فهل للألى غابوا عن الأهل أوبة
وإني على ما لي من الحر والصدى

إذا عد أقطاب اليراع عديل^{١٠}
ولا كأمين باسل ونبيل^{١١}
إذ الدهر يسقيه الردى ويغول^{١٢}
ببيت يؤسى الشعب وهو يقول
فقول بما قال الكرام فعول
فكيف من الأتراك غالك غول
إلى الموت قسراً ما عراه زهول^{١٤}
رفيق كلا المستهلكين حمول^{١٥}
وإن حل أرضاً طاب منه حلول
ولا جاء منهم بعد ذلك سول
جميلاً أمام العين ثم يزول
بمأسدة فيها الحماة قليل
إليهم وهل للراحلين قفول
لأنظر ماءً ما إليه سبيل

^{١٠} «عبد الغني العريسي» صاحب جريدة «المفيد» البيروتية، وخريج مدرسة السياسة والصحافة في باريس. و«الأمير عارف سعيد الشهابي» خريج المدرسة الملكية بالآستانة، وكان من دعائم الإيمان القومي في الشبيبة العربية.

^{١١} توفيق هو «توفيق بك البساط» المتخرج في مدرستى الحقوق والملكية بالآستانة. وصالح هو «صالح بك حيدر» رئيس بلدية بعلبك. وأمين هو «أمين بك لظفي» من رجال أركان الحرب في الجيش العثماني، وممن أنجبتهم مدينة دمشق.

^{١٢} هو «عبد الكريم الخليل» شاب لبناني تخرج في مدرستى الحقوق والملكية بالآستانة، واشتهر بسعيه للتوفيق بين القوميتين العربية والتركية على أساس صالح.

^{١٣} هو «جلال البخاري» خريج مدرسة الحقوق بالآستانة، ونجل العلّامة الشيخ سليم البخاري شيخ علماء دمشق.

^{١٤} هو «جرجي الحداد» من رجال الصحافة الدمشقية، ومن بلغاء الشعراء والكتاب.

^{١٥} سعيد هو «سعيد عقل» اللبناني، رئيس تحرير جريدة الناصر، ومن أدباء سورية وخطبائها. ورفيق هو «رفيق رزق سلوم» ممن أنجبتهم مدينة حمص فكان من زهراتها الغضة، وكان هو وجرجي الحداد ممن يقدسون عظماء الأمة العربية تقديساً قومياً، ولهما في ذلك الشعر السائر، والنثر البديع.

البكاء على القتلى

على النحر يغريه الغداة همول
وتمسح منها العين حين تقول
وأنت أخو صبر وأنت حمول
فماتوا كرامًا والبكاء قليل
عليهم وفي مستقبلي سيطول
وأمنعها، إني إذن لبخيل
بأن بكائي للشقاء مزيل
سوى قطرات في العيون تجول
وما رأي من يلحي الكئيب نبيل
فأسبل دمعا عاذر وعذول
مضى في سبيل الحق وهو قتيل
وأفجع شعبا إنه لجليل
وللعدل عند الجارمين تبول
وألا يكون الأمر فيه شمول
وفي الحي أعمام له وختول
ولم يثأروا يوما به لظليل
بما هو يجري من دم لذليل
لثأر ولا كل السيوف صقيل

وسائلة ما بال دمعك فائضا
تقول أتبكي في المصاب تلومني
أتبكي لرزة قد أصابك شطره
فقلت أجل أبكي الألى طلبوا العلى
وإن بكائي اليوم لو نفع البكا
أبعد بني قومي أنهنه عبرتي
سأبكي على صحتي وما أنا واثق
وليست دموعي إن تبينت أمرها
لحيت كئيبا يا ابنة القوم إذ بكي
سواء على من كان في حوزة الأسي
وقد يتناسى المرء غيبة واحد
ولكن خطبا قد ألم بأمة
سيجزي قضاة العدل من كان جارما
وإني لأخشى عن كثير غضاضة
وهل يعدم المطلوب في الحي حاميا
وإن دما لم يكثرث أهله له
وإن امرا لا يغسل العار سيفه
وما كل مصقول بسيف تعده

نصيحة للعرب

بني يعرب لا تآمنوا الترك بعدها
ولا تمش في أمر أجنك ليله
تريث إذا كنت في الطين ماشيا
على أن هذا الشعب ليس بأسره
على أن فيهم صادقين فهم على

بني يعرب لا تآمنوا الترك بعدها
ولا تمش في أمر أجنك ليله
تريث إذا كنت في الطين ماشيا
على أن هذا الشعب ليس بأسره
على أن فيهم صادقين فهم على

من الخبث صوغاً والرجال شكول
بها أحدٌ في الناس وهو أصيل
ولم ترضْ أن ينحى العفاف عجول
صقيل يساقيه الغداة صقيل
وأقبحٌ بحزب ساد وهو يعول
يميل مع الأهواء حيث تميل
ولكن بما كالألهم ستكيل
سلامي ويا بيروت أنت هبول
فما مات منه بات وهو هزيل
إذ الأرض ظمأى والبلاد محول
وسيف على هام السلام سليل
وتلك مراد للحياة وسول
ويحسن إشراقٌ لها وطفول
فيبدو وجهٌ عند ذاك جميل
فسودٌ وأمّا جيدها فتليل
إذا برزت للناظرين عطول
فأخضل وهدان بها وتلول
«وليس سواءً عالمٌ وجهول»
إذا احتجت يوماً للمعيل تعيل
وإن أحجمت بعض الأوان نكول
وقد طال من حر الهجير مقيل
وظلك في وادي الأراك ظليل

وفي الترك ناس صيغ ظاهر شكلهم
وما كان يعتاد السفاهة راضياً
وكم قتلوا من غادةٍ مات بعلها
كأنّ وضيء النحر والسيف فوقه
فأذمّم بحزب جار وهو مهيمن
وأرذلٌ بحزب كان في كل مطلب
ولن تسكت الأيام عن عصبة جنواً
فيا قاصداً بيروت بلغ قبورهم
هنالك داءٌ من وقته مناعة
هنالك جوع ساغب يأكل الحشا
هنالك سنان للهدوء موجّه
وقد سلبوا حرية الناس إذ عتوا
هي الشمس في عينيّ يحسن ضوءها
أو الخود أرجو أن تحيط لثامها
من الخفريات البيض أمّا عيونها
ولا ينقص الحسناء بين لداتها
وصبوا دماءً من شعوبٍ بريئة
وساؤوا جهولاً بالذي هو عالم
ولا تتكلم إلا على النفس إنها
فما إن لنفس من إغاثة ربها
أليس لمن يحتاج في ظل بيته
تعرض للرمضاء جنبك ضاحياً

إجلاء الأسر العربية

وشُدت على ظهر المطيِّ حمول
وأعناقها نحو المواطن ميل

ولا مثل يوم فيه سيقت كرائم
لقد رحلت تلك المطايا بأهلها

ويحزنني أن القصور طول
 وأن به بعد الرواء ذبول
 وملهي ومرعى لو ذكرت خضيل
 وليلي برغم الكاشحين تنيل
 فما بعد أيام تمرُّ حقول
 إذا جاء يستقصي الحقول فحول
 وكنت أغني فيه وهو خميل
 وقومي في وادي العقول نزول
 وشيب وشبان معاً وكهول
 قليلاً فإن الوطاء أوه ثقيل
 عليه وخافوا الغب فهو وبيل
 فإن إليكم عزمه سيؤول
 وأن تندموا إن الزمان يحول
 فكان عن الرأي السخيف عدول
 وتبرز من خدر الخفاء بتول
 وكل جميل تجتليه يزول
 لهن بإثناء الصباح أقول

يبرحني أن الصروح تقوَّضت
 أتعلم أن الروض صوِّح زهره
 لقد كان لي فيه مراح وملعب
 إذ الدهر والأقدار والحظ والفتى
 أقبرة الحقل اغنمي الوقت واصفري
 بأي مكان تصفريين صبابة
 لقد جئت أرثي الروض قد جف نبته
 أتى السيل قومي في الصباح فجرهم
 نساءً وولدان يُسفرن عنوة
 بني الترك أسرفتم بني الترك خففوا
 تأنوا بخلق الله لا تتهجموا
 ولا تحقروا شعباً كبيراً بأسره
 أحاذر أن تلقوا جزاء قضائكم
 فليت الذين استحسنوا الأمر فكروا
 طغوا فاستحبوا أن تُهان كريمة
 عتبت على الأيام إن نعيمها
 وإن النجوم الطالعات عشية

إنقاذ دمشق

ستار على الأرض الفضاء سديل
 بكل مكان منه يرقب غول
 وخلصت بياض الصباح ليس يسيل
 وطال وليل الخائفين يطول
 فتقعد أغلال به وكبول
 مدافعه تنكي العدا وتهول
 من الليل عن صبح النجاة سدول
 بمقربة للإنكليز خيول

قد اسودَّ ليل الظلم حتى كأنه
 فيا لك من ليل يروع كأنما
 وقد قر حتى قلت قد جمد الدجى
 وعسعس يرتاع الكرى من ظلامه
 إذ الوطن المأسود ينهض قائماً
 إلى أن أتى بالفتح جيش عرمرم
 فقد زر قرن الشمس أو كاد وانجلت
 وجاءت خيول العُرب تعدو وراءها

وكبّر أعلام بها وسهول
له في مغار الغابتين شبول
وإن حسيئاً للنبي وكييل
فطاب له فرع وطاب أصول
وأرهف بسيف ليس فيه نكول

هنالك أهل الشام صاحوا وكبّروا
وكان لأخذ الثار قد ثار ضيغم
حسين بما قد جاء قد سر جده
أغر كريم الأصل من فرع هاشم
فأعظم بملك سل للذب سيفه

الطاغية

وثوبك إذ أرفلت فيه ذليل
زوالاً ومجد العُرب ليس يزول
أتعلم ما تأتيه حين تحيل
فيرتدُّ عنه السيف وهو كليل
حصاةً وفي تلك الحصاة صمول
وأنفذت رأياً لا يزال يفيل
ولا دنس الإجلاء منك غسيل
ولا تأمن الأيام فهني تدول
فقرب رواسيها عليك وبيل
لمجد بني عدنان فهو أثيل
ولا الشم من وعر الجبال سهول

جمال لأنت القُبْح سَمُوكُ ضده
تريد لمجد العُرب فيما أتيته
تحيل عليه تبتغي كسر شأنه
وتضربه بالسيف تطلب قطعه
فعالك لا يأتيه من كان عنده
لقد جئت أمراً يا جمالاً مُدَمِّمًا
فما قُبْحُ ذاك القتل عنك بزائل
رويدك لا تغتَرَّ بالدهر إن صَفَا
وراءك لا تقرب رواسي يعرب
ولا تتعرض يا ابن مورثة العمى
تأنُّ ولا تعجل فما العرب غيرهم

الخاتمة

على فتكها بالناس فهني أكلول
كمنحدر تجري عليه سيول
إلى لهجة التآريخ كيف يقول
وتُقرأ للويلات فيه فصول
ويأتي سعيداً بالسلامة جيل

جرت هذه الأحداث والحرب لم تزل
إذ الشام أو بيروت أو أكثر القرى
مضى ما مضى لا عاد واليوم فاستمع
ستُكتب فيه بالدماء مباحث
ويذهب هذا الجيل نضو شقائه

(٢) شهقات

ما إن يريد حياةً
تخشى المنون وشر
لنا نريد أماناً
الأرض ليست بدار
بين الذين عليها
لا تلحني إن تأخر
فقد أردت نجاحاً
تذل إلى الجبان
من المنون الهوان
منها وفيها الأمان
فيها الحقوق تُصان
يحيون حرباً عوان
ت يوم جدّ الرهان
وما أراد الزمان

* * *

إن السماء لتبغي
والأرض تعلن لنا
لا يوم إلا ونبكي
مات الوحيد لأمّ
لقد شجاني صبيّ
كم قد طلبت سعيداً
إن نيل بالعسف عيش
في كل يوم شهيداً
ظرين قبراً جديداً
فيه صديقاً فقيداً
فالأم تبكي الوحيداً
يلوي من اليتم جيداً
فما وجدت سعيداً
فلا يكون رغيداً

* * *

قد أطبق الموت عيني
هوت بها وهي بكر
ماتت فنامت بقبر
ما للمقيم به بعد
يأتي على المرء فيه
فزاره صاحب كا
يهدى إلى القبر زهراً
من فتاة رداح
يد بغير جناح
أعدّ غير فساح
د أن ثوى من براح
ليل لغير صباح
ن نضو حب صراح
من نرجس وأقحاح

* * *

غنّت حمامة أيك
غنّي لنا يا حمامة

وبعد ذلك طيري
البرق يضحك في جوٍّ
أُكُلُّما قُلْتُ شعراً
ندمت من كل ما قلـ
نعم ندمت ولكن
إذا هجرت بلادي
مخفةً بالسلامه
ه وتبكي الغمامه
قامت عليّ القيامه
ته أثيرُ الشهامه
ماذا تُفيد الندامه
فما عليّ ملامه

* * *

لا شيء يبقى على ما
البحر يطغى لمد
كم غيرَ الأرض من حا
فصيرَ البر بحرًا
الأرض تضمّر نارًا
فقد تشق أديمًا
وتجعل الظهر بطنًا
شهدته مستمرًا
والمدُّ يعقب جزرًا
دث على الأرض مرا
وصير البحر برا
والنار تضمّر شرا
لها وتحدث أمرا
وتجعل البطن ظهرًا

* * *

للكون فيما بدا لي
ما قام فينا حكيم
إنَّ المدينة حي
ما بالذكاء يسود الـ
والمرء يُعرف منه الضُّ
ما زال في البعض من أمـ
أطماعه ليس تمضي
ظواهرٌ وخفايا
يحلُّ بعض القضايا
والناس فيه خلايا
إنسان بل بالسجايا
مير عند الرزايا
يال الوحوش بقايا
حتى تجيء المنايا

* * *

إذا أهين كريم
وإن أفاد سكوت
يودُّ من سيم خسفًا
قد بلل الدمع عند الـ
بالسبِّ قال سلاما
كان السكوت كلاما
لو استطاع انتقامًا
مساء خبز اليتامى

جميل صدقي الزهاوي

أشكو إلى الله عيشًا مرًا وداءً عقاما
ليس النواميس في عا لم الوجود لزاما
فقد وجدت نظامًا وما وجدت نظاما

* * *

الأرض للشمس بنت والشمس بنت الفضاءِ
تجري ذُكاء حثيئًا والأرض حول ذكاء
والأرض تشرب من أمِّ لها لبان الضياء
من ذا يصدق أنَّا نطير وسط السماء
إن الصباح شبيهه في ضوءه بالمساء
وقد أرى شفقا قًا نياً كَلون الدماء
كأنما هو رمز إلى دمِ الشهداء

* * *

ما للفضيلة تأتي بها الفتاة رواجُ
اليوم للناس في خط بة الثراء لجاج
تزوجت فأتاها بما يسوء الزواج
بكت فلا تمنعوها إنَّ البكاء احتياج
بنى العروسان بيتًا له الشقاء سياج
لا ترجُ فيه امتزاجًا فما هناك امتزاج
إذا تناكر رُوحا نِ فالفراق علاج

* * *

لقد صمتُ وصمتي ما كان منِّي عيًّا
أتحسب الغي رشدًا وتحسب الرشد غيا
تريد جاهًا ومالًا دثرًا وعيشًا رضيا
وبسطة ومكانًا من الحياة عليا
هيهات ما أنت إلا ميّت وإن كنت حيا
يا شيخ هيا لنسعى معًا إلى القبر هيا
فقد بلغنا كلانا من الحياة عتيا

(٣) لامية الزهاوي

الدفاعات

يوم من الحزن أو يوم من الجذل
ما قد تُقاسي غداً من قسوة الرجل
والسحر إن كان حقاً فهو في المقل
إلى لداتٍ لها احمرّت من الخجل
قد كان أكبر حرماناً من العطل
إلى فتى لشعار النبل مُنتحل
تلقى سوى ذي غرور غير محتفل
وفي سوى ذاك ليس الزوج بالبطل
بالمثل وهو عن الأهواء في شغل
تريد منه لها ميلاً فلم يَمَل
فلم يخن عهدها يوماً ولم يحل
بما توارث من آباءه الأُول
حياتها وهو في سكر من الجذل
ولا يكون هناك الخطب بالجلل

يكفي لإظهار ما في النفس من دخلٍ
وربّ مخطوبةٍ عذراء قد جهلت
سمراء في مُقلتيها السحر مُستتر
إذا نظرت إليها وهي ماشية
العقد أم جيدها لم أرد أيهما
تُزف في عنفوان من شبيبتهما
مهما به احتفلت بعد الزّواج فما
تراه زوجاً على إرغامها بطلاً
له تبث هواها كي يُجازيها
قامت بخدمته جهداً استطاعتها
تودُّ لو أنّه كان الوفيّ لها
هيهات فالتبّع في الإنسان غالبه
حتى أضاعت لعمري من شراسته
قد ينزل الخطب في دار بربتها

* * *

لو كان يسقيه صوب العارض الهطل
قد استغاث فلم يظفر بمنتشل
لهيب شيب برأس الشيخ مشتعل
والرّكب في ظعنه والشمس في الطفل
ونصب عينيّ في حلّي ومرتحلي
حتى نعود إلى أيامنا الأُول
رجل رمتها يدُ الأحداث بالشلل
أُخرت ما أتوخّاه إلى أجل

ما أصبح الروض خلواً من نظارته
هناك مرتطم في طين محنته
ماذا يقول الفتى في النفس حين يرى
لقد شجنتني الأيامى في تعاستها
لأنت يا حق قصدي في محاولتي
ليت الزمان الذي أقصى يدور بنا
وقد أحاول أن أمشي فتمنعني
لما رأيت زماني لا يساعطني

* * *

ما أكبرَ العقلَ للإنسان من سنيِّ
يُبدِي الفتى في مقالٍ جاء يُورده
يسقي رياضاً وجناتٍ وأندية
لأنت يا ذا من الكون الذي بعدت
إذا أردت بأصل الكون معرفة
إذا رجعت إليه مُلقياً نظراً

* * *

يشجي العيونَ على حسن هناك له
ما نالت النفسُ ما كانت تؤمِّله
يا رامياً نفسه من فوق شاهقة
إنَّ المنيةَ بالإنسان نازلةً
إن زال ما في قلوب القوم من حسكٍ
لو نُ الدماء التي سالت من الأسل

* * *

بغداد ليست كما قد كنت تعدها
وقد أرى طلاً للعلم مندرساً
أرى اليتامى جلوساً في شوارعها
لا يحمل اليوم إنسان بلا تعب
أبكي إذا كان يبكي في أصائلها
في عصر هارون عصر العلم والعملِ
فقف معي ساعةً نبكي على الطلل
يبكون في بكر الأيام والأصل
ما للحياة على الإنسان من ثقل
طفلٌ من اليتيم أو أمٌ من الثكل

* * *

في كل ما عاش لا يأتي الفتى عملاً
إلزامك المرء بالبرهان تورده
وإنما عادةُ الإنسان ناجمة
وهذه هي في التحقيق باعثة
إذا رأى وشلاً حرانٌ ذو ظمماً
ما لم يكن سائق فيه من الأملِ
لا يحمل المرء في وقتٍ على العمل
من المحيط بفعلٍ فيه مُتصل
له على السعي في الدنيا بلا ملل
فإنه ليس يستغني عن الوشل

* * *

من زلٍّ من عجلٍ يوماً فأحر به
بعد السلامة أن يمشي على مهل

مهما تكن عضلات الرَّجُل مُحَكِّمَةٌ
إِنْ كَانَتْ الْأَرْضُ عِنْدَ الْمَشِيِّ لِيِنَّةً
تَقْنُو الْحَيَاةَ بَقَاءً فِي تَنَازُعِهَا
مَنْ جَاءَ يَشْرَعُ بِالْأَعْمَالِ مَعْتَمِدًا
إِنْ حُمَ يَوْمَ عَصِيبٍ لِلْكَفَّاحِ فَمَا
لَقَدْ دَلَفْتُ فَسَّرَ الْمَجْدَ مِنْ دَلْفِي

فَقَدْ تَزَلَّ بِمَنْ يَمْشِي عَلَى عَجَلٍ
فَلَيْسَ بِأَسَى عَلَى الْمَاشِي مِنَ الزَّلَلِ
مَنْ النِّشَاطُ وَكُلُّ الْمَوْتِ فِي الْكَسَلِ
عَلَى الْبَصِيرَةِ لَا يَخْشَى مِنَ الْفَشَلِ
يُدْعَى بِهِ بَطْلًا مَنْ لَيْسَ بِالْبَطْلِ
وَقَدْ نَكَلْتُ فَسَيَّءَ الْمَجْدَ مِنْ نَكَلِي

* * *

دَعِ الْمَتِيَّ فِي شَأْنِ يَرِيمَ بِهِ
مَاذَا تَرِيدُ بِأَنْظَارِ تَحْوِلِهَا
أَمَرْتُ قَلْبِي بِالسَّلْوَانِ أَنْصَحَهُ
قَدْ طَالَ لَيْلِكَ مِنْ هَمٍّ سَهَدَتْ لَهُ

فَالْحَبُّ شَيْءٌ وَرَاءَ الْعِذْرِ وَالْعِذْلُ
عَمْدًا إِلَيْنَا أَلَاتُ الْأَعْيُنِ النَّجْلُ
لَكِنَّ قَلْبِي عَصِيٌّ غَيْرُ مِمْتَلٍ
وَلَوْ رَقَدَتْ بِهِ كَالنَّاسِ لَمْ يَطْلُ

* * *

مَا الشَّعْرُ إِلَّا شَعُورِي جِئْتُ أَعْرَضَهُ
وَأَحْسَنُ النَّقْدِ مَا يَرْضَى الْجَمِيعَ بِهِ
الشَّعْرُ مَا عَاشَ دَهْرًا بَعْدَ قَائِلِهِ
وَالشَّعْرُ مَا أَهْتَزَ مِنْهُ رُوحَ سَامِعِهِ
الشَّعْرُ قَدْ قَلَبَتْهُ لَمَّا تَطَلَّبْنِي
لَهُ ابْتَكُرْتُ وَغَيْرِي جَاءَ مَنْتَحِلًا
قَدْ قَلَبْتُ شَعْرًا فَلَمْ يَسْمَعِهِ مِنْ أَحَدٍ
فِيهِ إِلَى الْيَوْمِ مَا قَلَبْتُ مِنْ أَحَدٍ
أَفْعَمْتَهُ حَكْمًا تَعْلُو وَأَمْثَلَهُ
وَقَدْ أَعُودَ بِهِ أَبَانَ أَنْظَمَهُ
يَا شَعْرُ إِنَّكَ أَحْلَامِي الَّتِي حَسَنْتَ

فَانْقَدَهُ نَقْدًا شَرِيفًا غَيْرَ ذِي دُخْلِ
وَأَسْوَأُ النَّقْدِ مَا يُفْضِي إِلَى الْجَدْلِ
وَسَارَ يَجْرِي عَلَى الْأَفْوَاهِ كَالْمِثْلِ
كَمَنْ تَكْهَرِبُ مِنْ سَلِكٍ عَلَى غَفْلِ
وَلَوْ تَنَكَّبَ عَنِّي الشَّعْرُ لَمْ أَقْلُ
وَلَيْسَ مُبْتَكِرٌ شَيْئًا كَمَنْتَحِلِ
إِلَّا تَرْنَحَ فَعَلَ الشَّارِبُ الثَّمْلِ
وَمَا عَلَى غَيْرِ نَفْسِي فِيهِ مَتَكَلِي
تَحَلُّو فَسَّرَ لَهُ شَعْبٌ وَصَفَّقَ لِي
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي إِلَى الْغَزْلِ
وَأَنْتَ ذَكَرِي شَبَابِي النَّاعِمِ الْخَضْلِ

(٤) أيها العلم

فإننا بك - بعد الله - نعتصمُ
عش للألى في العراق اليوم قد حكموا
عين العناية من شعب له نهم
بأن تؤيدك الأحزاب كلهم
أفراحها بك فانظر هذه الأمم
بحرٌ خضم به الأمواج تلتطم
وجوهها صارت الأيام تبتسم
أو احترمت فإن الشعب محترم
وأنت أنت جلال الشعب والعظم
يُثوي إليه إذا ما اشتدت الأزم
وإن تمت ماتت الآمال والهمم

عش هكذا في علو أيها العلمُ
عش للعروبة عش للهاتفين لها
عش للعراق لواء الحكم تكلؤه
عش خافقاً في الأعالي للبقاء وثق
جاءت تحييك هذا اليوم معلنة
كأنما الناس في بغداد إذ هتفوا
من بعد ما كانت الأيام عابسةً
إن احتقرت فإن الشعب محتقر
الشعب أنت وأنت الشعب أجمعه
وإنما أنت لاستقلاله سندُ
فإن تعش سالمًا عاشت سعادتته

* * *

جميعه لك فاسلم أيها العلم
قصيدةً لفظها كالدر منسجم
على الفصاحة منه تشهد الكلم
إننا لك اليوم بالإجماع نحترم
حتى خفقت فلا يأس ولا ألم

هذا الهتاف الذي يعلو فتسمعه
تُتلى أمامك والجمهور مستمع
لشاعر عربي غير ذي عوج
يا أيها العلم المحبوب شارته
قد كان لليأس في أكبادنا ألمٌ

* * *

في هولها، ولأرزاء الورى قدم
دهياء تلقف من تلقى وتلتهم
كما تساقط من أفلاكها الرجم
وإن أكبر أشياء جرين دم
في جنب أحلافهم والنار تضطرم
يكافحون ولم يأخذهم السأم
أن زال بالخير ذاك الحادث العمم

لم يسمع الناس حربًا كالتى سلفت
دامت سنين مع الولايات أجمعها
كم دولة سقطت من أوج رفعتها
جرت هنالك أشياء مروعة
العرب يومئذ خاضوا عجاجتها
قد استمروا ونار الحرب موقدة
الحمد لله رب العالمين على

وَأَنْ أَتَى السَّلْمَ حَتَّى ظَلَّ سَامِعَهُ مِنْ غَلِي أَفْرَاحِهِ يَبْكِي وَيَبْتَسِمُ
وَمَنْ نَتَائِجُهَا أَنْ خَابَ مَوْقِدُهَا وَأَنْ تَحَرَّرَتِ الْأَقْوَامُ وَالْأُمَمُ
وَعَادَ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْعِرَاقِ إِلَى أَبْنَائِهِ الْحُكْمَ مَقْضِيًّا كَمَا حَكَمُوا

* * *

لَقَدْ تَمَسَكَ قَوْمِي عِنْدَ وَحْدَتِهِمْ بَعْرُودٍ لَيْسَ طَوْلُ الدَّهْرِ تَنْفَصِمُ
مَنْ ذَا يَصْدُ أَنْسَاءً عَنِ تَقْدِمِهِمْ فِي مَهْيَعٍ لِلْهَدَى لَوْ أَنَّهُمْ عَزَمُوا
إِذَا تَأَخَّرَ وَالْأَقْوَامُ سَابِقَةَ أَبْنَاءَ يَعْزِبُ فِالْأَقْدَارِ تَتَهُمْ
السِّيفِ وَالْقَلَمِ امْتَازَا بِذَوْدِهِمَا فَلْيُحْيِيَ لِلْمُعْضَلَاتِ السِّيفِ وَالْقَلَمِ
مَجْدٌ قَدْ اقْتَحَمَ الصَّعْبَ الْغَزَاةَ لَهُ وَالصَّعْبَ لِلْمَجْدِ مَهْمَا اشْتَدَّ يِقْتَحِمُ
مَجْدٌ لِأَبْنَاءِ عَدْنَانَ لَهُ قَدَمٌ كَمَا شَمَارِيخَ نَهْلَانَ لَهَا قَدَمٌ

* * *

أَهْلَ الْعِرَاقِينَ بَعْدَ اللَّهِ قَدْ وَثِقُوا بَفِيصَلٍ وَهُوَ ذَاكَ الصَّارِمُ الْخَذَمُ
لَفِيصَلٍ فَلْيَعِشْ فِي عَرْشِهِ مَلَكًا رَأْيِي حَصِيفٌ يَلِيهِ نَائِلٌ عَمَمُ
سُرَّ الْعِرَاقُ بِهِ وَالرَّافِدَانُ مَعًا وَالْمَاءُ وَالنَّخْلُ وَالْوُدَيَانُ وَالْأَكَمُ
رَدُّ إِنْ ظَمِنْتَ إِلَى عَدْلِ شَرِيعَتِهِ فَالْعَدْلُ ثَمَّتْ وَرَدَ مَأْوَهُ جَمَمُ

* * *

يَا قَوْمَ أَنْتُمْ بَنَيْتُمْ مِنْ تَضَامِنِكُمْ عَلَى الْفِرَاتَيْنِ حَصْنًا لَيْسَ يَنْهَدُمُ
سَيَشْكُرُ الصَّنْعَ أَرْوَاحُ الْجُدُودِ لَكُمْ وَتَشْكُرُ الصَّنْعَ فِي أَجْدَاثِهَا الرَّمَمُ
يَا قَوْمَ إِنْ لَمْ تَصُونُوا عِزَّ بِيضَتِكُمْ فَأَيْنَ تِلْكَ السَّجَايَا الْغُرِّ وَالشِّيمُ
تَأْبَى الصَّغَارَ نَفُوسٌ لَمْ تَكُنْ جُبِلَتْ عَلَى الصَّغَارِ وَأَنَافٍ لَهَا شَمَمُ
بِالْعَقْلِ لَوِذُوا إِذَا حَمَتِ مَخَالَفَةُ فَإِنَّهُ وَحْدَهُ فِي النَّاسِ يَحْتَكِمُ
يَا قَوْمَ إِنْ الَّذِي أَلْقِيَهُ مِنْ كَلِمٍ خَلَا مِنَ الْحُكْمِ إِلَّا أَنَّهُ حِكْمُ

(٥) إِلَى أَهْلِ الْحَقِّ

لَقَدْ جَاءَ يَوْمٌ فِيهِ يَنْتَبِهَ الشَّرْقُ وَيَرْجِعُ مَحْمُودًا إِلَى أَهْلِهِ الْحَقُّ
إِنَّ الشَّرْقُ أَلْقَى فِي الْحَيَاةِ اعْتِمَادَهُ عَلَى نَفْسِهِ يَوْمًا فَقَدْ أَفْلَحَ الشَّرْقُ

وأكبر أنصار البلاد رجالها
وإنَّ دعاءَ الحذقِ خُلِقَ يُقيمه
وفي بعض من عاشرتْ شيء تجله
جرى الشرق شوطاً في الرهان وبعده
يُقاسي القيودَ الشرق والغرب مُطلق
إنَّ الشرقُ بعد اليوم لم يَزَعْ نفسه
ألا فليُرَقَّعْ ثوبه كلُّ من له
قد انطفأت تلك النُّهى منذ أعصر
أُحْسُ بأنَّ الشرق ينبض عرقه
يُريد ليحيا الشرقُ حرّاً كغيره
متى أيها الصُّبح الجميلُ تبين لي
أتعلم ليلى أن في الحي مُغرماً
قسمتُ فؤادي بين ليلى وموطني
إذا لم يكن سير السياسة راشداً
يُحاول ناس خوض دجلة جهدهم
إذا جئتني ليلاً فدعني راقداً
هو الصبح إي والله قد سلَّ سيفه
وإن الذي يسعى لتحرير أمة
متى ما اطمأن القلب بالنفع في الحيا
إذا رُمت عن دار المَدَلَّة رحلةً
سأرحل عن بغداد يوماً مُخلفاً

وأحسن أخلاق الرجال هو الصدق
فإن لم يكن خلق فلا ينفع الحذق
فذلك لو فتَّشت عنه هو الخلق
جرى الغربُ حثحثاً فكان له سبق
فبين كلا القسمين هذا هو الفرق
ألَمَّت به الجلى وعاجله المحق
يدُ قبلما في الثوب يتسع الخرق
وتومض أحياناً كما يومض البرق
فلو لم يكن حياً لما نبض العرق
وأكبر أرزاء الشعوب هو الرِّق
فيبيضُ في ليل الهموم بك الأفق
بها لفؤاد بات يحمله خفق
فهذي لها شقُّ وهذا له شق
فما إن يُفيد العنف فيها ولا الرِّفق
وتمنعهم منه الزَّوابع والعمق
وفي الصبح أيقظني متى غنت الورق
وإنَّ إهاب الليل منه سينشق
يهون عليه النفى والسجن والشنق
فقد لا يروع الليل والرعد والبرق
فسِرْ قبل أن تنسُدَّ في وجهك الطرق
بها الشعرَ إنَّ الشعرَ مني مشتق

(٦) أيها الملك

وهي القصيدة التي أنشدها في حضرة جلالة الملك «فيصل الأول» في المأدبة التي أقامتها لجلالته بلدية بغداد على أثر قدومه عاصمة الرشيد.

إننا محيُّوك فاسلم أيها الملكُ ومصطفوك لعرشِ شاءه الفلكُ

تأييده الشعب والأحلاف تشترك
إلا الأصالة في الآراء والحنك
من بعد ما قد بَكُوا من يأسهم ضحكوا
الله والناس والتوفيق والملك
وأقبلَ النورُ فإذهب أيها الحلك
قد اتفقنا بعهدٍ ليس ينبتك
ما يأمر العقل والآداب والنسك
فلا دمٌ بعد هذا اليوم ينسفك
من بعد ما كان ذاك الرأي يرتبك
فذلك الشعب مضمونٌ له الدرك
جاء الوفاقُ فلا حقدٌ ولا حسك
هو الذي بحبال الصبر يمتسك
إلا الذي لقلوب الناس يملك
حتى إذا تعبوا في جريهم بركوا
حيثُ الوشائج والأرحام تشتبك
من بعد ما انسدت الأبواب والسكك
أنَّ الحياة بوجه الأرض معترك
أمرٌ به الناس كل الناس تشترك
ما خاب شعب بحبل الله ممتسك
ستر برغم حُماة الجهل منتهك
على العباد إذا استبدلته هلكوا

عرش العراق ضمانٌ للعراق وفي
ما إن أقامك أهلاً في تبوُّئه
الناس من فرح إذ جئت ترأسهم
قد ارتضاك له فاهناً بدولته
جاء الرجاء فزلُّ يا يأسُ مُبتعداً
على ولائك والأيمانُ صادقَةٌ
ليس الذي قد رآه الشعب فيك سوى
هو السلام يعم الرافدين غداً
قد استقرَّ عليك الرأيُ أجمعه
إذا نوى الشعب إدراكاً لحاجته
الحمد لله أن زال الخلاف وقد
إنَّ الحكيم إذا ما فتنهُ نجمت
لا يرأس الناس في عصر نعيش به
جرى ليلحق ناسٌ بابن فاطمة
من هاشم في قريش من ذؤابتها
مشى يشقُّ طريقاً للعلی جدياً
لقد تعلمتُ من بحثٍ أوأصله
إنَّ اختيارك للتاج المدلُّ به
الشعب فيه بحبل الله ممتسك
للجهل بعد الهدى المبدي أشعته
يا رب إنك ذو فضل نشاهده

* * *

للعُرب من شرف في شكره اشتركوا
مثل السماء التي في وجهها حبك
حيناً لتحرير أوطانٍ بها انسبكوا
على الذين لنهج الحق قد سلكوا
على رجال لغلِّ النفس قد تركوا

لله يا فيصل ما أنت مُورثه
وجدت أفكارك اللائي قد اتسعت
في نهضةٍ برجالٍ كنت ترأسهم
تلقي اعتمادك لاستتمام نهضتهم
على أناس لصدق القول قد لزموا

عركًا طويلًا وللأيام قد عركوا
مُذَهَبٌ يفتح عينيه به سدك

على الألى عرك الأيام أظهرهم
عش للرقى فإن الشعب أجمعه

(٧) رشحات القلم

أُتَقَرُّ به أم تجحده
يح مُنَجِّده لا يُنَجِّده
إِبَّان النكبة أنشده
ما أدجى الليل يردده
كالروض يموت مغرَّده
جيش في العُصرة أحشده
هل تفتح أم توصلده
أُتَقَرِّبه أم تبعدده
ما ظني أنك تطرده
والمرء وما يتعوَّده
ما بالك لا تتفقده
إلا وخيالك يُسعدده
طيب والليلة موعدده
فَمَنْ بعدي يترصَّده
سيف ماض يتقلده
وتكاد الأنفُس تبعده
لا أدري ماذا مقصده
ما أمضى اللحظ يسدده
مُدُّ فارق رأسي أسوده
فبياض ما إن أحمدده
تَبَّتْ يده تَبَّتْ يده
تُ أَلدُّ العيش وأنكدده
بالحقُّ لزال تردده

لي عندك حق أنشدُهُ
الله لمكروپ قد أصد
النكبة تُنطِقني شعرًا
هو إرناني في الليل إذا
البلدة يَهلك شاعرُها
لدموعي وهي مُسارعة
لم يبق إليك سوى باپ
بالباب مُحَبِّك مُنتظر
قد جاءك يحمل مسألة
من عادته بثُّ الشكوى
لك في بغداد أخو شغف
صبُّ بفراقك ما يشقى
يأتيه منك إذا أغفى
أترصَّده فإذا أوديتُ
لِمُعَنِّي من ناظره
تقف الأنفاس لطلعته
يمشي المحبوب وينظرني
اللحظ يسدده نحوي
ابيضت عيني من حزن
أما شيبني وقد استولى
يدُ دهري قد لطمت وجهي
قد صادفني في ما عمَّر
لو كان البائس مُنتحرًا

لم تحو حياة المرء سوى
 قلت الأيام ستكسوه
 ولقد أتى فيها عملاً
 ما أدري حين أجيء به
 ألهو بضعيف من أملي
 أما من كان له مالٌ
 لا يستهويني لؤلؤه
 إني وجلٌ جداً فأخي
 العدل قضى في حسرته
 إنَّ الإنسان إذا استعلى
 لله على الأحقاف دم
 في قلبي جُرح يُؤلمني
 قد هان الماجد ليس له
 تغري الإنسان بموطنه
 خلق الإنسان به حرّاً
 لي في أمر الأحكام كلاً
 وهنا وإدٍ لا أهبطه
 ما جاء الأمر كما أرجو
 منظور الأمة مُختلف
 لي في بغداد ونهضتها
 سيشق الشعر عصاً قوم
 اختر ما هزك من شعر

أملٍ يبلى فيجده
 وإذا الأيام تُجرده
 غيري من بعدي ينقده
 هل أصلحه أم أفسده
 فأحلُّ الخيطُ وأعقده
 فعليه أنا لا أحسده
 بلطافته وزبرجده
 قد طال الليلة مرقده
 نحباً ربي يتغمده
 يهوي لولا ما يسنده
 أهريق فراعك مشهده
 هل في بلدي من يضمده
 سيف للذبِّ يجرده
 أيامٌ صباه ومولده
 ما أظلم من يستعبده
 مٌ من حذري لا أورده
 وهنا جبلٌ لا أصعده
 ه وقد تدري ما أقصده
 ولعلَّ الرُزءَ يوحده
 حقٌ قد ضاع وأنشده
 ويُقيم الشعبَ ويُقده
 قد قيل فذلك أجوده

* * *

هل من يدري إلا ظناً
 إني لأرى في الجو سحا
 ما من نبت يبلى يوماً
 الشمس تعود لمبدئها
 ماذا سيجيء به غده
 بآ جاء النوء يُلبده
 إلا والأرض تجده
 هذا رأي وأؤكده

لا تستحقر صغراً في النَّجِّمِ
العالم بعد مساعيه
في منطقته وكفايته
لا تغفل ريثك في عمل
ما يزرعه الإنسان من الـ
قد يأتي المرءُ بأخبار
الواحد أنت به برم
لا أبني الأمر على خبر
نحت الإنسان له صنماً
العالم ليس له حد
ما هذا الكون ووسعته
ليس الإنسان وإن ماري
وهي الأيام تُحرِّكه
إني سأزور اليوم أخي
ما من مَلِكٍ في موكبه

* * *

لا يُفني المرءَ سوى نفس
ولقد يتمنى البائس أن
لله عنائي في بلدي
نفلوا عن نشأتنا أمراً
يدني مني ما أسأله
جمعته الرِّيح لنا مزناً
ما من أحدٍ يحوي علماً
إنَّ الطيار سُليمان
لا يُتوي نفسَ الحر سوى
يتباين عند مزاحمة
تغريد الطير على فنن

دائي قد أعضل يا نفسي
قد طال الليل فغنيني
وظلام الليل يشدده
«يا ليل الصب متى غده»

(٨) الجهل والعلم

وإنَّ نهار العلم أبيضُ شامسُ
وتشقى بلاد ليس فيها مدارس
عداه الهدى أو أقلقته الهواجس
لها العلم إن لم يسهر السيف حارس
وأما ليالي الجهل فهي مناحس
وليس كمثّل الجهل للمال طامس
هو العلم فاقصد درسه لا الملابس
بأعماله إلا الذي هو دارس
تناول ما قد رامه وهو جالس
وذو الجهل مرعوس وذو العلم رائس
لأفسد أرض القاطنين الأبالس
فليس لها حتى القيامة ناكس
فأقسم أن لا تستضيء المجالس
بما هو في ذهن التلاميذ غارس
إذا عولجت بالعلم تلك المغارس
ولمّا يُقبِحها إلى الشعب نابس
فأخلق بأن يستبدل الثوبَ لابس

ألا إنَّ ليل الجهل أسودُ دامسُ
تشق حياة ما لها من مدرّب
ومن لم يحطْ علماً بما قد أحاطه
تنام بأمنٍ أمةً ملء جفنها
وللعلم أيام هي السعد كله
وليس كمثّل العلم للمال حافظُ
وإنَّ الذي تعلو به رتبة الفتى
ونحن بعصر لم يكن فيه مفلحاً
إذا المرء - فاعلم - طال في العلم باعه
قضى أن يعيش الناس في الأرض ربُّهم
ولولا ملك العلم يهدي فريقه
إذا ما أقام العلمُ رايةً أمةً
وإن هو لم يسطع كبدٍ سراجُه
وأحسنُ شيخٍ للتلاميذ عارف
ستأتي ثماراً يانعاتٍ عقولهم
كأنّ لنا من عادة ساء حكما
إذا خلق الثوب الذي يلبس الفتى

* * *

بأوجُّهنا يا علمُ فالجهل عابس
على القلب من وجدٍ بكفيّ حابس
فقل لي لماذا أنتَ يا حقل يابس
معاهد علم في العراق دوارس

إلينا التفت يوماً من الدهر وابتسم
وما جاء ذكر العلم إلا وأنني
ألم تجر عفوًا في جوارك دجلة
يلوح لعيني حيثما أنا ناظرُ

أقمنا إذ الأتوام جمعاء سارعوا
يهدد بغداد اختناق كأنما
إذا نحن لا نحمي الكناس بحكمة
فيا قوم عافوا الجهل فهو جريمة
ويا قوم من شرّ الجهالات فلنخف

* * *

وما أنس لا أنس الرّشيد وعهده
إذا العين والآرام يمشين خلفه
لقد شقيت تلك البقاع وأهلها
فما اليوم هاتيك الثغور بواسم
وليس على الأيام لي من ملامة
ألا أيها الشيخ الذي بات عاريًا

* * *

لقد فتح الأهلون مدرسة لهم
فيا عين بعد اليوم أنت قريرة
أمدرسة الأهل اطلعي في سمائه
لقد طال ليلي في انتظارك فأذني
فأنت من المستنصرية خلفه
وما أن بقومي ما يثبط عزمهم

* * *

يريد أناس فرقة الشعب جهدهم
ونحن الألى ما فرق الدين بيننا
فعشنا وعاشت من عصور كثيرة
ولا يعدم الإنسان طول حياته
ولكننا عشنا جميعين أعصرًا
وإننا سنحيا والعمائم عندنا
سنحيا نعم في وحدة عربية

ونغرس في قلب الشبيبة جرأةً على الصدق حباً أن تطيب الغرائس
تُساعدنا فيما نُحاول دولة مُعظمة ترعى علاها أشاوس

* * *

أقول لشعري أيها الشعر صُلِّ وُجِّلْ فأنت بميدان الفصاحة فارس
أغاظك أنَّ الجهل في الناس جاهر يقول وأن العلم في الأذن هامس
يمارس شعري اليوم إصلاح أمة فلله شعري اليوم ماذا يمارس
ستحميك يا شعري فأنذر حكومةً تُجل ربوع العلم وهي المدارس
حكومة عدلٍ مهَّد الأرض حكمها فلا البرُّ موتور ولا البحر خانس
وليس لها في المغربين معارض وليس لها في المشرقين مشاكس

(٩) حشرات

أُرَجِّي انصداع الليل والليلُ أسْفَعُ
وأنتظر الشعري وقلبي موجع
فلما بدت من جانب الشرق تلمع
شكوت إلى الشعري العبور حياتي
فلم تسمع الشعري العبور شكاتي

* * *

شموس بأجواز الفضاء تدورُ
وأرض تجافي الشمس ثم تزور
وأكوام أحياءٍ هناك تمور
أرى حركاتٍ في الطبيعة جمَّةً
فأبي قوياً أحدث الحركاتِ

* * *

حياة الفتى نورٌ وفي النور همة
لساعٍ وقد تقضي عليه ملمة
وما الموت إلا ظلمة مدلهمة

جميل صدقي الزهاوي

سينتقل الإنسان قد حان حينه
من النور في يومٍ إلى الظلماتِ

* * *

كلفت بليلي وهي ذات جمال
فلازمتها عمراً بغير منال
وزايلتها لا حامداً لزيالي
نأتُ بي عن ليلي نوى لا أريدها
فما لي إلى ليلي سوى اللفتات

* * *

سأفلتُ من أرض بها أنا موثقُ
وأحظى بصحبي في السماء وألحق
فقد أخذت نفسي من الجسم تزهق
هناك سماء ما تزال تجدُّ لي
منى، وهنا أرض بها نكباتي

* * *

هي النفس أهدتها إلى ذكاءٍ
تُخبِّرني أنّ السماء عزاء
وأن على الأرض البقاء شقاء
سماءٍ شقائي تحتها وسعادتي
وأرض حياتي فوقها ومماتي

* * *

يقول أناس إن عفراء تغضبُ
إذا أبصرت عيناً إليها تُصوّبُ
فقلت لهم أنى فلا تتكذبوا
نظرت إلى عفراء عشرين مرة
فما غضبت عفراء من نظراتي

* * *

نعمتُ زماناً قبل هذا التشتتِ
بعفراءٍ إذ جادت وعفراءُ سلوتي
فلمّا مضت عني إلى غير عودةٍ
«ظللتُ رِدائي فوق رأسي قاعداً»
«أعدُّ الحصى ما تنقضي عِبْراتي»

* * *

لقد فاتني أن أمنع الركب باذلاً
إلى الجهد ما ينهاه من أن يُزايلاً
ولكنني تالله قد كنت جاهلاً
«تساقط نفسي كلَّ يوم وليلة»
«على إثر ما قد فاتها حسرات»

* * *

ألا أيها الشعب الكسول المضيعُ
تَيْقِظْ إلى كم أنت في الجهل تهجع
وغيرُ من العادات ما ليس ينفع
فما القبح في خُلُق امرئ مثل حسنه
ولا سيئات الناس كالحسنات

* * *

تقدّم وسارعُ فالذي يتأخرُ
يُلاقِي هواناً موته منه أيسرُ
فقد أبطأ الشعب الذي يتعثرُ
وأسرَع أقوامٌ وأبطأ غيرهم
وإبطاؤهم من كثرة العثرات

(١٠) جميل وبثين

قالها الشاعر يُخاطب زوجته، يوم أصابته المحنة على أثر ما نشره في «المؤيد» عن المرأة المسلمة.

بمسدّس يذكّيه أو بحُسام
أنّي اجتمعت إليك في الأحلام
بكريمة ينمونها لكرام
بدمٍ له أهريق فوق رغام
من أدمعٍ فوق الخدود سجام
يرجو تقدّمهم مع الأقدام
يسعى لينقذهم من الأوهام
شتان بين مرامهم ومرامي
ويل له من حاملي الأقدام
كم من كرامٍ في التراب نيام
مقلّوة أنوارها بظلام
مُتمتعين بألفة ووثام
وإليك أهدي يا بثين سلامي
وأقوم مُنتصبًا على الأقدام
ببراءتي وعواقب الأيام

أبثين إن أدنى العدو حِمامي
فتجلّدي عند الرزية واحسبي
والصبر أجدر إن ألمت نكبة
أبثين إن أودى جميلك خابطًا
فتدرعي للخطب صبرًا وامسحي
أنا لستُ أوّل هالكٍ في قومه
يأبى لهم هذا الجمود ولا يني
رُمّت الحياة لهم وراموا مقتلي
ويل لـ «عبد الله» جالب نكبتي
أنا لست وحدي إن أمت رهن الثرى
والشمس وهي أجلُّ جرم بازغ
عشنا زمانًا في بلهنية الرضا
فإذا قضيتُ فكل شيءٍ هالك
ولئن أعش فسأنتهي من سقطتي
لا تجزعي يا بثن إنني واثق

(١١) خطرات

يكون ما لا يكون
فيما يتم الظنون
تقائه والفنون
فيما تراه العيون
تموتُ فيه المنون

في الكون بعد عصورٍ
هناك تصدق مني
سيرتقي العلم فوق از
حتى تحار عقول
وسوف يأتي زمانٌ

تقنو الحياة خلودًا والمشكلات تهون
وللطبيعة في هـ هذه الحياة شئون

* * *

إنَّ الصراحة تُغني ما ليس تُغني الرموز
أخو الحجا قبل أن يحـ ممل الأداة يروز
وعند من هو غرُّ يجوز ما لا يجوز
كم جامع لكنوز يفنى وتبقى الكنوز
وقد تموت فتاة ولا تموت عجوز
لا تجبُننَّ فليس الـ جبان شيئًا يحوز
إننا نعيش بعصر فيه الجسور يفوز

* * *

لقد مشيتُ بليل داجٍ بغير دليل
فما بعدت كثيرًا حتى ضللت سبيلي
من لي بماء براد به أبلُّ غليلي
طلبت شيئًا قليلًا فلم أفز بالقليل
وكم صحبت خليلًا فكان غير خليل
كل الأحبة أعدا ئي عند خطبٍ جليل
لا خير لي من بلادي وأسرتي وقبيلي

* * *

يا شعر أنت سماءُ أطير فيها بفكري
طورًا أسف وطورًا أعلو كتحليق نسر
إن لم تُصوّر شعوري فلست يا شعراً شعري
من بعد موتي بحينٍ سيعلم القوم قدري
فقد وقفت حياتي لهم وأفانيت عمري
أودُّ أن تحفروا في جنب النواصي قبري
إنني أمتُّ إليه وإن تأخر عصري

* * *

ليلي أطلّي على العا شقين، ليلي أطلّي
تريّ أعزّة قوم مطأطئين بذل
تريّ صدورًا من الشو ق والصبابة تغلي
عدي وإن كان وعد الـ حبيب رهناً بمطل
هل كان يُمكن أن لا يُحب مثلك مثلي
إني لأجلك يا ليد لى عفت أرضي وأهلي
فأنت منذ حلفنا ماذا فعلت لأجلي

* * *

أبيت في الدار وحدي معاتبًا لخيالك
قد غرني أنه كا ن باسمًا كمثالك
لا تسأليني عما أصابني بعد ذلك
ما زلت أضمر حبًّا مناسبًا لجمالك
أبيع كل حياتي بساعةٍ من وصالك
إني بحُبك يا ليد لى لا محالة هالك
فهل سأخطر يومًا إذا هلكتُ ببالك

* * *

حسبت أن انتهائي من الهوى كشروعي
وأن منه نزولي ميسّر كطلوعي
لا ترجون سلوًّا لي بعد هذا الولوع
لقد مشيت حثيثًا فلا يجوز رجوعي
قد هاج قلبي ليلًا وميض برق لموع
يا برق إنك يا بر ق عارف بنزوعي
فلابتسامك هذا علاقة بدموعي

(١٢) نفثات

إذا هاج ليل البين من مغرم شجوا
أطلت إليها من دجى ليلتي الشكوى
فيرجون لي السلوى وأنى لي السلوى
فقد مرّ لي عهدٌ بجانبها حلوا
وقد كان قبل الريح إذ عصفت رهوا
أيقوى عليه أم عليه الهوى يقوى
فقد لا يلاقي بعد سكرته صحوا
فقد يشربُ الماء القراح ولا يروى
قرارة قلبي من عناء الهوى خلوا
فيسلبني عضوًا ويترك لي عضوا
فهل سرحة الوادي التي تنثني نشوى

لقد هاج ليل البين شجوي ولا غروا
إذا طلعت من خدرها الشمس في غد
يرى الناس ما بي من الهوى من تعاسة
سأبكي على تلك المنازل ساعة
طغى البحرُ في الليل البهيم لعاصف
ولا يعلم الصبُّ المصارعُ للهوى
ليجتنب الإنسانُ أولَ سكرة
ومن كان فيه غلة من صبابة
لقد كان قلبي قبل أن يهبط الهوى
وددت لو أنّ الحب يقسم مُنصفًا
أرى سرحة الوادي مع الريح تنثني

ومنها:

رمانى بسهم في فؤادي وما أشوى
متى يبلغ الإنسان حاجته القصوى

تهضمني دهري فلمّا ذمته
ألا ليت شعري والمنى تتبع المنى

(١٣) إلى أين تقصد

فيا أيها الساري إلى أين تقصدُ
وبعد قليلٍ من هبوطك تصعد
شعابًا إليهن السعالي تردّد
مخاوف فيهن الردى يتهدّد
إلى غابة فيها الكواسر ترصد
تعارض من يمشي إليها فتزرد
إلى الصبح إنَّ الصبح قد ليس يبعد
إلى حيثُ قد غادرت فالعودُ أحمد

سريت تخوض الليلَ والليلُ أسودُ
أراك من الإدلاج تهبط واديًا
لعلك لا تدري بأنك جائزُ
لعلك لا تدري بأنك والجُ
لعلك لا تدري بأنك مُنته
أمامك في تلك الثنية هوة
تثبّط مقيمًا في مكانك وانتظر
وإلا فعد من قبل أن تشهد الردى

ومنها:

أراك شقيًّا في حياة حبيبتها
قسوتَ على الإنسان لما ملكته
وكم مشهد في الأرض يبعث الأسي
نممت من الأيام يا نفس إنها
متى أيُّها الإنسانُ قل لي تسعد
فهل أيها الإنسان قلبك جامد
وما كضحايا العلم في الأرض مشهد
تشابه منها الأمس واليوم والغد

ومن شعره:

إن أنج يا ليلي فرَّبَ فتَّى نجا
أو كانت الأخرى وتلك مظنتي
من كربة سوداء ذات لزام
فعليك يا ليلي عليك سلامي

إن القلوب إذا غدت
فهنالك شيء بالرسا
من ذا يسد على الصبا
كرهت سليمي أن ترى
إني كذلك يا سليمي
لا شيء يفسد حكم قا
وإذا استكانت أمة
وإذا الشعوب تخاصمت
في الحب مترعة الحياض
لته بينها آتٍ وماضي
إن أسرعت طرق الرياض
في لِمَّتِي أثر البياض
عن بياضي غير راضي
نون الجماعة كالتغاضي
فاحكم عليها بانقراض
يوماً فإن السيف قاضي

وقال من قصيدة:

الأقوياء بكل أرضٍ قد قَضَوْا
إن كذبوك يضيرهم تكذيبهم
أن لا يُراعى للضعيف حقوقُ
إياك أعني أيها الصديق

ومنها:

غرَّد بشعر منك في روضِ المنى
أحمامة صدحت بأجرد قاحل
يا روض زهرك قد تغير لونه
لهفي على شعب كبير ماجد
روضُ المنى يا عندليب أنيقُ
هلاً صدحت عليه وهو وريق
لا أنت أنت ولا الشقيق شقيق
حرموه حكم الذات وهو خليق

(١٤) في خلوة الأجداث

نم بعيداً في خلوة الأجداث
نم ملياً فإن نومك قبلاً
نم بها واترك النزاع مثاراً
أنت في القبر غير منزعج من
قد تشبثت عندما كنت حياً
عابراً عرض البحر والبحر عجا
من لرب الآمال قال غروراً
من رغاء الخطوب والأحداث
في الحشايا ما كان غير حثاث
من جراء الأموال للوراث
صخب فوقه ومن هتئات
بحبالٍ من المنى أنكاث
جُجْ بأمواجه على الأرمات
إن تلك الحبال غير رثاث

ومنها:

علّ ما يحثي من ترابٍ علينا
لا سقى الغيث بعد موتي قبري
بعض أجدادنا بكف الحاثي
ما لقبري نفع من الأعياث

ومنها:

اسقني شربة من الماء ترويـ
قد تزوجتها على الحب دنيا
ني فإنني حران أشكو لهائي
فلماذا طلقته بالثلاث

ومنها:

لبنيتها الآباء من ميراث إنما الموت خير ما خلفته

(١٥) مشهد السماء

يا سماء العراق خيرُ سماءٍ
وأحبّتك مثله حوبائي
سحرًا فوق منكب الشجرَاء
بعيون النجوم في الظلماء
ما لها فوق الأرض من ضوءاء
في الدياجي إلى خريير الماء
هدأة في الصباح أو في المساء
آسيًا من أشجاره الجرداء
من زهورٍ أو زهره من رواء
حُب سرًّا بعينك الزرقاء
وهي شكري إليك عند البكاء

أنتِ مما تُبدينه من صفاءٍ
انظُريني فقد أحبّك قلبي
انظُريني إذا العنادل غنت
انظُريني ليلاً إذا الشمس غابت
انظُريني إذا الخليقة أخفت
انظُريني إذا الطبيعة أصغت
انظُريني إذا الحوادث رامت
انظُريني إذا الخريف تراءى
انظُريني إذا غدا الرّوض خلوا
انظُريني من الفروج خلال السُّ
انظُريني إذا نظرتُ بعيني

(١٦) حول العلم

والجهل حرمان لها وبوارُ
غنّاء تجري تحتها الأنهار
يا علم عمّ ربوعك الإقفار
لا أنت أنت ولا الديار ديار
صلى عليك الله والأبرار
أيدٍ عن الغرض الرفيع قصار
وتعيش دهرًا بعده الآثار

العلم ثروة أمة ويسارُ
يا علم قد كانت ربوعك جنّة
من بعد ما كانت ربوعك جنّة
يا علم غيرك الزّمان بصرفه
يا علم يا كلّ الهداية للورى
بالعلم قد طالت فأدركتُ المنى
سيموت رب العلم من مرضٍ به

ومنها:

إن التوقف في زمانٍ حازمٍ
ما كان يفلح في شئون حياته
من راح يمشي في طريقٍ مستوٍ
أخذت تفضل أن تموت عزيزة
لا توقظني إن هجعت من الكرى
فيه تقدّمت الشعوبُ لعمار
شعبٌ على خطأ له استمرار
أمن العثارَ فما هناك عثار
بعض النفوس لأنهن كبار
حتى تُغرّد في الصباح هزار

ومنها:

ألممتُ بالمستنصرية زائراً
دارٌ لعمري كان فيها مرّة
ما إن تبالى الدهر بعد خرابها
ساءلتها مستفهماً عن أهلها
إن الحمى من بعدهم لا ليله
أخذ الفتى لما تذكّر عهده
أطلالها والجامعات تزار
أهل وأخرى ما بها ديار
وقفوا عليها ساعة أم ساروا
فوددت لو تتكلم الأحجار
ليل ولا سُمّاره سُمّار
يبكي فتقرأ دمعهُ الأنظار

ومنها:

حاولت أن ألقى الحقيقة جهرة
العقل سار تارة ومؤوب
ما شاهدت عيناى مؤثر غيره
لو كان للإنسان رأي صائب
يا قوم قد وعر الطريق أمامكم
فإذا الحقيقة دونها أستار
والشك ليل واليقين نهار
إلا وكان لنفسه الإيثار
لأنت بما قد شاءه الأقدار
فإذا عزمتم تسهل الأوعار

ومنها:

إننا بعصر قد أبان رُقيه
قد عاتبوني من جهالتهم على
ما جئت أستبق الحياة مسارعاً
والناس قد غاصوا البحار وطاروا
ما قد أتيت كأُنني مُختار
لو كان لي قبل المجيء خيار

في الروض من قبل الخريف وبرده
إن هدمَّ العربي حوض جدوده
لا يرفع الوطن العزيز سوى امرئ
يا حق قد دفنوك حيًّا في الثرى
قد ساءني من بعد دفنك أنني
ذبلت على أفنانها الأزهار
سخطت عليه يعرب ونزار
حرًّا على الوطن العزيز يغار
يوم القضاء «فعداني استعمار»
ما زرت قبرك «والحبيب يزار»

ومن شعره:

لعلَّ الفتى إذ نام في قبره الفتى
وما كان تحت الأرض يذكر ميِّت
وأطبق جفنًا يستريحُ لدى الغمضِ
لياليه إذ كان يمشي على الأرضِ

لقد صح أن الضعف ذُلُّ لأهله
وأن اقتحام الهول أقصر مسلك
وأن على الأرض القوي مسيطر
إلى المجد إلا أنه متوعر

قد أظهروا أنهم في كل ما فعلوا
وفي السياسة للألفاظ مقدرة
يدافعون عن الأوطان والدين
ليست على سامعيها للبراهين

قد كنت أرجو في الرءوس جراءة
وجدوا طريقًا للتقدم صالحًا
فإذا الرءوس تلوذ بالأذنان
فمشوا به لكن إلى الأعقاب

قد خبرتُ الوجود في كل حال
قد بدا لي أنَّ الزَّمان سكون
ووجدتُ امتداد كل مكين
ووجدت الكهيربات بأحشا
فوجدتُ الزَّمان في السكنات
بين ما للأجسام من حركات
حاصلًا من مكانه والجهات
ء الخلايا مولدات الحياة

أرى الناس فوق الأرض إلا أقلهم
ومن قاس هذا الناس فيما يرونه
قد اختلفوا سعيًا ورأيًا وإحساسا
على نفسه يومًا فما عرف الناسا

ابلُ الرجال بكل أرض أوَّلاً
عاشر أناسًا بالذكاء تميَّزوا
ثم انتخب منهم على استحقاق
واختر صديقك من ذوي الأخلاق

(١٧) الحياة والموت

إن الحياة سعادة وشقاءُ
في قلت من يحيا على ضيق به
للليل صبح سوف يُسفر بادياً
يخشى الحريص على بقاء حياته
لو تمَّ من بعد الخفاء ظهوره
يتعاقبان وضحة وبكاءُ
يأسٌ يُخيِّمُ تارة ورجاء
بعد الظلام وللنهار مساء
يومًا به يأتي الحياة فناء
ما غمَّه بعد الظهور خفاء

ومنها:

لا حيٍّ إلا والمنون تنوشه
للموت في طلب الحياة على الورى
ما للحياة من المنون وقاء
في كل يومٍ غارةٌ شعواء

ومنها:

وإذا الليالي غيرت سعد امرئٍ
ولقد تزول الحرب عن أرضٍ بها
جرت الدُّموع على دماءٍ قد جرت
تبغي المدافع هدم أية قرية
ورأيت في الصبح الشيوخ جميعهم
يخفى الصديق وتظهر الأعداء
شَبَّت وتبقى فوقها الأشلاء
وجرت على تلك الدموع دماء
فلها على شطِّ الفرات رغاء
يدعون لو نفع الشيوخ دعاء

لقد علمت لو أنَّ العلم ينفعني
أنَّ الجماعة دون الفرد معرفة
من طول ما جئتُ قبلاً أدرس الناسا
وفوقه بصروف الدهر إحساسا

فكرة السبق قد بنت
والمساواة قوّضت
كل مجدٍ وسؤدٍ
كل مجدٍ مُشيدٍ

(١٨) السيف

رأيت السيف قد ملك الشعوبا ولم أر أنه ملك القلوبا
رأيت له محاسن فائقات كما أني رأيت له عيوبا
متى ما مسَّ حُرَّ الوجه سيف وإن له جروحًا مبقيات
وكل حكومة بالسيف تقضي فإنَّ أمامها يومًا عصيبا
وليس يدوم للأعلين عزَّ وإنَّ لكل طالعة غروبا
إذا رجع الخصوم إلى التقاضي فإنَّ السيف أكبرهم ذنوبًا
لقد أبدى الردى عن ناجذيه فكان هناك منظره رهيبا
إذا سافرت عن دنياك يومًا فما لك بعد ذلك أن تتوبًا

وإذا مرَّت الحياة على شكٍ لـ بسيطٍ فما بها من سرور
ليس طول الحياة في عدد الأعـ ووام بل في تنوعات الشعور

ليس شيء يضر بالناس كالطيب ش إذا دام دافعًا للحياة
رُبَّ أخلاقٍ أحرزت في عصور فأضيعت بالطيش في سنوات

لا يفوق الإنسان في كونه الحيـ وآن إلا بالعقل والأخلاق
أثبت العلم باكتشافاته للنـ ساس أن الإنسان قرد راقى

كان يهوى ليلي ابن عمِّ ليلي فابتغاها من أهلها كخطيب
ولقد أخبروه من بعد حين أن ليلي قد زُوِّجت بغريب

لقد شخصتْ نحو السماء من الأسى عيونٌ بوجه الأرض ما إن رأت عدلا
وما زفرات الحزن إلا رسائلٌ من الملاء الأدنى إلى الملاء الأعلى

معرفة الرصافي



معرفة الرصافي.

ألمع جوهرة في تاج الأدب العصري، مُحبي الشعر الحزين بقريضه الممتاز، لو درس من العلوم الحديثة بقدر ما أوتي من الشاعرية، لما رأينا الشعر العربي على ما هو عليه الآن، وإن رجع إليه الفضل في إيصال شعرنا العصري إلى مرتبته الرفيعة الحاضرة.

وعندي أن أفضل ما يُنعت به الأستاذ الرصافي «الشاعر»، لولا أنّ هذه الكلمة قد ابتذلتها الألسنة والأقلام، فأصقتها بكل من جمع اللفظة إلى أختها وربطها بوزن وقافية، فلنُسّمه «الشاعر العبقرى»، ولا إخال أن في السويداء رجلاً ينازعه هذا اللقب بحق، وإن نازعه إياه كثير منهم بالباطل.

عرفت هذا النابغة بشعره قبل أن عرفته بشخصه، فكنتُ أتخيله فتّى نحيفاً خفيف الحركة كثير الكلام، حتى أسعدني الحظ بلقياها ومرافقته زمناً، فرأيتُ فيه البطل في هيكله ومهابته، كما عهدته خنزيماً بين الشعراء.

يُحب الصراحة في الفكر والقول، والحرية في العمل، أبىّ مقدام لا يعرف التساهل في مواقف الإباء، ولا يستخذي لضيم أو يستنيم لحادثه، ثابت في مبدئه، ترى الانقباض بادياً على محياه شارة شمه وعزة نفسه.

هو أوّل شاعر جاء قومه العرب بما يُحبون، وصارحهم بما لا يُحبون، لم يعرف للتقليد أو الخضوع للبيئة معنى، لا في صناعته ولا أفكاره، كان من شعره صيحاتٌ عملتُ على تقويض معالم الاستبداد الحميدي، كما أنّه ما لبث بعد تحية الدستور العثماني واستبشاره به أن رجع يُنعي على القوم تخاذلهم لما شام فيهم الرجعية.

أقدس فيه صفة لو أنّصف بها شعراء الشرق كلهم لما عجزوا عن أن يُرجعوا إلى مطلع الشمس روعته وإشراقه، وهو أنه يُحس ويشعر فيقول الشعر؛ لذلك تجيء أبياته وقصائده موجعة نظراً إلى الحقيقة التي فيها.

هذا وإن ما طُبع ونُشر من نظم الأستاذ الرصافي لا يدل على منزلته الفكرية، بل إنّ له قصائد ومقطوعاتٍ لم تُطبع وتُدع بعد، سيكون نصيبها الخلود في أدب الضاد لما حوته من المصارحة بالحقائق الاجتماعية المرّة، مما لم يتعوده الشعر العربي قبله.

وقد رأيتُ في مواقف عديدة يترجم عن شعور أمته، وينظم لها في وصف حالتها شعراً تتخاطفه الأسماع والخواطر، وتتناقله الألسنة فتتحدث به المجالس وتصفق لتلاوته، مع أنّ ما فيه يُدمي القلوب ويستنزف العبرات.

ينظم الأبيات في خلوته، ثم لا تلبثُ أن تراها ذائعة في البلد بعد يومٍ أو يومين، وهو الشاعر العربي الوحيد الذي يتناقل قومه منظوماته ويتناسخونها قبل الطبع.

وإذا رأينا بعض الوزانين يتكلمون القول تكلفاً، لم نرَ كمعروف يترجم بشعره عما طُبع عليه من شيم، ولا سالت نفس شاعرٍ بما سالت به نفس الرصافي الرقيقة الحساسة، على أسلات الألسنة التي تنشد أبياته.

امتاز الأستاذ الرصافي بثلاث خصالٍ رفعتَه إلى هذا المقام:
أولاهما: «شعره الحزين»؛ فهو الذي أحيا «التراجيديا» في أدبنا الحديث بهذا الشكل الرائع، وقد ساعده على الإبداع في المسلك حنانه المتناهي، ورقة عاطفته، تلك العاطفة المجسمة التي لا تعرف لها مستقرًا غير أبيات هذا الشاعر العبقري.
والخصلة الثانية: «نظمه الاجتماعي»؛ فقد عرفناه مفكرًا نشيطًا يدرس حياة المجتمع فيُدرك نقائصه، ويحبس نبضه، فيُشير إلى مواطن النقص والوهن في مجتمعه، مشننًا بالسيئات ما شاء تفننه، واصفًا للداء أنجع دواء؛ فهو الشاعر المُصلح الذي يعمل بقصائده عمل الفيلسوف الاجتماعي في مقالاته وكتبه، ولقد أجمعت الصحافة العربية يوم أُطلعت على ديوانه الأول على أن «ابن الرصافة» مبتكر طريقة النظم الاجتماعي، وفارس الميدان فيه.

أما الخصلة الثالثة التي تفضل قريضة كله فهي: «شعره القصصي أو الروائي»؛ فقد سبق شاعرنا في هذا الباب صاغة القوافي من مُعاصريه كلهم، وانفرد بينهم بهذا الأسلوب الفتان، وما حواه من الوصف الدقيق، والتعبير الرقيق، وبراعة الدِّباجة، واستفزاز الشعور، وتحريك العواطف، إلى غيرها من صفات الأدب السامي، ولا يدرك معنى هذا القول إلا من قرأ «أم اليتيم» و«اليتيم في العيد» و«المطلقة»، وأمثالها من بدائعهم. ونختم كلمتنا عن المعروف بقول رجلين فيه من فضلاء الرجال، أولهما عالم وأديب كبير هو المرحوم محيي الدين الخياط، قال:
«لو كان أسلوب الرصافي كلفظه، وشعره كله كوصفه، لما علا عليه شاعر في هذا العصر.»

والثاني هو إبراهيم سليم نجار صاحب جريدة «لسان العرب» المقدسية، أعرف صحافي في الشئون العربية، قال في جريدته:

ولقد بنى لنا الرصافي صروحًا من المجد بأبياته الخالدات، وآياته البيئات، فكم له من نفثات دونهن السحر، وكم له من وقفات ووثبات عاد على قضيتنا منها بجميل الأثر وطيب الذكر.

وُلد معروف الرصافي في بغداد سنة ١٢٩٢ هجرية، في أسرة مُتوسطة الحال، أمًّا أبوه فمن عشيرة كردية تقطن في نواحي كركوك تُسمَّى الجبارة، وتدَّعي هذه العشيرة أنها علوية النسب، ويُسلم لها جميع أهالي كردستان بذلك، فإن صح ادعاؤها فهي عربية الأصل، وأمَّا أمه فمن عشيرة القراغول، وهم بطن من شمر القاطنين في سهول العراق.

درس المترجم مبادئ العلوم الابتدائية في كتاتيب بغداد ثم دخل المدرسة الرشدية العسكرية، وكانت هذه المدرسة الوحيدة يومذاك في مدينة السلام، فمكث فيها ثلاث سنوات ارتقى إلى الصف الثالث، وفي السنة الرابعة لم ينجح في امتحان الصف الرابع، فحمله ذلك على ترك المدرسة المذكورة، وأخذ بعد ذلك يختلف إلى المدارس العلمية في بغداد طلباً للعلم؛ فدرس العلوم العربية وغيرها من سائر العلوم الإسلامية عند العلامة محمود شكري الألوسي الشهير^١ وغيره من علماء بغداد، غير أنّ تردده إلى الأستاذ المشار إليه كان أكثر؛ فقد لازم الدرس عنده زهاء اثنتي عشرة سنة، صار في أثناءها معلماً في بعض المدارس الابتدائية الرسمية في مدينة المنصور، ليستعين في حياته المادية — بما يتقاضى من الراتب الزهيد فيها — على مواصلة طلب العلم، ثم فرغت وظيفة التدريس في قضاء مندلي من أعمال بغداد، فوضعتها الحكومة في المسابقة بالامتحان، وكان طالبو هذه الوظيفة أحد عشر رجلاً، بينهم الأستاذ الرصافي، الذي كان الفوز عليهم نصيبه في الامتحان، فعُين مدرساً للقضاء المذكور، غير أنه قبل استلامه زمام وظيفته رغب إليه مدير المعارف في بغداد بإيعاز من واليها نامق باشا أن يتنازل عن التدريس في القضاء المذكور على أن يعتاض عنه بتدريس آداب اللغة العربية في المدرسة الإعدادية الرسمية في بغداد براتب لا يقل عن راتب التدريس في القضاء المذكور، فقبل ذلك وظل في عاصمة العراق يُدرّس العربية في المدرسة المذكورة إلى إعلان الدستور العثماني.

وقد أخذ الأستاذ الشاعر من أوّل نشأته يحفظ الشعر ويعالج النظم، وهو مطبوع عليه، حتى أحرزت قصائده استحساناً عظيماً في أندية الأدب هنا وهناك، وتفاعل قراء شعره بنبوغه في الفن، وأمّلوا له مستقبلاً كبيراً في هذا الميدان، وكان ينظم القصائد الحماسية والاجتماعية، ويكشف بها سوءات الحكم، وسيف الاستبداد الحميدي مُصَلّت فوق الرّقاب، وهو يبعثُ بقصائده هذه إلى مصر، وتُطبع هناك، وتعمل تأثيرها بانتشارها في الصحف والمجلات، وبخاصة في مجلة المقتبس وجريدة المؤيد؛ مما أكسب صاحبها ذكراً نابهاً في العالم العربي كله.

وقد قام يتغنّى بالحرية جهاراً بعد أن كان تغنّيه بها في الخفاء عُقيب أن أفاض الدستور على بلاد السلطنة العثمانية أنواره، وشرع يُنشد قصائده الأبيكار في الحفلات الكبرى، ويُلقي الخطب الحسان في نهضة الأمة، وحثها على التقدم والفلاح.

^١ راجع «قسم المنثور» من كتابنا هذا تجد ترجمة الأستاذ الألوسي، وذكر تأليفه ونخبة من آثاره.

وفي هذه الأثناء طلب صاحب جريدة «إقدام» التركية الشهيرة إلى المترجم السفر إلى فروق للتحرير في جريدة عربية راقية باسم «الإقدام» تكون بجانب «إقدام» التركية، لكن المشار إليه عدل عن فكرة إصدار الجريدة العربية بعد أن وصل الأستاذ الرصافي القسطنطينية؛ فبقي هناك بضعة أشهر شهد في خلالها واقعة «٣١ مارت» الشهيرة، وذهب في هذه الأثناء إلى سلانيك للنزهة، وبقي فيها شهرًا، ثم قفل راجعًا إلى إستانبول، وعاد منها إلى محطة بغداد، وفي رجوعه أحوجته الدراهم لنفقات السفر وهو في بيروت؛ فابتاع محمد جمال صاحب المكتبة الأهلية فيها مجموعة قصائده، التي جمعها العالم الفاضل المرحوم محيي الدين الخياط في ديوان أصدرته المكتبة المذكورة باسم «ديوان الرصافي»، كان له حجة كبرى في عالم الأدب، وكتبت عنه الصحف والمجلات وكبار الأدباء الفصول الضافية، نخص منها بالذكر مقالة بديعة في «الشعر العربي والرصافي»، للأديب الكبير الأستاذ عبد القادر المغربي، ومقالة ثانية ممتعة كتبها الباحثة المفضل الأب لويس شيخو اليسوعي، في مجلة «المشرق» البيروتية، إلى غيرهما مما أثبت في الجزء الثاني من ديوانه. وبعد أن عاد الأستاذ الشاعر إلى بغداد بشهر، وردته برقية من أصحابه في الآستانة، تنبئُ بتعيينه مُدرِّسًا للغة العربية في المدرسة الملكية العالية، والتحرير في جريدة عربية باسم «سبيل الرشاد»، تصدر هناك لمديرها المسئول عبيد الله مبعوث آيدين. فوصل إلى دار الخلافة، واستلم وظيفته وظل يُحرِّر في تلك الجريدة نحو سنة، وكان يُدرِّس كذلك الآداب العربية في مدرسة الواعظين التابعة لوزارة الأوقاف، وقد طُبعت مُحاضرات المترجم التي ألقاها في هذه المدرسة عن الخطابة عند العرب في كتاب صدر في فروق بعنوان: «نفتح الطيب في الخطابة والخطيب»، كما أنَّ مجلة «المنتدى الأدبي» نشرت شيئًا من محاضراته في الأدب والشعر.

وانتخب أخيرًا مبعوثًا عن المنتفق في المجلس النيابي العثماني، حتى جاءت الحرب العظمى، وقد تزوج في الآستانة، ولم يعيش له ولد، وأتقن مدة إقامته في العاصمة العثمانية اللغة التركية التي تعلم مبادئها في مسقط رأسه، ورجع الأستاذ الرصافي بعد الهدنة إلى الشام، في عهد حكومتها العربية، فلم تُسند إليه منصبًا يليق بمقامه العلمي والأدبي، لما عُرف به من الإباء والترفع عن التذلل لمن بأيديهم الحُل والعقد، وبعد أن قصى هذا الأديب الكبير في دمشق مُدَّةً عانى فيها ألم الحاجة، في حين كانت السلطة هناك تفرق على أعوانها الذهب الإبريز من غير حساب، استدعي من القدس الشريف لتعليم الآداب العربية في دار المعلمين فيها، بإشارة أحد أصحابه الفضلاء هناك؛ فغادر الشام إلى أورشليم، وعاش في منصبه الجديد عيشة رضية.

وقد أقامت له الكلية الإنكليزية حفلة تكريمية شائقة اشترك فيها كبار أدباء فلسطين كلهم، وأطنبت الجرائد في وصفها إطناباً دلّ على تقدير القوم لنابعنا، وبعد أن تألفت الحكومة الوطنية المؤقتة في العراق سنة ١٩٢١، طُلب إلى الأستاذ الرصافي أن يقدم إلى موطنه العراق لحاجة البلاد إلى رجالها المفكرين؛ فغادر القدس مشيئاً بتكريم واحترام، وقد عُين بعد قدومه إلى العراق نائباً لرئيس لجنة الترجمة والتعريب في وزارة المعارف، وهو المنصب الذي يشغله حتى كتابة هذه السطور.

اشتغل الشاعر الكبير بمؤلفاتٍ عدةٍ ثمينةٍ حسبما تيسر له من أوقات الفراغ، واجتمع لديه من أشعاره الرّاقية مجموعة كبيرة طُبِعَ قسم منها في ديوانه الأول، وما تبقى أُودع ديوانه الثاني غير المطبوع، وها نحن ذاكرون مؤلفاته مبتدئين بالدواوين:

(١) ديوان الرصافي (الجزء الأول): يحوي نُخبة ما نظمه الأستاذ الرصافي من أول عهده بقرض الشعر حتى سنة ١٩١٠، وقد طُبِعَ في بيروت سنة ١٩١٠، ولقي رواجاً عظيماً بحيثُ كادت أن تنفد نسخته في مدة قصيرة، وهو في أبواب متنوعة يغلب عليها الاجتماع والوصف والقصص.

(٢) ديوان الرصافي (الجزء الثاني): يتضمن ما نظمه شاعرنا العبقري من عهد طبع ديوانه إلى هذا اليوم، ويغلب على منظومات هذا الديوان المواضيع السياسية والاجتماعية. وللأستاذ غير هذين الديوانين مجموعة من القصائد والمقطعات التي لم تُنشر لما فيها من الحقائق التي يؤلم القوم إعلانها.

(٣) رواية الرؤيا: ترجم الرصافي هذه الرواية عن نامق كمال الشاعر التركي الشهير، وهي أول أثر نشر في له، وطُبعت في بغداد سنة ١٩٠٩.

(٤) دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة: طُبِعَ في الآستانة سنة ١٣٣١، وضمنه ذكر الكلمات العربية المستعملة في اللسان التركي.

(٥) نفح الطيب في الخطابة والخطيب: مجموعة محاضراته التي ألقاها على طلبة مدرسة الواعظين في القسطنطينية، بموضوع الخطابة والخطباء عند العرب قديماً وحديثاً، طُبِعَ في أول سنة ١٩١٥.

(٦) الأناشيد المدرسية: وضع المترجم طائفة من الأناشيد الوطنية والأدبية التي يتغنّى بها طلبة المدارس، جمعها خليل طوطح مدير دار المعلمين في القدس، وضبط أنغامها بالنوتة الإفرنجية، وطبعها هناك سنة ١٩٢٠.

(٧) محاضرات الأدب العربي (جزءان): ألقى الأستاذ الرصافي صيف ١٩٢١ محاضراتٍ نفيسةً في الأدب العربي وتاريخه على معلمي المدارس في بغداد، فجمع مؤلف هذا الكتاب هذه المحاضرات، وطبعها في بغداد سنة ١٩٢٢، وقد جمع كذلك مجموعة محاضراته في السنة التالية في هذا، وستُطبع قريباً في جزء ثانٍ.

(٨) كتاب الآلة والأداة: هو كتاب ممتع وضعه صاحب الترجمة في أسماء الآلات والأدوات التي يستعملها الإنسان، وقد أودعه طائفة كبرى من الألفاظ الحديثة، وقدم عليه مقدمة نفيسة في التعريب والاشتقاق، أثبت فيها رأيه الخاص في هذا الباب (جاهز للطبع).
(٩) دفع المراق في لغة العامة من أهل العراق: ضمَّنه بحثاً مستفيضاً عن اللغة العامية بالعراق، وقواعدها، وآدابها، وأمثالها ... إلخ، وهو أطول ما كتب في هذا الباب، ولا يزال مخطوطاً.

هذه مؤلفاته، وهو يروم وضع كتاب خطير في وصف حالة المسلمين اليوم.

وفيما يلي نبذة من شعره:

نحن والماضي

عهدتك شاعرَ العرب المجيدا	فما لك لا تطارحنا النشيدا
فنحن إليك بالأسماع نُصغي	فهل لك أن تُفِيد فتستفيدا
بشعر لا تزال تنوط منه	بجيد بدائع الدنيا عقودا
إذا أنشدته الحسناء تاهت	كأن قلَّدتها درًّا فريدا
وأنت إذا قرعت به عبيداً	رددت إلى الحرار به العبيدا
ولو تستنهض الجبناء يوماً	به لتقحَّموا الهيجا أسودا
ولو كرَّرتَه للقوم ألقا	لأقسم سامعون بأن تُعيدا
وكم تهتزُّ أعطاف المعالي	إذا ما قلتَ قافية شرودا
فلو أنشدتنا في الفخر شعراً	تذكَّرنَا به العهد البعيدا
تذكرنا الأوائل كيف سادوا	وكيف تبوعوا الشرف المديدا

* * *

فقلت له وقد أبدى ارتياحًا
أجل، إن القبائل من معد
وإن لهاشم في الدهر مجدًا
ومذ قام «ابن عبد الله» فيهم
وأنهضهم إلى الشرف المُعلّى
فأصبح واريًا زند المعالي
فهم فتحوا البلاد ودوّخوها
وهم كانوا أشدّ الناس بأسًا
وأرجحهم لدى الجلى حلوّمًا
ولكن أيها العربي إني
وما يجدي افتخارك بالأوالي

إليّ إذ ارتجلتُ له القصيدا
علّوا فتسنّموا المجد المجيدا
بناه لها الذي هشم الثريدا
أقام لكل مكرّمة عمودا
وكانوا عنه قبلئذٍ قعودا
وقبلًا كان مقدمه صلودا
وقادوا في معاركها الجنودا
وأمنع جانبًا وأعمّ جودا
وأصلبهم لدى الغمرات عودا
أراك لغير ما يُجدي مُريدا
إذا لم تفتخر فخرًا جديدا

* * *

أرى مستقبل الأيام أولى
فما بلغ المقاصد غيرُ ساع
فوجّه وجهه عزمك نحو آتٍ
وهل إن كان حاضرنا شقيًا
تقدم أيها العربي شوطًا
وأسس من بنائك كل مجدٍ
فشرُّ العالمين ذوو خمولٍ
وخير الناس ذو حسبٍ قديمٍ
تراه إذا ادّعى في الناس فخرًا
فدعني والفخار بمجد قومٍ
قد ابتسمت وجوه الدهر بيضًا
وقد عهدوا لنا بتراث ملكٍ
وعاشوا سادةً في كل أرضٍ
إذا ما الجهل خيم في بلادٍ

بمطمح من يُحاول أن يسودا
يُرَدّد في غدٍ نظرًا سديدا
ولا تلفت إلى الماضين جيذا
نسودُ بكون ماضينا سعيديدا؟
فإنّ أمامك العيش الرغيدا
طريف واترك المجد التليدا
إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
أقام لنفسه حسبًا جديدًا
تقيم له مكارمه الشهودا
مضى الزّمن القديم بهم حميدا
لهم ورأيننا فعبسنا سودا
أضعنا في رعايته العهودا
وعشنا في مواطننا عبيدا
رأيت أسودها مُسخت قرودا

المرأة في الشرق

يعيشون في ذلِّ به وشقاءٍ
بمنزلة الأقياد للأسراء
حياة تخطَّت خطة السعداء
أبوا أن يسيروا سيرة العقلاء
عليهن في حبس وطول ثواء
عليهن إلا خرجه بغطاء
يغارون من نور به وهواء
فما هنَّ في أمر من الخُلطاء
لغير قرار في البيوت وباء
وإن صِنَّ عن بيع لهم وشراء
بما فعلوا من الأُم اللُّوماء
لكانوا بما أبَقُوا من الكرماء
على الذلِّ شَبُّوا في حجور إماء
تحمُّلُ جور الساسة الغرباء
سواكم من الأقوام حبل بقاء
وهل سعدت أرض بغير سماء
تُمثِّلُ حالِي عزة وإباء
على مسرح التمثيل زيَّ نساء

ألا ما لأهل الشرق في بُرحاءٍ
لقد حكَّموا العادات حتى غدت لهم
إذا تختبرهم في الحياة تجدُ لهم
وما ذاك إلا أنهم في أمورهم
لقد غمَّطوا حق النساء فشدَّدوا
وقد ألزموهنَّ الحجاب وأنكروا
أضاقوا عليهن الفضاء كأنهم
قد انتبذوا عنهن في العيش جانبًا
وقد زعموا أن لسن يصلحن في الدنا
فما هنَّ إلا متعة من متاعهم
أهانوا بهن الأمهات فأصبحوا
ولو أنهم أبَقُوا لهنَّ كرامة
ألم ترهُم أمسوا عبيدًا لأنهم
وهان عليهم حين هانت نساؤهم
فيا قوم إن شئتم بقاءً فنازعوا
أيسعد محياكم بغير نساءكم
وما العار أن تبدو الفتاة بمسرح
ولكن عارًا إن تزيَّا رجالكم

* * *

وإن كان قولي مسخط السفهاء
فبُعدًا لهم في الشرق من كبراء
يُسْمُون أهل الجهل بالعلماء
فقد يدَّعيه أجهل الجهلاء
لصبَّ عليهم منه سوط بلاء
ونادى عليهم مؤذنا بفناء
فعاشوا ولو في ذلِّه وشقاء

أقول لأهل الشرق قول مؤنَّب
ألا إن داء الشرق من كبرائه
وأقبح جهل من بني الشرق أنهم
وأكبر مظلوم هو العلم عندهم
لو اقتصَّ رب العلم للعلم منهم
ولاستأصل الموت الوحي نفوسهم
ولكن حلم الله أبقى عليهم

لقد مزَّقوا أحكام كل ديانة
وما جعلوا الأديان إلا ذريعة
وما علماء الجهل إلا مساقم
وخاطوا لهم منها ثياب رياء
إلى كل شغبٍ بينهم وعداء
رمت جهلاء العلم بالقُوباء

* * *

ألا يا شباب القوم إنني إلى العلى
أما أن للأوطان أن تنهضوا بها
فقد بَحَّ صوتي واستشاطت جوانحي
على أن لي فيكم رجاءً وإن يكن
وما أنا في وادي الخيال بهائم
لُداع فهل من يستجيب دعائي
لإدراك مجد وابتغاء علاء
وقلَّ اصطباري واستطال بكائي
من اليأس مسدودًا طريق رجائي
وإن كنت معدودًا من الشعراء

أنا والشعر

أرى الشعر أحياناً يجيش بخاطري
ويسكن أحياناً فأشجى وإنما
وقد أتوَّخى الهزل منه مُجاريًا
ولكنَّ نفسي وهي نفس حزينة
وقد علم الراون شعري بأنهم
وإنني إذا استنبطته من قريحتي
وإنني على علم طويت سهوله
وإنني لمَحَاصُ له بسليقة
وهل يخطر الشعر الرِّكِّك بخاطري
ألا لا اهتدت بالشعر يوماً هواجسي
ولا غصتُ في بحر القريض مخاطرًا
على أن لي طبعًا لبيقًا بوشيه
إذا انتظمت أبياته في قصائدي
وما كان روح الشعر يوماً لتُجتني
ولم يستقد إلا لذي ألمعيَّة

ويبذل ما قد عزَّ لي من مصونه
تحرُّكُ شجوي ناشئٌ من سكونه
لدهر أراه مُوغلاً في مجونه
تميل إلى المشجي لها من حزينه
إذا أنشدوه أُطربوا بلحونه
شفيت صدى الرَّاوي ببرد مَعينه
ولم أتخيَّر خابطًا في حزونه
أبت غنَّه واستوثقت من سمينه
إذا كان في طوعي اختشاب متينه
إذا هي لم تنزع إلى مستبينه
إذا لم أفز من دُرَّه بثمينه
نزوعًا إلى أبكاره دون عونه
تري كل بيت مُمسِكًا بقرينه
بغير اليد الطولى ثمارُ غصونه
يكونُ كراي العين رجم ظنونه

يلوح سناها غرّة في جبينه
 وإنّ النهى معدودة من قيونه
 عليه ففجراه بفجر يقينه
 ومسلي فؤادي عند وري شجونه
 إذا الدهر أبكاني بريب منونه
 فيظهر لي فيها خيال شئونه
 بما دار في الأحقاب من منجنونه
 إلى الغيب لاستشفت ما في بطونه
 سمعت بها منه حديث قرونه
 رسولاً بشعري حاملاً لرقينه
 ونجم سهاه والجديّ خدينه
 من الشعر أجري منشآت سفينه
 ولا عن قوافيه ولا عن فنونه
 لما عشت أو ما رُمْتُ عيشاً بدونه
 فما بعده للمرء غير جنونه

وإني قد مارسته بفطانة
 لعمرك إنّ الشعر صمصام حكمة
 إذا جنّني ليل الشكوك سللته
 وما الشعر إلا مؤنسي عند وحشتي
 تقوم مقام الدمع لي نفثاته
 وأجعله للكون مرآة عبرة
 فأبصر أسرار الزمان التي انطوت
 وللشعر عين لو نظرت بنورها
 وأذن لو استصغيتها نحو كاتم
 وليل إلى شعراه أرسلت فكرتي
 سل الليل عني نسره وسماكه
 فكم بت في نهر المجرة في الدجى
 هو الشعر لا أعتاض عنه بغيره
 ولو سلبتنيه الحوادث في الدنا
 إذا كان من معنى الشعور اشتقاقه

بعد براح الشام

حتام تذهب في المنى وتئيض
 عظم يقلقل في هواك مهيض
 ما للظلام لفجرتها تقويض
 فنفت كراك كما يطن بعوض
 فكأن قلبك بالهموم رضيع
 ضاقت سموات بها وأروض
 فالهول تركب والصعاب تروض
 أم أي ملتطم الخطوب تخوض

قد صح عزمك والزمان مريض
 ما بال همك في الفؤاد كأنه
 كم بت معتلج الهموم بليلة
 طنت بمسمعك الهواجس في الدجى
 تنبو جنوبك عن فراش ناعم
 كبرت لنفسك في الحياة لبانة
 ما زلت تقتحم المهالك دونها
 لله أنت فأى هول تمتطي

* * *

يجلو الشكوك يقينها الممحوض

ولرب قافية كمؤتلق السنى

فات الأنام بمثلها التعريض
ونجا بي المضممار وهو مروض
يجري سبوح خلفه وركوض
بمفاخر العرب الكرام تفيض
أنا من جواه على النوى معروض
هممًا تخونُها ونى وربوض
قبلي ولم يُنشد هناك قريض
خاب القريض وعاد وهو جريض
مَا كان حرًّا شعره المقروض
كأبي براقش طبعه المرفوض
أنا كنت أبنيتها وكان يقوض
وشره هذا الدرهم المقبوض
طرّف المعاند دونهن غضيض
حجج دوامغ ما لهن دحوض
بمقال صدقٍ ليس فيه غموض

صرّحت في إنشادها بحقيقة
ولقد أجزّني القريض عنانه
وأتى المدى يوم السباق مُجلياً
قد كنت أنبط للقريض قريحة
ولكّم وقفت من السياسة موقفاً
مُستنهداً من ولد يعرب للعلی
أيام لم ينطق بذلك شاعر
حتى إذا دار الزّمان مداره
وغدا يُنازعني الحرورة شاعرٌ
ويبزني ثوب الأمانة خائن
كم مدعٍ دعواي في وطنية
من كل عبد في السياسة باعه
تعس المخاصم إن لي لقصائداً
فإذا ادّعت فهنّ في دعواي لي
وسل اليراع يُجبك عني ناطقاً

* * *

أني إليهم يا أميم بغيض
عهد الصداقة عنده منقوض
إن الصنائع في الرجال قروض
ما للحقيقة في الزمان وميض
أبدى العجائب صرفها الممخوض
في الحكم تطهر تارة وتحيض
سوداء تقناً في وغاها البيض
فانحطّ أوجٌ واشمخرّ حضيض
قد جاء وهو لمذرويه نفوض
فزهاه عجباً ثوبه المرحوض
دث وقطر شرورهم إغريض

لما تكرهني الأراذل سرّني
ولقد برئت إلى الوفاء من امرئ
وجزيت كل صنيعه بمثالها
لا تطلبنّ من الزّمان حقيقة
وإذا مخضت من الليالي صرفها
وحوادث الأيام مثل نسائها
ولربما أنتجن كل كريمة
قد ساء مُنقلب البلاد بأهلها
ذهب الحياء فكم رأينا صاغراً
وقح تعامى عن مدانس عرضه
غلب الشقاء على الأنام فخيرهم

في قوس كل ضغينة تنبيض
في العلم قلَّ نصيبها المقروض
ما دام مُلكٌ في البلاد عضوض
حتى تقدّم من قفاه عريض
مُقت الأديب وأكْرِم العريض
أعياء بالنسب الرفيع نهوض
لم يبتعثه إلى العلى تحريض

كيف السعادة في الحياة وللورى
أم كيف تبتدع المعالي أمة
لن تعدم الدنيا الشقاء بأهلها
ويح الذكاء فقد تأخّر أهله
أخرى البلاد مفاصدًا بلدٌ به
وإذا الفتى قعدت به أفعاله
والمرء إن عدت سجيته العلى

بعض الناس ...

وإناتًا لهم قصور مشاله
ونعيم ورفعة وجلاله
يا وعاشوا على الرعية عاله
أعين السعي من نعيم البطاله
أعوزتهم سخينة من نخاله
كي تنال النعيم تلك السلاله
س لمحيا آل السلاطين آله
وحملنا من دونهم أثقاله
دونهم للوغى نرد صياله
فعلينا تكون فيها الحماله
فعلينا رضاعه والكفاله
أظهروه لنا على كل حاله
قة إلا رسوخهم في الجهاله
س لكانوا نُفائيةً وحثاله
ل لكانوا بين الورى تمثاله
ثم زادوا أصهارهم والكلاله
ش فكانوا ضغنا على إباله
ع كما أعطى الأجير العماله

هم يعدون بالمئات ذكورًا
ولهم أعبدُ بها وإماء
تركوا السعي والتكسب في الدن
يتجلى النعيم فيهم فتبكي
يأكلون اللباب من كد قوم
فكأن الأنام يشقون كدًا
وكان الإله قد خلق النا
نعموا في غضارة الملك عيشًا
فإذا ما طال العدو خرجنا
وإذا هم جرؤوا الجرائر يومًا
وإذا ما استهلّ فيهم وليد
قد رضينا بذاك لولا عتو
ما بهم ما يميزهم عن بني السو
هم من الناس حيث لو غربل النا
ومن الجهل حيث لو صور الجه
حملونا من عيشهم كلّ عبء
فكفينا أصهارهم مؤنة العبد
فكأننا نُعطيهم أجره البض

تلك والله حالة يَفْشَعِرُ الـ
هي منهم دناءةٌ وشنارٌ
ليس هذا في مذهب الإشتراكيِّ
وهو في المِلَّة الحنيفية البيـ
حق منها وتشمئز العدالة
وهي منّا حماقة وضلاله
ة إلا من الأمور المحاله
ضياء كفرٌ بربنا ذي الجلاله

وجه ابن آدم

لله سرٌّ في الأنام مُطْلَسَمٌ
برأ ابن آدم وهو إن لم تلقه
وإذا نظرنا في العجائب نظرةً
أما العجيب من ابن آدم فهو ما
والوجه أعجب ما رأيت وإنه
هو من طراز الله إلا أنه
أما الحَوَاجِب فيه فهي كواشف
ولرُبَّ خافية يُكْتَمها الفتى
كلُّ يُشِير إلى السريرة وجهه
فالوجه فيه من القرونة مسحةٌ
صرع النهى فالوهم فيه تيقن
ولرُبَّ وجهٍ في تبسُّمه البكا
والأنف في وجه ابن آدم زينة
كالهدب في شفر العيون فإنّه

حار الفصيحُ بوصفه والأعجمُ
في الخلق أقدم فهو فيه مقدّم
ظهر ابن آدم وهو منها الأعظم
نسق الكلام به إذا نطق الفم
ليحار في سحنائه المُتوسِّم
بسرائر النفس الحديثة مُعَلَم
والعين فيه من الضمير تترجم
والوجه منه بسرّها يتكلم
فكأنه بضميره مُتَلَتَّم
للخافيات بها وضوحٌ مبهم
تحن الملامح واليقين توهم
ولرُبَّ وجهٍ في بكاه تبسُّم
فالوجه لولا أنفه متجهّم
لولاه تنشتر العيون وتسجم

* * *

إنَّ الوجوه صحائف مطموسة
بينك تقرأ حروفها مُتَفَهِّمًا
فالعقل فيها عالم مُتجاهل
إني أرى هذي الوجوه نواطقًا
وأرى لحاظ عيونها مُتحدِّثًا
فكأنني البدويُّ يسمع راطنًا
يمحو كتابتها ويثبتها الدم
يبدو تحرفها فلا تتفهّم
طورًا وطورًا جاهلٌ متعلم
بالسرِّ لكن نطقهن مُجَمِّم
عنها ولكنَّ الحديث مرجم
وكأنما هي أعجميٌّ طمطم

* * *

ولرَبِّ وجه يستبِك بحُسْنِه
يدنو إليك وأنت خلُو من هوى
وإذا تغَيَّب فالبدور مُضيئة
لله في وجه ابن آدم حكمة
فتروح منه وأنت صبُّ مغرم
ويصدُّ عنك وأنت فيه متيم
وإذا أضاء فكلُّ بدرٍ مظلم
يعنو السفية لها ومن يتحلَّم

خواطر شاعر

لعمرك ما كلُّ انكسارٍ له جبرُ
لقد ضربت كَفُ الحياة على الحجا
فقمنا جميعاً من وراء ستارها
حكمت سرحة فنواء نبصر فرعها
وقد قال بعضُ القوم إنَّ حياتنا
فإن كان هذا القول فيها حقيقةً
وروح الفتى بعد الردى إن يكن لها
وإن رقيت نحو السماء فحبذا
وأعجب شأن في الحياة شعورنا
وللنفس في أفق الشعور مخايلُ
وما كل مشعور به من شئونها
ففي النفس ما أعيى العبارة كشفهُ
ومن خاطرات النفس ما لم يقم به
ويا رَبِّ فكر حاك في صدر ناطق
ويا رَبِّ معنى دق حتى تجاوزت
أرى اللفظ معدوداً فكيف أسومهُ
وأفق المعاني في التصوُّر واسعُ
ولولا قصور في اللغى عن مرامنا
ولست أخص الشعر بالكلم التي

ولا كلُّ سرٍّ يُستطاع به الجهرُ
ستاراً فعلمُ القوم في كنهها نزرُ
نقول بشوق ما وراءك يا ستر
ولم ندر منها ما الأنابيش والجذر
كليلٍ وإنَّ الفجر مطلععه القبر
فيا شدَّ ما قد شاقني ذلك الفجر
بقاءً وحسُّ فالحياة هي الخسر
إذا أصبحت مأوى لها الأنجم الزهر
وأعجب شأن في الشعور هو الحجر
إذا أبرقت فالفكرُ في برقها قطر
قديرٌ على إيضاحه المنطق الحرُ
وقصّر عن تبيانه النظم والنثر
بيان ولم ينهض بأعبائه الشعر
فضاق من النطق الفسيح به الصدر
إليه من الألفاظ أعينها الخزر
كفاية معنى فاته العدُّ والحصر
يتيه إذا ما طار في جوِّ الفكر
لما كان في قول المجاز لنا عذر
تُنظَّم أبياتاً كما يُنظَّم الدرُّ

يكون على فعل اللسان له قصر
 كما رَنَحَتْ أَعْطَافَ شَارِبِهَا الْخَمْرُ
 مَهِيَجًا كَمَا يَسْتَنُّ فِي الْمَرْحِ الْمُهْرُ
 عَلَى أَيْكَةِ يُشْجِي الْحَزِينَ لَهَا هَدْرُ
 عَلَى الزَّهْرِ فِي رَوْضٍ بِهِ ابْتَسَمَ الزَّهْرُ
 بِهَا قَدْ شَكَا لِلْحُبِّ مَا فَعَلَ الْهَجْرُ
 بِنَجْلَاءَ تَسْبِي الْقَلْبِ فِي طَرْفِهَا فَتْرُ
 مَفْجَعَةٌ أَوْدَى بِوَاحِدِهَا الدَّهْرُ
 تَعَاوَرَ مَجْرَى صَوْتِهِ الْخَفْضُ وَالنَّبْرُ
 لَدَى جَنَّةٍ قَدْ فَاحَ مِنْ وَرْدِهَا نَشْرُ
 وَتَرْنِيمِ مَزْمَارٍ بِهِ أَطْرَدَ الزَّمْرُ
 بَجْنَحِ الدُّجَى بَاتَتْ يُضَاحِكُهَا الْبَدْرُ
 لِيَطْرِبَ نَفْسِي فَوْقَ مَا أَطْرَبَ الشَّعْرُ
 لِعَمْرِ النَّهْيِ لِلشَّعْرِ عِنْدَ النَّهْيِ قَدْرُ

وذاك لأنَّ الشعرَ أوسعَ من لُغَى
 وما الشعرُ إِلَّا كُلُّ ما رَنَحَ الْفَتَى
 وَحَرَكَ فِيهِ سَاكِنَ الْوَجْدِ فَاغْتَدَى
 فَمِنْ نَفَثَاتِ الشَّعْرِ سَجَّ حَمَامَةٌ
 وَمِنْ نَفَثَاتِ الشَّعْرِ حَوْمُ فَرَاشَةٍ
 وَمِنْ نَفَثَاتِ الشَّعْرِ دَمْعَةٌ عَاشِقٍ
 وَمِنْ نَفَثَاتِ الشَّعْرِ نَظْرَةٌ غَادَةٌ
 وَمِنْ نَفَثَاتِ الشَّعْرِ رِنَّةٌ ثَاكِلٍ
 وَمِنْ نَفَثَاتِ الشَّعْرِ تَرْجِيْعُ مُطْرِبٍ
 وَمِنْ نَفَثَاتِ الشَّعْرِ تَغْرِيدٌ بَلْبِلٍ
 وَمِنْ نَفَثَاتِ الشَّعْرِ نَعْمَةٌ أَرْغَنِ
 وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ ائْتِلَاقُ كَوَاكِبٍ
 وَإِنْ ابْتَسَامَ الْغَيْدُ عَنِ كُلِّ أَشْنَبٍ
 فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنَ الشَّعْرِ لَمْ يَكُنْ

القوة تصف الحرية

إِن الْكَلَامَ مَحْرَمٌ
 مَا فَازَ إِلَّا النَّوْمُ
 يَقْضِي بِأَنْ تَتَقَدَّمُوا
 فَالْخَيْرُ أَنْ لَا تَفْهَمُوا
 فَالْشَّرُّ أَنْ تَتَعَلَّمُوا
 أَبَدًا وَإِلَّا تَنْدَمُوا
 لَوْ تَعْلَمُونَ مَطْلَسَمِ
 حَ مِنْ الْحَدِيثِ فَجَمَعُوا
 وَالظُّلْمَ لَا تَتَجَهَّمُوا
 شَ الْيَوْمَ وَهُوَ مُكْرَمٌ
 بَصْرٌ لَدَيْهِ وَلَا فَمِ

يَا قَوْمُ لَا تَتَكَلَّمُوا
 نَامُوا وَلَا تَسْتَيْقِظُوا
 وَتَأَخَّرُوا عَنِ كُلِّ مَا
 وَدَعُوا التَّفْهَمَ جَانِبًا
 وَتَثَبَّتُوا فِي جَهْلِكُمْ
 أَمَّا السِّيَاسَةُ فَاتْرَكُوا
 إِنَّ السِّيَاسَةَ سِرُّهَا
 وَإِذَا أَفْضَيْتُمْ فِي الْمُبَا
 وَالْعَدَلَ لَا تَتَوَسَّمُوا
 مِنْ شَاءِ مِنْكُمْ أَنْ يَعِيَ
 فَلْيُمِيسِ لَا سَمْعٌ وَلَا

لا يستحقُّ كرامةً
ودعوا السعادة إنما
فالعيش وهو مُنعمٌ
فارضوا بحكم الدهر مهـ
وإذا ظلمتم فاضحكوا
إن قيل هذا شهدكم
أو قيل إن نهاركم
أو قيل إن ثِمادكم
أو قيل إن بلادكم
فتحمّدوا وتشكّروا

إلا الأصمُّ الأبكم
هي في الحياة توهّم
كالعيش وهو مُدّمّم
ما كان فيه تحكّم
طربًا ولا تنظّموا
مرُّ فقولوا علقم
ليلٌ فقولوا مُظلم
سيلٌ فقولوا مفعم
يا قوم سوف تُقسّم
وترنّحوا وترنّموا

تبيان حقيقة

لعمرك إن الحرَّ لا يتقيدُ
إذا أنا قصّدت القصيد فليس لي
نشدت بشعري مطلباً عزَّ نيله
فللنجم بُعد دون ما أنا ناشد
وكم جنّبتني عزة النفس منهلا
وما أنا إلا شاعرٌ ذو لبانة
ولي بين شذقيّ الهريتين صارمٌ
ولا عجبٌ أن عابني الشاعرُ الذي
فإن ابن برد وهو أكبر شاعر
تعودتُ تصرّحي بكل حقيقة
إذا رمتُ نصّاً جنّت بالنصح واضحاً
وقد أبصر الداء الدفين الذي بنا
يقولون لي استنهض إلى العلم قومنا
أما علموا أنّ الحياة بعصرنا
وما ينفع القول الذي أنت قائلٌ

ألا فليقل ما شاء في المفند
به غير تبيان الحقيقة مقصد
وإن هان عند الشعر ما كنت أنشد
وللدرّ قدر دون ما أنا مُنشد
يطيب به لكن مع الذلّ مورد
أنوح بها حيناً وحيناً أُغرّد
يُسلُّ على الأيام طورا ويُغمد
يقول سخيّف القول وهو مقلّد
تنقّصه في الشعر حمّاد مجرد
وللمرء من دنياه ما يتعود
وما كان من شأنِي الكلام المعقّد
كما أبصر الأمواه في الترب هدهد
بشعر معانيه تُقيم وتُقعّد
مدارس في كل البلاد تُشيد
إذا لم يكن بالفِعْلِ منك يؤيد

فيا قومنا إن العلوم تجددت
 وخلوا جمود العقل في أمر دينكم
 وإن شئتم في العيش عزاً فأقدموا
 وأمضوا سديد الرأي دون تردّد
 ولا تقبلوا قييداً بقول مجرّد
 وأطلال علم لا تزال شواخصاً
 أراها فأبكي وهي رهن يد البلى
 وما أنا سالٍ عهدها حين لم تسل
 فإن تكبروا تبديد دمي لأجلها

فإن كُنتم تهوونها فتجددوا
 فإن جمود العقل للدين مُفسد
 فكم نيلٌ بالإقدام عزٌ وسؤدد
 فما يبلغ الغايات من يتردّد
 فما قيّد الأحرار قولٌ مجرد
 تُذكّر بالعهد القديم وتشهد
 بدمع كما ارفض الجمان المنضد
 دموعي ولكني فتى مُتجلّد
 فإن دمي من أجلها سيُبدد

في الاحتفال بالريحاني

أنشدها في احتفال المعهد العلمي في بغداد بالأستاذ أمين الريحاني.

إن العراق بعرضه وبطوله
 يهتزُّ مبتهجاً بمقدم ضيفه
 ومُرحباً والشكر في ترحيبه
 بربيب لبنان بريحانيّه
 بالعبقريّ بفيلسوف زمانه
 بأصحّ أحرار الأنام تحرُّراً
 إنّنا نُبجلُّ منه خير مَبجَّل
 أمّين جئت إلى العراق لكي ترى
 عفواً فذاك النجم أصبح أفلاً
 أو ما ترى قطر العراق بحُسنه
 أمّا الحيا فيه فذياك الحيا
 وربيعه ذاك الربيع وإن شكا
 فأقم به ولك الغنى بفراته
 وانزل على وادي السلام ممتعاً

وبرافديّه وباسقات نخيله
 ويبشُّ مبتسماً بوجه نزيله
 ومؤهلاً والحمد في تأهيله
 بكبير معشره بفخر قبيله
 بأديب أمّته بداهي جيله
 في فكره وبفعله وبِقيله
 تبجيل كل الفضل في تبجيله
 ما فيه من غرر العلى وحجوله
 والقوم محترّبون بعد أفوله
 قد فاق مُقفره على مأهوله
 لكن مسيل الماء غير مسيله
 من جهل ساكنه اشتداد محوله
 عن قطر مصر وعن موارد نيله
 برغيد عيشٍ تحت ظلِّ نخيله

يشفي من المشتاق حرَّ غليله
هبَّ النَّسيم فجس نبض عليه
وانشق أريج شماله وقبوله
والحسن فيه دقيقه كجليله
وكواكبُ الإكليل من إكليله
بالشمس تُشرق في وجوه سهوله
بنظيره ومُسللاً بمثيله
فكوقفة الباكين بين طلولة
غرب الدموع بجانبِي منديله
وعليه جر الدهر ذيل خموله
فانظر حديد الطرف غير كليله
مد الشقاق بها حباله غوله
يعيا لسان الشعر عن تمثيله
والخل ليس بواثق بخليله
قولاً يُحاذر منه ذو إنجيله
صرفوه بالتكفير عن تأويله
خفروا نمام العلم في تجهيله
طول الزمان لعي عن تعليله
يئست لعمر الله من تبديله
كالسيف ليس براحم لقتيله
لا أدعي شيئاً بغير دليله
وسبيلُ ممتلكيه غير سبيله
د جبانه والمالُ عند بخيله
د غريبه والحكم عند دخيله
ظُلماً وذلَّ كثيره لقليله
فضَّلت مجمله على تفصيله
أغنى اختصارُ القول عن تطويله
والناس مجمعة على تفضيله

والثم به ثغر الطبيعة باسمًا
وترقَّبَنُ أسحاره حتى إذا
وانظر محاسن أرضه وسمائه
فالجوُّ فيه منيرة أوضاحه
والليل فيه مُكلل بمُرصَّع
وترى النهار به كذهنك واقداً
وترى ضياء الشمس فيه مغلِّفاً
وإذا وقفت بدارِس من مجده
وانحب كما نحب الحزين مكفكفاً
فلقد عفا المجد القديم بأرضه
وإذا نظرت إلى قلوب رجاله
تجد الرجال قلوبها شتى الهوى
متناكرين لدى الخطوب تناكراً
فالجار ليس بأمن من جاره
والدين فيه يقول ذو قرآنه
وإذا تأوَّل قولهم مُتأوَّل
وإذا تكلم عالم في أمرهم
حال لو افتكر الحكيم بكنهه
من ذا يُبدله فإن قوارعي
والجهل لا يبقى على أربابه
أأمين لا تغضب عليَّ فإنني
من أين يُرجى للعراق تقدُّمُ
لا خير في وطن يكونُ السيف عند
والرأي عند طريده والعلم عند
وقد استبدَّ قليله بكثيره
إنني إذا جدَّ المقالُ بموقفٍ
وإذا المخاطب كان مثلك واعياً
يا من يُكتم فضله متواضعاً

شكواي بُحْتُ بها إليك وليس في
إنَّ المريض ليستريحُ إذا اشتكى
وكذا الحزين إذا تهيجَ حزنه
إني لأنف أن أبوح بمُضمر
ولديَّ إن وصل الحبيب تمسكُ
شكوى الزميل غضاضة لزميله
مما به لطبيبه وخليله
يبكي فيسكن حزنه بعويله
إلا لمقتدرٍ على تحصيله
بالعز يمنع فاي من تقبيله

تجاه الريحاني

القصيدة التي ألقاها في حفلة «أدباء العراق» للأستاذ الريحاني.

لهذا اليوم في التاريخ ذكراً
ويحسن في المسامح منه صوتُ
ففي ذا اليوم نحن قد احتفينا
فتى كثرت مناقبه فأضحى
نجالس منه ذا خلق كريم
وأقسم لو يُجالسه سفيه
كذاك يكونُ زهر الروض لماً
ولم يُنسب إلى الريحان إلا
له قلم به تحيا المعاني
وتشرق في سماء الشعر منه
لقد طارت بشهرته شمال
وطبق صيته الآفاق حتى
فديتك هل تصيح فإنَّ عندي
إلى كم أستغيثُ ولا مغيث
أقمت ببلدة مُلئتُ حقوداً
أمرٌ فتنظر الأبصار شزراً
وكم من أوجه تبدي ابتساماً
سكنت الخان في بلدي كأنني
به الأناف يفغمهنَّ طيبُ
له تهتز بالطرب القلوب
بريحانيِّنا وهو الأديب
له في كل مكرمة نصيب
له بجليسه أثر عجيب
فواقاً لاغتندى وهو الأريب
تمرُّ عليه ناسمة تطيب
وريحان الرياض له نسيب
كما يحيا من المطر الجديد
كواكب ليس يُدرکہا مغيب
كما طارت بشهرته جنوب
تعرفه القبائل والشعوب
شكاة لا تصيح لها الخطوب
وأدعو من أراه فلا يُجيب
عليَّ فكل ما فيها مريب
إليَّ كأنما قد مرَّ نيب
وفي طيِّ ابتسامتها قطوب
أخو سفرٍ تقاذفه الدروب

وعشت معيشة الغرباء فيه
وما هذا وإن آذى بدائي
ولكنني أرى أبناء قومي
يُقدِّم فيهمُ الشَّيرُ دَفْعًا
فهذا الداء مُنتشِبٌ بقلبي
فكيف شفاؤه ومتى يُرَجَى
وإنْ أكَ قد شكوت فما شكاتي
سأنصب للهواجس حرَّ وجه
وأضرب في البلاد بغير مُكث
إلى أن أستظلَّ بظلِّ قوم
وإلا فالحياة أمرٌ شيء

لأنني اليوم في وطني غريب
ولا هو أمره أمر عصيب
يدبُّر أمرهم من لا يُصيب
لشَرَّتِه ويُحتقر الأديب
وفي قلب العلى منه وجيب
وأين دواؤه ومَن الطبيب
إلى ذي خَلَّة شيء معيب
يعود إلى الشروق به الغروب
أجوبُ من المهامِ ما أجوب
حياة الحرِّ عندهم تطيب
وخير من مرارتها شعوب

أنشودة الوطن، بلحن المرسيليز

أوطاننا وهي الغوالي
وإنما أحياء المعالي
أرواحنا لها ثمنٌ
من مات في حب الوطن

* * *

أوطاننا نحن حماها
في أرضها تحت سماها
بكل سيفٍ منتضى
ما مات منّا من قضى

* * *

أوطاننا وهي الأماني
طابت لنا منها المغاني
عن حبها لا ننثني
بغيرها لا نعتني

* * *

ننشق أنفاس هواها
عن سهلها أو عن رباها
في كل سهلٍ وجبلٍ
لم نرضَ بالدُّنيا بدل

عبد المحسن الكاظمي



الشيخ عبد المحسن الكاظمي.

شاعر كبير يُعدونه في مصر في الطبقة الأولى بين الشعراء المعاصرين، وينكرون عليه ذلك في العراق، هجر العراق وطنه قبل سنوات، وحلَّ القُطر المصري، فاستفاد فائدة كُبرى من وجوده في بيئة سما فيها قدر الأدب، وانتعش روح العلم، فتسنَّى له أن يطلَّع

على الحركة الفكرية، والنّهضة العلمية هناك من جهة، وعرف له أدباء النّيل منزلته فبعد صيته، وسارت شهرته إلى أطراف العالم العربيّ من جهة ثانية، وهو اليوم شاعر الاستقلال، ينظم القصائد الاستنهاضية لحزب الاتحاد السوري الذي مركزه القاهرة، وعضو في جمعية «الرّابطة الشرقية» فيها.

وقد عُرف شعره بالجودة والمتانة وحُسن السبك ورسانة القافية، لا يسبق صاحبه سابق في طول النفس وخفة البحر، يتغنّى الكاظمي في شعره تغنياً بدوياً، وقد أخذ عنه ذلك حافظ بك إبراهيم شاعر مصر.

وهو أبو المكارم عبد المحسن بن محمد بن علي بن المحسن بن محمد بن صالح بن علي بن الهادي النخعي.

وُلد في بغداد في مُنتصف شعبان سنة ١٢٨٢ هجرية، وتعلّم فيها مبادئ القراءة والكتابة، ولمّا كان أبوه يشتغل بالتجارة مال الولد إلى تعاطي هذا العمل، وأخذ يُطالع الكتب التي تبحث فيه، ثم ترك التجارة واحترف الزراعة فلم يلقَ نجاحاً، فانعكف على مُطالعة الكتب والرسائل الأدبية، وولع بحفظ الشعر، فحفظ نحو الاثني عشر ألف بيت من الشعر القديم، ولما أدرك السن العشرين عرف فضله، وأخذ يدرس حالة أبناء جلدته من المسلمين، مُفكراً في إصلاح شئونهم حتى قدم السيد جمال الدين الأفغاني الشهير بغداد منفياً من إيران فوجد المترجم في السيد جمال الدين ضالته، وأخذ عنه بعض مبادئه وعلومه، ثم نُفي الأفغاني من بغداد فأصبح موقف الكاظمي حرجاً؛ لأنّه كان من المُتعلقين بذلك المُصلح الكبير، وإن أخذ يُجاهر بنواقص الحكومة كاد أن يلحق به أذى كبيرٌ لولا أنه لاذ بالوكالة الإيرانية في بغداد، ثم غادر الشيخ الكاظمي بغداد خفيةً إلى البصرة، وانتقل منها إلى أبو شير في الخليج الفارسي، وقضى هناك بضعة شهور، وعاد إلى بغداد بعد ذلك ورحل سنة ١٣١٥ من العراق قاصداً إيران فالهند، ثم ألقى عصا ترحاله في مصر على نية أن يُغادرها إلى فروع، ويُقفل من هناك راجعاً إلى بغداد، غير أنّ مرضاً عضالاً أقعده عن مُبارحة وادي النّيل وذهب ببصره، وقد حظي المترجم كلّ الحظوة لدى المُصلح الإسلامي الكبير العلامة الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله.

والشيخ الكاظمي على جانبٍ عظيمٍ من الأخلاق الفاضلة والمزايا الشريفة، ذو إباءٍ شديد، وهو آية في بدهة خاطر، يرتجل في مجلسٍ واحدٍ القصيدة التي تبلغ المائة والمائتي بيتٍ

من غير أن يظهر عليه أثر الكلفة، وقد روى عنه سليم سركييس الصحافي المتفنن المشهور في مجلته قال: نظم الدكتور إبراهيم شدودي قصيدة في مدح الأستاذ الكاظمي في الحفلة التي عُقدت لتكريمه، فما انتهى الدكتور من تلاوتها حتى أجابه المحتفل به بقصيدة ارتجالية من نفس البحر، فكان ينظم وأنا أكتب والإخوان يُعجبون بسرعة خاطره. وينتقد بعضهم نفس البداوة في شعر الكاظمي، ولا جُناح عليه في ذلك لأنه تعلم الشعر في العراق على النمط القديم؛ فركز هذا الأسلوب في طبعه.

وقد أَلَّفَ صاحب الترجمة مؤلفاتٍ عدة، منها:

- (١) البيان الصادق في كشف الحقائق: أبان فيه سبب انشقاق المسلمين بعضهم على بعض.
- (٢) تنبيه الغافلين: كشف فيه ما آل إليه حال الأمة من التقهقر، وأشار إلى مواطن الداء ووصف الدواء.
- (٣) ديوان شعره: وله ديوان شعرٍ كبيرٍ وإن كانت قد فُقدت كثير من قصائده في ما قاساه من المحن والخطوب في وطنه.

وقد أثبتنا هنا بعض القصائد من شعره:

الحرية

يومٌ له بين الضلوع دبيبٌ	مهما تباعد فهو منك قريبٌ
وإذا تقارب فالعدو حبيب	فإذا تباعد فالحبيب مبغض
يصفو به هذا وذاك يشوب	لا فرق بين المشرقين سوى الذي
ولها شروق مرةً وغروب	كالشمس ما بين الأنام مشاعة
حتى استوى التبعيد والتقريب	كم قرَّب القوم اللئام وباعدوا
يُصغي إلى داعي النفاق كذوب	لا يصدِّقون وكيف يصدِّق طامع
إن الهوى للعاشقين ضروب	ليس الهوى من كلِّ صبٍّ واحدًا
يصبو الشبابُ لذكرها والشيب	هيهات يُصبيني سوى حرية
وكفى مُحِبِّك أنه يعقوب	يكفي جمالك أنت فيه يوسف

تاقت إليك قبائل وشعوب
 في حُبِّها يُستعذب التعذيب
 يكفي دلالك أيها المحبوب
 فيها المنابرَ شاعرٌ وخطيب
 تُتلى وذكرٌ من سناك ينوب
 يوم الوصال وأجره المكسوب
 ويردُّ فيه حقنا المغصوب
 ولنا بأفاق البلاد وثوب
 أن الحياة مصائبٌ وخطوب
 شعباً تذلل بها الحياة شعوب
 هذا له نغم وذاك طروب

أمنية الشعبين أنت فضيلة
 حرية الأمصار أنت حبيبة
 عظمت على قلب المُحبِّ همومه
 في كل يومٍ حفلةٌ لك يرتقي
 لك كلُّ يومٍ في المحافل سيرة
 يا حبذا يوم الجمال وحبذا
 يوم يعود به لنا استقلالنا
 حتّاماً نحتمل المذلة طوعاً
 ترجو الحياة وليس يجهل عالم
 لا فاتنا عز الحياة ولا عدت
 يا حبذا يوم يروح لنا به

العينية

أما شغلت عينيك بالجزع أدمع
 يحفزها برح الغرام فتسرع
 بماء شئوني فهني زهراء ممرع
 مصيف تراءى في ثراها ومربع
 وسال بمحمر الشقائق أجرع
 فللعين ذا مبكى وللقلب مجزع
 فمن أجل ذا وشى الرياض مجزع
 إذا غاض منها مدمع فاض مدمع
 حمته عن النُّظار نكباء ززع
 فهاج لك البرحاء شعب ولعلع
 تصوب عزاليها ولا تتقشع
 وليس لوهي سال واديه مرقع
 وهل عدم السلوان من يتتبع
 ويسلو أسير الدار وهو مفعج

إلى كم تُجيل الطُرف والدار بلقع
 أنت مُعيري عبرة كلما ونت
 وهل عريت أرض كسوت أديمها
 فمن حرّ أنفاسي وقيض محاجري
 ألم تر جرعاء الحمى كيف روضت
 فهاتيك من دمعي وهذاك من دمي
 جرى ماء جفني عن سويداء مُهجتي
 أفي كل دار أنت ماتح عبّرة
 كأنك فيها ناظر رسم منزل
 تذكرت شعباً في رباها ولعلعاً
 كأن في عينيك عارض مزنة
 كأن بها خرقاء أوهت مزادها
 تتبّع تجد ما يغمر القلب سلوة
 وهيات تسلى الدار وهي فجيسة

وجرّعني ما لم أكن أتجرّع
 معالمُ كانت زاهياتٍ وأربُع
 وما هي إلا أكْبُدُّ تتوزع
 أودّع من أطلّها ما أودّع
 إذا جف ما عندي من الدمع أجمع
 بفرعك حتى اجتثت من حيث يفرع
 معاد لأيام الغميم ومرجع
 وصرعى وما غير الأحاديث تصرع
 رذايا هوى في ندوة الحي وقّع
 ومن مولع يرثي لشكواه مولع
 تميل وفي أفنانها الورق تسجع
 تُردد في ألحانها وترجع
 عسى نبأ من ذي هوى يتسمع
 أحاديث مجراها الجوى والتولّع
 وهل يُرجع النَّائِي الحنينُ المرجع
 إذا علّوها بالتذكر تنقع
 وقفنا بها نبكي الديار ونجزع
 تُقطّع من أحشائنا ما تُقطّع
 إلى أين يا حامي الحقيقة مزعم
 وضاق بعينيّ الفضاء الموسّع
 ولله ما قاسى الخليط المودع
 وصارت مطايانا تخب وتوضع
 تقيس بمسراها القفار وتذرع
 سجدٌ على أكوارهن ورُكّع
 سماوية الأعلام ما ليس يُقطع
 تلوح بأفاق البلاد وتلمع
 فإن فؤادي عند سربك مودع

وأفدح خطبٍ شقّني بصروفه
 وقوفي على تلك الديار وقد عفت
 معالمُ أعفاها البلى فتوزعت
 وقفت عليها آخر الليل وقفة
 ولا مسعد إلا الدموع وكيف بي
 أيا بانة الوعساء من أعلم الذوى
 ويا غفلات الجزع هل بعد عالج
 فكم ليلة بتنا نشاوي ولا طلا
 يطير بنا الشوق ارتياحاً وكُلنا
 فمن مُرغم يصبو لنجواه مغرم
 ويا حبذا بالجزع فرع أراكة
 ورُبَّ حمامات مع الصبح أقبلت
 نصتُ لها أذني وقلتُ إصاخة
 فأعرضن عن ذي لوعةٍ ورؤين لي
 أحنُّ إلى النَّائِي حنينٌ مؤلّه
 وعندي وما عندي وهل هي غلة
 ولم أنس يوم الجزع والساعة التي
 وقفنا عليها برهةً ويد الأسي
 ونادى المنادي حين أزمعت للسرى
 فوسع من قلبي الأسي كل ضيق
 فله ما فت الوداع من الحشا
 سرينا نجوب البيد في غلس الدُّجى
 تعوج بنا شرقاً وغرباً كأنها
 كأننا وقد مالت بنا سنة الكرى
 نُقطّع من أعراض كل تنوفة
 ونعتام تيار الدجى بعزائم
 ويا مألّف الأرام رُدّ وديعتي

أقول وقد شَبَّتْ بقلبي جذوةٌ
أحباي هل من عطفة في رباعنا
وهل تنتنني الأيام ثانيةً لنا
تهب صَبًا حتى تكاد مع الصَّبَا
كَأَنَّكُمْ مني بمرأى ومسمعٍ

* * *

ولما نقلنا للَبَوَاحِرِ رَحَلْنَا
هجمنا على جيش من الموج ضارب
يُطالِعنا من كل فجٍّ كأنه
ولما تبيَّنت السويس وسار بي
هرعت إليه عاطفًا من حشاشتي
سقى الله دارًا تيمَّ الصبَّ نشرها
لقد صرت في هذي وقلبي معلق
وأصبحت أسوانًا فلا أنا ميت
أنادي فلا شمعون يسمع دعوتي
وما لي منه يعلم الله لو دنا
ذر الدمع يُدمي ناظريَّ فإنني
ويا أهل هذا الحيِّ خلُّوا لنا الجوى
على داركم شق الجيوب ودارنا
فلو أن مثلي في سراة قبيلكم
لأعلنت بالشكوى وصرحتُ بالجوى
تمكَّنت الأوجاعُ من كل مفصل
وأيسنني طول النوى من طماعتي
تُكلفني عيناى في الحي هجعة
وأمل من نومي المشرد رجعة
أقول لجيرانٍ لهم بين أضلعي
أيا جيرتي جف الرُّقاد فعاذر

وعفنا المطايا وهي حسرى وضيع
بزخاره نحو السما يترفع
جبال شرورى أصبحت تتقلع
إلى النيل سيَّار من البرق أسرع
وقلت لصحبي هذه مصر فاهرعوا
وأخرى بها دارية تتضوِّع
بتلك، إذا ماذا أنا اليوم أصنع
فأسلو ولا حي يرجى فأطمع
فيدنو ولا ينأى بوجدي يوشع
سوى نظرةٍ تدنو إليَّ فأقنع
رأيتُ بعيني طرفَ شمعون يدمع
نُقضي به ليل الصبابة واهجعوا
يشق وريد في ثراها وأخدع
من الحب مُضنى أو من البين مُوجع
وقلتُ اسعدوني أيُّها الصحب أو دعوا
وليس لهذا الصبِّ من يتوجع
ولا يأس إلا حين لم يبوق مطمع
فأغمض عيني إنني لست أهجع
وأكبر ظني أنه ليس يرجع
مراح وفي الأحشاء مرعى ومرتع
إذا رحت في كأس من السهد أكرع

وكل كريم بالتوؤد يُخدع
 وأين من المطبوع من يتطبع
 وأكثر شيء في الأنام التصنع
 وأفعال أهليه أمض وأوجع
 ومثلي في هذي البلاد يُضيع
 هوى أوشكت منه الحشا تتصدع
 وما جوها إلا جوى يتدفع
 وما شيمتي إلا العلا والترفع
 ويقتادني داعي الغرام فأتبع
 ترد غرامي كُلمًا بان برقع
 وأطرب إمّا قيل في القوس منزع

ملكتم فؤادي بالتوؤد خدعة
 تعسفتُم ما كان مني شيمة
 وكيف أرجي منكمُ ذا حفيظة
 إلا إن دهرى موجعاتُ فعاله
 أمثل «فلان» يحفظ الناس وُدّه
 فوالله ما أدري وقد خامر الحشا
 أترك مصرًا أم أقيم بجوها
 تساومني خفض الجناح ظباؤها
 أصد فتثنييني إلى الحي لفته
 وأغضي فتلوييني إلى الغيد نظرة
 فينزعن في قلبي سهامًا مريشة

* * *

ولا زال في أرجائها البشر يسطع
 وما الخير إلا منكم يتفرع
 وسوف نرى للفخر ما هو أشيع
 وأنتم كما شاء الكواشح هجع
 وأخشى غدًا يأتي بما هو أشنع
 تُصرّف عنّا هول ما نتوقع
 إلى جنبات العزّ من حيث تنصع
 أنوف الأعادي دونكم وهي جدّع
 إلى أكلكم أخزاهم الله جوع
 من الرأى تخشاه الطبى وهي قُطّع
 يكن لكم فيها الفخار الممنع
 رأيتم إذا غضب الشبا كيف يقطع
 علمتم إذا بدر السما أين يطلع
 وإن الذي في الكون فيه مجمع
 وها أنا ذاك الأريحي السمينع

تعدت صروف الدهر مصر وأهلها
 نعم أهل مصر أنتم خير أمة
 لقد شاع عنكم كل فضل وسؤدد
 خذوا جذركم فالكاشحون بمرصد
 أرى اليوم موسومًا بكل شنيعة
 ولكنني أرجو انتباهة حازم
 دعوا عنكم مرّ الهوان وعرجوا
 وعودوا بها شمّ الأنوف تواركًا
 ولا تشبعوهم غير يأس فإنهم
 وشدوا عرى أوطانكم بمثقف
 وكونوا لها أطوان عزّ منيعة
 تخلى لكم من لو عصفتُم بحده
 وحل بكم من لو علمتُم محله
 فإن الذي في الكون عنه مفرق
 فلا يملك العلياء إلا سمينع

تُزعزع أبطالَ الوغى لو تحركتْ
ويُسكرنى والبيض تعسف بالطلّى
وكيف أخاف الخطب يسودُّ ليله
فكم غمة كَشَفْتُهَا وعظيمة
وحادثة قصرتها بعصا بة
تطلق منها كل دهياء أرمة
فقل للعدى تختز لها أي مية
وهاك لسيفي الذُكر في كل وقعة
وربُّ سعاةٍ أسرعت خطواتهم
ترانا لدى التمثيل سييين خلفة
ولي من وراء الغيب عين تدلني
أرى كل تلعاء متى شئتُ جُزتها
ويا ربَّ قوم غرهم نوم جمعنا
يخالون إن الطود يؤلمه الحسا
وما علموا أن يمموا الغاب خدعة
فجاءوا إلى الإسلام يعترضونه
سَعَوْا بضلالات فحَيَّب سعيهم
فردوا عن الإسلام ميلاً رقابهم
وأقسم أني لو شحذت مقالتي
ولكنني أغضي احتشاماً وقدرةً
ونحن بنو البيض المصاليث في اللقا

يراعةً فكري لا الوشيح المزعزع
نجيعُ الهوادي لا العقارُ المشعشع
وأسياف عزمي في دجى الخطل لُمع
تسئمُتها والليل أسود أسفع
تطولُ لهم في الروع بوع وأذرع
كأنِّي فيها الأرقم المتطلع
فسئفِي بألوان المنون مُرصع
وهل يخلو من آثار سيفي موقع
ففات مساعيا المشيح السرعرع
ولكن حَفِظنا المكرمات وضيعوا
على المنهل العذب الذي ليس يشرع
وخلفتُ دوني كل من يتتلع
وأغراهمُ ذاك العديد المجمع
وأنَّ السبنتى بالنباح يُروع
يكون وراء الغاب ليث مخدع
سفاهاً فشاموا أن واديه مسبع
أخو الرشد محمود النقيبة أروع
وجيد بني الإسلام أجيد أتلع
لراح بها هانوت^١ وهو مبضع
وعندي من القول الطرير الملمع
إذا مصقع منا جثا قام مصقع

^١ هو «هانوتو» السياسي الإفرنسي الشهير الذي تحامل بكتابته على الإسلام، وقد انبرى للرد عليه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده المصري، وكان للرد صدَى ودوي حتى اضطرَّ (هانوتو) إلى الاعتذار، وتصحيح كلامه.

سيروا بنا عَنقًا وشَدًّا
 سيروا فُرَادَى أَوْ ثَنَى
 لا يَقْعَدَنَّ بَعزْمَنَا
 وَلئنْ تَخَلَّفَ مِنْ تَخَلَّفَ
 فَالسيفُ يَقْطَعُ فِي يَدِي
 مَا خَافَ يَوْمًا أَنْ يَهِيَ
 فَلرُبَّمَا جَاءَ المَرِيْبُ
 وَلرُبِّ رَأْيٍ نِي سَدَا
 مِنْ ذَا رَأْيِ الحَدِّ المَذْرُ
 لَتَسِرُّ وَفودِكُمْ إِلَى
 لِيَرَى الِوَرَى أَي الِوَرَى
 مِنْ لِي بِمَنْ إِنْ شَاءَ أَحَدُ
 يَرْقَى المَنَابِرَ وَاعْظَا
 مِنْ رَامَ إِدْرَاكَ المَرَا
 مِنْ لَمْ يَعَزَّ بِمَوْطِنِ

* * *

سيروا إلى الوطن الموقِّد
 سيروا إلى من سار نك
 سيروا إلى ذي طلعة
 سيروا إلى ذي راحة
 يا حبذا وطنٌ أعا
 يا حبذا وطنٌ يُغْنِ
 وطن تقادم ذكره
 وطن إذا نضب الرِّوَا
 هو موطن القوم الألى
 حسب إلى قحطان متَّ

سى بالنَّقَائِبِ وَالمُفَقِّدَى
 رُ جَمَالِهِ فِي الكَوْنِ نَدَا
 كَالنَّجْمِ لِلسَّارِي وَأَهْدَى
 كَالسُّحْبِ لَا بَلْ تَلِكْ أُنْدَى
 دَ الفَضْلِ فِي الدُّنْيَا وَأَبْدَى
 سى بِاسْمِهِ أَبَدًا وَيُحْدَى
 عِنْدَ المَكْرَامِ وَاسْتَجِدَّا
 أُولَى عَوَارِفِهِ وَأَسْدَى
 فَضَلُوا الأَنْبَامَ أَبَا وَجَدَّا
 وَعَدَّ يَعْرَبُ حِينَ عَدَّا

وكفى به فخراً إذا ما عدَّ فهراً أو معداً
 نحنُ الكرام السابقو نَ إلى العُلَى قبلاً وبعدا
 مَن شامنا شام الحيا ة وشام برق ردى ورعدا
 لما تزل عزماتنا قداحةً زندا فزندا
 من بات مرمى للحوا دث صير العزمات سردا

* * *

سيروا إلى وصل الذي يشكو من الأهلين صدأ
 عبثت به أيدي الضنا وتركه عظماً وجلدا
 وبرغم كل هداية أضفى الضلال عليه بردا
 وأخاف إن وقف العلا ج مشى إلى الباقي فأعدى

* * *

سيروا نذب عن الحمى ونردُّ عنه المُستبداً
 نحمي حمى أوطاننا وتصونها غوراً ونجدا
 ونردُّ عنها من عدا ظلماً عليها أو تعدى
 سيروا نؤلف شملها ونُعيدها عقداً فعقدا
 إن كان حرباً فابتنوا لي في بطون الطير لحدا
 أو كان سلمً فاجعلوا ذاك الثرى عيناً وخداً
 تالله لا أرضى الحيا ة أرى لديها الخسف وردا
 أيروق لي عيش أرى فيه الكريمَ الحرَّ عبداً
 وإذا نظرت إلى الهوا ن رأيت طعم الموت شهدا
 إن لم تكن تجدي الحيا ة بعزها فالموت أجدي

* * *

أنا لم أكن للمجد إن لم أبتن للمجد مجداً
 من شاقه وصل الحبيب ب قضى ليالي الهجر شهدا
 نفسي وما ملكت يدي لك يا حبيب النفس تُهدى
 من يفتدي أوطانه لم يودِ إمَّا قيل أودي
 الذكر أبقاه الذي كانت له الأوطان خلدا

لا تحسبوا أوطاننا
هي نور أعيننا التي
أوطاننا أرواحنا
أو تستعاض بِنِدْهَا
أبدًا نُطالب بالحقو
أبدًا نُجاهد دونها
ونصد عنها مَنْ نوى

هَذَا نَحْنُ لَهَا وَدَعَا
أبدًا نُراح بها وَنُغدى
بل إنها بالروح تُفدى
من ذا رأى للروحِ نِدًا
ق حقوقنا أو نُستردا
وَنُكافح الخصمَ الألدًا
أو همَّ يومًا أو تصدَّى

* * *

أخذ الأمان من الزما
فلكم ليالٍ قد تجلت
سلني أُجِبْكَ عن الزمان
إني خبرت الدهر سبـ
وفليت تاريخ الوري
ورأيتُ ذا كرم يرو
ولقيتُ عيشًا أنكدًا
لم يسترخُ من بعدُ إلـ

ن ومن تأهَّب أو أعدًا
ثم عادت بعد رُبدا
وقد تحدى مَنْ تحدى
طًا جاء بالحُسنى وجعدا
ونقدت هذا الخلق نقدا
قك فعله ورأيتُ وغدا
من بعدِ ما لاقيتُ رغدا
ا مَنْ يكن من قبلُ كدًا

* * *

سيروا نَشِدْ لديارنا
ما كل مَنْ ساس الأنا
شتان مَنْ ساس الوري
ولرُبَّ يومٍ خطبه
أرأيتُمْ كيف أنبرى الضُّـ
صقل النيوب وقال كو
إن تدعُه شَبَّتْ لظا
يا قلبُ كن حجرًا إذا
من لان للخطبِ الشديـ
يا قلب لا تجزعُ فقد

عدلاً يهدُّ الظلم هدًا
م قضى فريضتها وأدَّى
عدلاً وَمَنْ بهمُ استبدًا
عمَّ الوري عكسًا وطردًا
اري وكيف قضى وحدا
نوا في نشوب الخطبِ دردا
هُ وإن تدعُه ذاب وجدا
ما قلبوه كان صلدا
د توقع الخطبِ الأشدا
بلغ المنى من كان جلدًا

لا يأخذ الحدثانُ ممَّنْ من كان في الحدثانِ فندا

* * *

بالله يا وطني أجب ما بال قلبك ليس يهدا
كلُّ يبلُّ غليله مما رجاه وأنت تصدا
يرضيك تصبح للخراب وكنتَ للعمران مهذا
يا أيها الوطن الذي نادى بنيهِ واستمدا
وأسرَّ نارًا كُلمَّا قيل اخمدي تزداد وقدي
ورمى بكلتي مُقلتيه ولم يجد من ذاك بُدا
يدعو كهولهم كما يدعوهم شيبًا ومُردا
لك من بنيك النُجب كلُّ غضنفرٍ وقى وفدى
رَوْح فؤادك واسترخ فبنوك لا يألون جهدا
ستراهم كالبيض من ضاة تقد الهام قدا
ستراهم كالأسد وا ثبةً ترد الخطب ردا
يكفيك أبناءٌ إذا عاينتهم عاينت أسدا
ركبوا الدجى جملاً كما ركبوا الصباح أقبَّ نهذا
قوم كآساد الشرى سميتهم في الروع جندا
قوم فضائلهم كنج م الأفق لا تُخصيه عدا

* * *

سيروا قواصد للمنى أو تبلغ الأوطان قصدا
وترى البلاد جميعها علماً طويل الظل فردا
يا حبذا العَلم الذي إن تقصر الأعلام مدا
خلوا هُذيمًا خلفكم واستقبلوا من كان سعدا
وإذا بدأتم فاختموا تُنهي المسائل حيثُ بُدا
خير المعاد معادُ من للخير أصبح خير مبدا

رضا الشيببي



الشيخ محمد رضا الشيببي.

رضا الشيببي: نابغة النجف الأشرف في هذا العصر، شاعر عالم، ابن شاعر وعالم،
أنجبه بيتُ دين وأدب.

شاب أنيس، منخفض الصوت، تبدو عليه سيماء العلماء الذين أكد لونهاهم الدرس الطويل، آية الأناة في تفكيره وكلامه وكتابته، غير مُكثر من النَّظْم والنثر، لا ينظم باقتراح البتَّة، وهو الذي قال لي يوم طلبت إليه أن يُعارض قصيدة «يا ليل الصب»: «لا أعرف أمراً يُقال له الطلب إلى الشاعر أن ينظم كيت وكيت، والشعر شعورٌ تجيشُ به النفس، ويصدر من القلب.»

هذا عن الرَّجل، أمَّا شعره فكما قلت فيه:

عقل راجح، نظر ثاقب، وخيال جميل.

صناعة عراقية، عليها مسحة عباسية، هذا شعره.

وُلد محمد رضا الشبيبي في النجف الأشرف في ٦ رمضان سنة ١٣٠٦هـ، ونشأ وفيه ميل غريزي موروث من والديه إلى تلقِّي العلوم والآداب؛ فدرس في مدارس تلك الحاضرة الكبرى على أساتيد مُختلفين عرب وعجم، ولم يستفد من أكثرهم غير التدرُّب والارتياض، ثم اشتغل بنفسه وانصرف إلى الدرس والتفكير بذاته؛ فكانت فطرته العالية أكبر معلمٍ ومخرج له، وبالخاصة في الحكمة والشعر والنقد والبلاغة؛ إذ نشأ مَفطوراً على هذه الأمور، وهو اليوم من حُذاق الفلسفة الشرقية وتاريخها. ثقة في مذاهب الحُكماء والعارفين، وله في هذا الباب فصول ومقالات ممتعة تشهد بعلو كعبه، وكذلك قصائده ومقطعاته. ولا ريب في أنَّ الأستاذ الشبيبي من أقطاب الحركة الفكرية والنهضة الوطنية في ديار العراق.

وقد ظهرت مواهب شخصيته البارزة في ابتكاره الخطط السياسية في الظروف الحرجة، وإنَّ حنكته في هذه الأمور حملت القوم على انتدابه أثناء انعقاد مؤتمر الصُّلح، إلى أداء مهمة خطيرة الشأن في الحجاز، قام بأدائها خير قيام على أثر وصوله مكة المكرمة في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٧، ثم فارق الحجاز إلى الشام وغرضه درس المسألة العربية هناك، وظلَّ في جِلْقٍ مع إخوانه المُجاهدين إلى أن نشبت الثورة في العراق، ففارق دمشق قافلاً إلى العراق بطريق البادية يوم الأربعاء ١٤ صفر سنة ١٣٣٩ (٢٧ تشرين الأول سنة ١٩٢٠)، ووصل بغداد في ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٣٩، حيثُ أُقبل على استئناف ما أخذ نفسه به من الجد والاجتهاد المتواصل إلى الآن، وهو مُنصرف إلى الدرس والبحث

رضا الشيببي

والتفكير والتأليف، وله آراء فلسفية وأدبية يطولُ شرحها، من ذلك رأيه أنَّ عناصر الشر في الحضارة الحديثة أكثر من عناصر الخير.

(١) آثاره

للشيخ الشيببي جملة مؤلفات نفيسة، نذكر منها:

تاريخ الفلسفة: من أقدم عصورها إلى اليوم، ولا سيما الفلسفة العربية.

أدب النظر: في فن المناظرة.

تذكرة: في نعت ما عُثر عليه من الكتب والآثار النادرة.

فلاسفة اليهود في الإسلام: يشتمل على تلخيص فلسفة ابن كمونة وابن ملكان وغيرهما من مشاهير فلاسفة اليهود في الإسلام.

المسألة العراقية.

تاريخ النجف: تاريخ مطوّل لبلدة النجف الأشرف قديماً مع تطوّر العلوم والآداب فيها.

المأنوس من لغة القاموس.

ديوان الشيببي: يتضمّن منظوماته في الأبواب المتنوعة، وهي من أحسن الشعر وأجوده.

(٢) شعره

للأستاذ الشيببي شعر بليغ كان له الأثر البين في نهضة الأمة الأخيرة، وتربية عواطفها الشريفة، وإحياء ملكة البلاغة والبيان، في تلك البيئة النائية.

والمعروف عنه أنه قلماً ينصرفُ إلى قول الشعر إلا متأثراً كما سبق ذكر ذلك في وصفه، فتجيء قصائده حينذاك صورة حساسة حية تُعبّر عن وثبات النفس، ونزعاته السامية، والله قوله في هذا الباب:

ليس هذا الشعر ما تروونه إنَّ هذي قطع من كبدي

(٣) نثره

أمَّا نثره فلا يقل عن شعره في مرتبة الفصاحة والبلاغة، وهذه مقالات في كثير من كبريات المجالات تشهد له بدقة البحث والتفكير والاستقراء، يرمي فيها غالباً إلى استخراج القضايا العامة من تتبُّع الوقائع والحوادث الخاصة على أساليب كبار الكتاب والباحثين، وتمتاز مقالاته بتنسيق الأفكار، وتجويد الترتيب والتبويب.

دمشق وبغداد

ماذا بنا وبذي الديار يُرادُ
من موطن الميعاد قامت نُزْعاً
ساءتْ وقائعها وما سرّت بها
وردتْ مياهُ الرافدين مغيرةً
هجنُ شؤونَ من الجياد كرائماً
بزدي وأوديةُ الفرات ودجلة
نَبأً بأعلى قاسيون تجاوبتْ
وأصاب بحر الروم حتى عبّرتْ
أعيادَ هذا الشرقِ صرتِ مآتماً
لسنا نحد عليك يوماً واحداً
الجوُّ وهو مقطَّبٌ متجهمُ

* * *

يا راكبين إلى دمشق تزودوا
الملك مضطرب النظام كأنه
هل في مروج الغوطتين لأهلها
وهل الرُّبى حلل ضوافٍ طُرُزتْ
وشيت من الرّوض الأريض مطارف
أوما تزال على معاهد جِلَّق
يحلو لها هذا القريض مهذباً

منّي السلام لكلِّ ركبٍ زادُ
جسدُ دمشق والشام منه فؤاد
ولرائديها مربع ومراد
وطرازها الأزهار والأوراد
خضر الأديم وفوفت أبراد
ترد الضيوفُ وتصدر الوفاد
ويروقها الإنشاء والإنشاد

غدتِ العواصم خِطَّةً مغزَوَّةً
لا آلَ حمدانٍ ولا أيامهم
الذاهبون مَضَى لنا بذهابهم
أخذوا المضايق والدروب تغلغت
حُنًّا نمام الفاتحين وعهدهم
إنَّا بما نجني وهم فيما جنُّوا

* * *

يا أيها الجيلُ الطريد كم انقضت
وَعَدْتُ بغربتك الرواةُ وإنَّه
مما أضعتم من تراثٍ بابلُ
لم تخلفوا باني السدير بما بنى
لولا التفكُّر في مصير بلادكم
إنِّي أبيتُ لأجلها متململاً
أضدادكم مُتساندون قد اجتنُّوا
نبذوا لكم ثمن البلاد وفيكم
وعدوكم الإصلاح فلتتوقعوا
إطلاقُ أيدينا على أيدي العدا
مدُّوا الحديد وما اهتزت لمدِّه
طرق الحديد إذا التوت وتشابكت

* * *

هل في غياض الدردنيل مجاوبُ
خُرسُ المقاول ناطقون دهاهم
يتزودون من التجلِّدِ كُلِّما
من كلِّ قاصيةٍ لأخرى لم تُحطُ
ما بين مصرٍ والحجازِ تطاحنُ
رُفع الهلال عن السماء وقد خبا

* * *

يا للزريّة كم تُفَرِّقُ بيننا
جارت علينا عُصْبَةٌ رُوحِيَّةٌ^١
راجتْ نقائصها ولكن آذنت
وعظت شيوخ لو أصابت لارעות
بكت المنابرُ إن تنزّت فوقها
وتُضِلُّنا الأضغان والأحقاد
شقيتْ بها الأرواح والأجساد
برواجها إنَّ الكمالَ كسادُ
ولنال منها الوعظُ والإرشاد
تلك القروود وناحت الأعواد

* * *

شرع سواء من شيوخ آمنوا
نلوا بحبهم «المعاش» وبرهنوا
ذهبوا بدعوى في الصلاح عريضة
يتثاقلون ويجبنون عن العلى
لا يحسدون على المعالي أمّة
حسبُ البُغاة الظالمين تربص
إن الزعامة سلّمت لزعانفٍ
انظر إلى الأعجاز كيف تصدّرت
شر العصور وفي العصور تفاوت
إيمانهم والجحد والإلحادُ
أنّ ليس من بعد المعاش معاد
إن الصلاح من الشيوخ فساد
ليُقال إن شيوخنا زهاد
وهم على علّاتهم حُساد
بالمسلمين وحيلة وكياذ
في الشرق قادوا أهله فانقادوا
وعمائم السادات كيف تُساد
عصرُ به تتقدم الأوغاد

صيداء

نُظمت في مدينة صيداء الشهيرة إثر زيارته لها سنة ١٣٣٨ / ١٩٢٠ حيث كان لربيعها
الأنيق أثر عظيم جدًّا في نفسه، وقد وصف فيها نزول الثلج الكثير في ذلك العام.

عروسٌ من البلدان ليس لها مهر
وما هي لما قلّدتني نعتها
أما انتظمت نظم القلائد: دورها
وغير كثير من بدائع بلدة
ومصر سبتني لا الصّعيد ولا مصرُ
وشاطئها إلا القلادة والنحرُ
لألى أصداف وحصابؤها درُ
كصيداء إن أغرى بها إنها سحر

^١ المقصود بهم علماء السوء الذين وردت بدمهم الآثار.

فَأُنَى يُوَاتِنِي لِأُنْعَتَهَا الشَّعْر
وَالْإِبْتِسَامِ مِثْلَمَا ابْتَسَمَ التَّغْر
لَنَا الشَّمْسُ مِنْ صَيْدَاءٍ وَارْتَفَعَ الْبَدْرُ
أُزِيحَ عَنِ الْفَرْدُوسِ لِي وَلَهَا سِتْرُ
مَرَامٍ فَتَى مِثْلِي صِبَابَاتُهُ كَثُرُ
وَكَأْسُ الْهُوَى طَعْمَانِ أَحْلَاهُمَا الْمُرُ
وَرَهْنُ وَفَاهَا أُنْنِي رَجُلُ حُرُ
وَرَبِّ أَيَادٍ لَا يَقُومُ بِهَا الشُّكْرُ
فَلَا بَرْدَهَا بَرْدٌ وَلَا حَرُّهَا حَرُّ
مِنَ الْوَرْدِ مَحْبُوبًا لِرَائِدِكَ النَّشْرُ
وَيَغْسَلُ بِالْأَمْوَاجِ أَرْجَلَكَ الْبَحْرُ
وَمُحْدَوْدِبَاتُ مِثْلَمَا أَحْدُودِبَ الظُّهْرُ
بِصَيْدَاءٍ حَتَّى أَنْتَ يَا أَيُّهَا الصَّخْرُ

وَمَا هِيَ إِلَّا الشُّعْرُ صَيْغَ مَدِينَةٍ
وَمَا رَاقٍ مِنْ صَيْدَاءٍ إِلَّا بِشَاشَةٍ
ذَرَوْا مَنَّةَ الْأَفْلَاقِ عَنَّا لَقَدْ بَدَتْ
وَهَلْ أَنَا فِي صَيْدَاءٍ كَلًّا وَإِنَّمَا
رَحَلْتُ إِلَيْهَا بِالصَّبَابَةِ إِنَّهَا
عَمِدَتْ إِلَى كَأْسِ السُّلُوفِ فَذُقْتُهَا
دِيُونَ لَصَيْدَاءٍ عَلَيَّ ضَمَانُهَا
أَيَادٍ حَمِيدَاتٍ أَرَى الشُّكْرَ دُونَهَا
وَمَعْتَدِلٍ طَبِيقِ الْمَزَاجِ مَزَاجِهَا
وَمَا أَنْتِ يَا صَيْدَاءٍ إِلَّا مَلَاءَةٌ
تُرَجَّلُ إِنْ هَبَتْ غَدَائِرُكَ الصَّبَا
جِبَالِكَ تَحْنَانًا عَلَيْكَ عَوَاطِفُ
أَبْتِ جَمَلَةِ الْأَشْيَاءِ إِلَّا لَطَافَةٌ

* * *

تَسَاقُطُ فِيهَا الثَّلْجُ وَانْبَعَثَ الْقَرُ
وَأَجْبُلُهَا بَيْضٌ وَأَرْبَعُهَا خَضْرُ
وَأَسْرَعُ فِيهَا وَهِيَ غَانِيَةٌ بِكُرُ
مِنَ الْعَمْرِ طَالَتْ كُلَّمَا انْكَمَشَ الْعَمْرُ
وَأَيَّامِ صَيْدَاءٍ مَحْجَلَةٌ غُرُ
جَلَابِيْبِ قَطْنٍ أَبْيَضٍ أَكْرُ جَمْرُ
عَيُونَ بُزَاةٍ دَابُّهَا نَظْرُ شَزْرُ
كُوَانِيْنَ مَلْقَى فِي جَوَانِبِهَا جَمْرُ
عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ النَّزَاهَةِ وَالطُّهْرِ

وَإِنْ أَنْسَهَا لَمْ أَنْسَ مِنْهَا صَبِيحَةً
فَأَمْوَاجُهَا زُرْقٌ بَدِيْعٌ صَفَاؤُهَا
أَلْمَ بِصَيْدَاءِ الْمَشِيْبِ مُبَكَّرًا
فَمَا زَادَهَا إِلَّا شَبَابًا وَفَسْحَةً
مَوَاسِمِ صَيْدَاءٍ مِنَ الثَّلْجِ وَضُحُ
أَمِنْ شَجَرِ اللَّيْمُونِ هَذَا تَجَلْبَبَتْ
لَقَدْ غَمَرَتْ إِلَّا بِقَايَا كَأَنَّهَا
أَيَّ شَجَرَاتٍ فِي كُوَانِيْنَ أَصْبَحَتْ
أَفِي شَكْلِ مَبْيِضٍ مِنَ الثَّلْجِ أَنْزَلْتُ

* * *

بِبَغْدَادِ أَعْيَاهُ وَأَرْهَقَهُ الْأَسْرُ
خَوَافِيَهُ وَاشْتَدَّتْ قَوَادِمُهُ الْعَشْرُ
فَهَلْ أَنْتَ لِي صَيْدَاءٍ لَا بِلَدِي وَكَرُ

لَقَدْ أَطْلَقْتَ صَيْدَاءَ طَائِرِ أَيْكَةٍ
غَرِيْبٍ مِنَ الْأَطْيَارِ فِيهَا تَوَافَرَتْ
وَأَزَعَجَنِي مِنْ بِلَدَتِي مُزْعِجُ الْقَطَا

الأدب العصري في العراق العربي

تمايلتُ لا سكرًا ولكن تَعَلَّتُ بذكراك أو ذكري العراق هي السكر
نعم لم يزل يعتاد قلبي اضطرابه كما اضطربتُ ضمن الشباك القطا الكدر
أنسى زمان الكرخ والكرخ معرس وتذهب عن ذكري الرصافة والجسر

* * *

هوى البحث أقصاني ومالي جانب أبى الله عن زوراء دجلة مزور



«مجالس الأدب في صيدا»: من اليمين الصف الأول: عبد السلام شهاب، أحمد عارف الزين، سليمان الظاهر، محمد رضا الشيببي، الشيخ أحمد رضا، توفيق عسيران. الصف الثاني: أديب الزين، حسين عسيران، الدكتور شريف عسيران.

باطل الحمد ومكذوب الثنا

من جملة قصائده السائرة في أنحاء الأقطار التي يقطنها الناطقون بالضاد.

فتنة الناس، وُقينا الفتنا
رُبَّ جهم حوَّلاه قمرًا
أيُّها المُصلِح من أخلاقنا
كُلنا يطلب ما ليس له
رُبَّما تعجبنا مخضرةً
لم تزل ويحك يا عصر أفقُ
حكم الناس على الناس بما
فاستحالتُ، وأنا من بعضهم
أخطأ الحقُّ فريقُ بائس
إننا نجني على أنفسنا
بلغَ النَّاسُ الأمانى حقَّةً

باطل الحمد ومكذوب الثَّنا
وقببِيحٍ صيِّراه حسَّنا
أيها المصلِحُ ألداء هنا
كُلنا يطلبُ ذا حتى أنا
أرْبُع في الأصل كانت دمننا
عصرَ ألقابٍ كبارٍ وكُننى
سمعوا عنهم وغيَّضوا الأعيُننا
أذني عيْنًا وعيني أذنا
لم يلومونا ولاموا الزَّمننا
حين نجني ثم ندعو من جنى؟
وبلغناها ولكن بالمُننى

* * *

خسرت صفقتكم في معشرٍ
أرخصوه ولو اعتاضوا به
يا عبيدَ المالِ خيرٌ منكمُ
إنني ذاك العراقيُّ الذي
إنني أعتدُّ نجدًا روضتي

شروا العارَ وباعوا الوطننا
هذه الدنيا لقلَّتْ ثمننا
جهلاءُ يعبدون الوثننا
ذكر الشام وناجى اليمنا
وأرى جنةَ عدني عدنا

* * *

أيها الجيل اكتشف لي حاضرًا
ينهض الشعب فيمشي قُدِّمًا
حالة النفس التي تسعدها
ففقير من غناه طمعُ

كُلِّمَّا خرَّبَ ماضيك بنى
لو مشى الدهرَ إليه ما انثنى
وتُريها كل صعب هينًا
وغنيٌّ مَنْ يرى الفقر غنى

أغاريد الروح

شَعَلَ السَّمِيرُ جَوَارِحِي وَشَغَلْتُمْ
أَتَى تَهَشُّ إِلَى حَدِيثِ مَحْدَثِ
مَا شَأْنُ جِثْمَانِي وَمَا أُوطَارُهُ
مَا أَثَرْتِكُمْ بِالْوَلُوعِ وَإِنَّمَا
نَلْتَمُ حَقِيقَتَهَا الَّتِي خَلَصْتَ لَكُمْ
خَانَتِكُ فِي حِجْبِ الْغَرَامِ ضَمَائِرُ
عِيَّ اللِّسَانِ لِأَنَّ رُوحَكَ وَقَعْتَ
الْعُودَ وَالْوَتَرَ الْفَصِيحَ لِأَنْفَسِ
رُوحِي فَكُنْتُمْ دُونَهُ سَمَّارَهَا
رُوحُ تَكَاشَفَ مِثْلَكُمْ أَسْرَارَهَا
النَّفْسُ بِالْغَةِ بِكُمْ أُوطَارَهَا
جَهْلُ الْوَرَى وَعَرَفْتُمْ مَقْدَارَهَا
طَوْعًا وَنَالَ سَوَاكُمُ أَثَارَهَا
كَانَ الْغَرَامُ وَلَا يَزَالُ شِعَارَهَا
أَلْحَانَهَا وَتَنَاشَدَتْ أَشْعَارَهَا
جَسَّ الْهُوَى بِمُرُورِهِ أُوتَارَهَا

يا رجال الغد

اقترح نظمها بعض أساتيد دار الفنون في صيداء لتتلى في المدرسة ويحفظها التلاميذ.

أَنْتُمْ — مَتَعْتُمْ بِالسُّؤْدِ
يَا شَبَابًا دَرَسُوا فَاجْتَهَدُوا
وَعَدَ اللَّهُ بِكُمْ أُوطَانَكُمْ
أَنْتُمْ جَيْلٌ جَدِيدٌ خَلَقُوا
كَوْنُوا الْوَحْدَةَ لَا تَفْسَخْهَا
أَنَا بَايَعْتُ عَلَى أَنْ لَا أَرَى
عُقْدَ الْعَالَمِ شَتَى فَاحْصَرُوا
لِتَكُنْ آمَالُكُمْ وَاضِعَةً
لِتَعِشْ أَفْكَارُكُمْ مُبْدَعَةً
يَا شَبَابَ الْيَوْمِ — أَشْيَاخُ الْغَدِ
لِيْنَالُوا غَايَةَ الْمَجْتَهَدِ
وَلَقَدْ أَنْ نَجَازَ الْمَوْعِدِ
لِعَصُورٍ مَقْبَلَاتٍ جَدِيدِ
نَزَعَاتِ الرَّأْيِ وَالْمَعْتَقِدِ
فُرْقَةً، هَاكُمُ عَلَى هَذَا يَدِي
هَمَّكُمْ فِي حَلِّ تِلْكَ الْعَقْدِ
نَصَبَ عَيْنِيهَا حَيَاةَ الْآبِدِ
دَابَّهَا إِيجَادَ مَا لَمْ تَجِدِ

* * *

لَا يَنْالُ الضِّمِيمُ مِنْكُمْ جَانِبًا
أَوْ تَخْلُونَ وَأَنْتُمْ سَادَةٌ
الْوَفَا حِفْظُكُمْ أَوْ رَعِيكُمْ
غَيْرُ مَيْسُورٍ مِنْالِ الْفَرْقَدِ
لِأَعْمَادِكُمْ مَكَانَ السَّيِّدِ
بَعْدَ عَهْدِ اللَّهِ عَهْدَ الْبَلَدِ

لا تمدوها يداً واهية ليد مفرغة في الزرد
تشبه الأرض التي تحمونها عبث الأعداء غاب الأسد

* * *

دبروا الأرواح في أجسادها فاق داء الروح داء الجسد
إن عقيب العلم من غير هدى هذه العقبي التي لم تحمد
من أتانا بالهدى من حيث لم يتأدب حائر لم يهتد
غير مجد أن جهلتم قدركم عدد العلم وعلم العدد
إذا لم ترصدوا أحوالكم لم تفدكم درجات الرصد
وإذا لم تستقم أخلاقكم ذهب العلم زهاب الزبد
عد عنك الروض لا أرتاد لي غير أخلاق هي الروض الندي

* * *

بوركت ناشئة شرقية نشأت في ظل هذا المعهد
من جنى من علمه فائدة غير من عاش فلم يستفيد
ما يرجى ليت شعري والد أهمل التعليم عند الولد
سيرة الآباء فينا قدوة كل طفل بأبيه يقتدي

* * *

ليس هذا الشعر ما تروونه إن هذي قطع من كبدي

خواطر وخیالات

من نظمه في أوائل شببته:

هي خطيرة لك من وراء سجاف هزت على بعد المدى أعطافي
ما أبصرتك ولا رأتك نواظري حتى رآك على الخفار شغافي
متجرّد خلع الكثيف ولم يزل يسعى إليك بجوهر شفاف
تشقى النفوس مع الجسم وهل ترى للدر معنى وهو في الأصداف
ماءان جازهما الظماء: فأجن طرّق إلى جنب المعين الصافي

إن لم أَرِدْ تلك التي تُروِي الظمًا فَلَربُّمَا نَقَعَ الظَّمَا إِشْرَافِي
خَيْرِ الوَصَالِ طَبِيعَةً إِذْ طَالَمَا ظَهَرَ التَّطَبُّعُ فِي وَصَالِ الجَافِي

* * *

يا نَاشِدِي الأَثَرِ الجَدِيدِ اسْتِيأَسُوا مِنْ طُولِ نَشْدَانِ القَدِيمِ العَافِي
بَقِي القَدِيمُ وَإِنَّمَا جَدَدْتُمْ ضَرَبًا مِنَ الأَسْمَاءِ والأَوْصَافِ
ولقد عثا سَيْلُ الوُجُودِ ومَذهَبِي أَنْ الوَرَى ذَاكَ الغِثَاءِ الطَافِي

* * *

خَيْرِ الحَوَادِثِ مَا أَنَارَتْ شُبُهَتِي وَجَلَّتْ عِمَائِي وَجَدَدْتُ إِرهَافِي
تلك الخُطُوبِ وَمَا أَجَلَّ عَدِيدِهَا مَلَكَتْ يَدِي وَتَعَاوَرَتْ أَطْرَافِي
أَسْرَفْتُ آمْنُهَا وَهَذَا مَنْتَهَى مَا كَانَ مِنْ شَطْطِي وَمِنْ إِسْرَافِي
خَيْرًا أَرَى لِكَ أَنْ أَخَافَ لِتَأْمِنِي يَا نَفْسُ مِنْ أَنْ تَأْمِنِي لِتَخَافِي
لِي نِيَّةٌ لِلدَّهْرِ فِيهَا نِيَّةٌ وَالحُكْمُ لِلْمَسْتَقْبَلِ الكِشَافِ

بين العراق والشام

من أبياتٍ أنشأها أواخر أيام إقامته في دمشق، وقد اشتاق جدًّا إلى العراق.

ببغداد أَشْتاقُ الشَّامَ وَها أَنَا إِلى الكَرخِ مِنْ بَغدادِ جَمِ التَّشَوُّقِ
فما أَنَا فِي أَرْضِ الشَّامِ بِمَشْتَمٍ وَلا أَنَا فِي أَرْضِ العِراقِ بِمَعْرِقِ
هما وَطَنٌ فَرَدُّ وَقَدْ فَرَّقَوهما رَمَى اللّهُ بِالتَّشْتِيتِ شَمْلَ المَفْرِقِ
إِذا قَمَتَ نَصَبُ العَيْنِ يا عَهْدَ تَدْمَرِ ذَكَرْتَ ادِّكارِ الطِيفِ عَهْدِ الخورنِقِ
وهل بِلَدِ أُولى مِنَ الشَّامِ بِالهُوى وَبِالحَبِّ أَجْدِرُ فِي دِمَشقِ وَأَحْلِقِ
رَهْنَتِكَ يا بَغدادِ قَلْبِي وَمَنْ تَكُنْ رَهينَتَهُ قَلبًا بِبَغدادِ يَغْلِقِ
عَلِ الشَّيْبِ أَمالِي وَلَمْ يعلُ عارِضِي وَبِئِصَّ قَلْبِي قَبْلَ تَبْيِضِ مَفْرِقِ

منها:

ولا يُستجاد القول إن لم يُلْفَقِ
 وشعر جمال سائراتٍ وأنيق
 وأدهى دواهي الشعر تقييد مطلق
 وتهجر كلَّ الهجر إن لم تُطَلِّقْ
 وإن لم يَسْعَكَ الخلق لا تتخلق

إلى الآن لا يُستملح الشعر إن علا
 قريض طولٍ عافياتٍ وأرْبُع
 مقيدةٌ أبوابه وفنونه
 ويا رَبُّ حَسَناء الأعاريض تتقى
 إذا لم يجتَكَ الشيء عفوًا تحامه

بين العقل والعواطف

واقعة حال

والعقل ينهأه إلا بعدَ إغبابٍ
 وللنهي جنبتا سلبٍ وإيجابٍ
 يا قلب ذات براهين وأسبابٍ
 فنَبَّهتْ حركاتُ الشوقِ أعصابي
 نجوى مصلاي أو تسبيح محرابي
 في اللحنِ لحنِي وفي الإعرابِ أعرابي
 مُذ ساعةٍ فأراها منذ أحقابٍ
 إلا وقد عَلِقَتْ يُمناي بالباب

قلبي يريد بلا غِبِّ زيارتكم
 قضيةً بقياس الروح موجبةً
 ما أنت ممن يريد الحبَّ فلسفةً
 تنبّه العقل للسلوى يُحَرِّكُنِي
 ما زال في الصلوات الخمس ذكركم
 لم أدِرِ ما أتَهَجَّي غير أنكم
 قد يحجز الدهر ما بيني وبينكم
 وطالما صرْتُ في وجهه فلم أرني

* * *

ظلام ليلي هذا غير منجاب
 فضل وإلا فقدري لثم إعتابي
 وإن أكن مُستقلًا بين أصحابي
 ولا ظهور بأنباز وألقابٍ
 من الهوى ليلداتي أو لأترابي
 من شك أنكم في الله أحبابي

يا راقدِي الليل منجابًا ظلامهم
 يا سادتي لثم أيديك على شفتي
 نادمتكم من مكاني واصطحبتكم
 ما ضرني مظهري فيكم بلا رتب
 كأن معطي الهوى لم يُبق باقيةً
 ما أنصف الحب لا تُحصى شواهدُه

لغة الحب، أو مثال من الشعر الخالد

تفاهمتا عيني وعينك لحظةً
مشت نظرة بيني وبينك وانبرى
كأن الذي حاولتُ نَمَّ وحاوَلتُ
أحدِيثُ لم تُلفظ وللنفس منطق
إذا لم تجد في ظاهر الرأي عِلتي
وما خير رأس لا تبين لناظر

وأدركتا أَنَّ القلوب شواهد
من القلب مدلولاً على القلب رائد
من الحُبِّ معنَى بيننا مُتوارد
وجيز وألفاظ اللسان زوائد
أما أدَّتَا عيناَي ما أنا واجد
على طرفة من ناظريه المقاصد

* * *

جباه الذين استهجنوا الحُبَّ كزة
كثير محبوبك الذين تجلدوا
صرفت إليك النفس عن شهواتها
وما طال عهدي بالقصيد ومن رأى
دواوين هذا الشعر تفنى وللهوى

وأوجههم شر الوجوه الجوامد
وأما الذي جرى هواك فواحد
وجاهدتها، ما حُبُّ من لا يُجاهد
لكم نظراتي قال هنَّ القصائد
هوى الرُّوح ديوان من الشعر خالد

الهوى لا شك فيه

إذا الشك اعتراك بكل شيءٍ
ثقي بهوى تبوُّاً من فؤادي

ورابك في الوجود وساكنيه
مكاناً لا يليق الشك فيه

محمد حبيب العبيدي



محمد حبيب العبيدي.

محمد حبيب العبيدي: اطلب ترجمته ونخبة من نثره في قسم المنثور من هذا الكتاب.

(١) آمال وآلام

فلا سالمتم سلمى ولا واصلتم هذ
وما زال حتى الفجر يعبث بي السهد
كأنَّ الدُّجى قلب كَأني به وجد
بنور سناها تهتدي العمي والرمد
كواكبُ ليلٍ ملء أحشائه وقد
على كبد العلياء من حرها برد
بقية أوهام تخللها نقد
فقل في حراب شف عن وخرها جلد
أهاب بها دون التَّجلد ما يبدو
ولكن حراً كاده في الوغى عبد
ورُبَّ همام زاد في عزمه الصد
على أنه للدهر من نسجه برد
ولكنني آسى ليومٍ له وعد
دياجرُ ليلٍ كان يخبو به الزند
وأرقب فجراً ليس من ليله بد
فسوف يروق العيش يوماً لمن بعد
ليهناً برغم الدَّهر يوماً لك المجد

إذا لم يمحَّص من شوائبه الودُّ
أرقتُ وعاف الليلُ وصلي وعفته
كأنَّ الكرى صب كَأني رقيبته
وبي تحت جنح الليل نار هواجس
أصعد أنفاساً كأن شرارها
أصعد أنفاساً نضحن بعبرة
كأنَّ فؤادي خافقاً بين أضلعي
فؤادي فرت كف الخطوب إهابه
طويتُ على وخز الضمير جوانحاً
أعاتب دهرًا لم ترعني صروفه
وما صدني عن منهج الحق باطل
بكيت شباباً مرَّفته يد الضنى
وما أسفي أني أموت صباية
أماني عافت دون ضوء نهارها
سأرعى نجومًا دائبات على السرى
فيا وطني إن لم ترق فيك عيشتي
ويا أمة حنت لسالف مجدها

* * *

ويندب أبطالاً له موكب فرد
ولاح بذيل الأفق طالعها السعد
كأنَّ بني الغبراء في ظلهم وفد
كأنَّ الورى جيد كأنَّهم العقد
كفته العدى شراً وأهنأه الرد
ربيب دموع من كرام له جدوا
خلال بروقٍ من قرائحهم رعد
قذائف نارٍ والطروس لها وقد

سيحمد يوم الروع غير كماته
كأنني بعدنان وقد ضاء فجرها
كأنهم شمس كأنَّ الهدى ضحى
كأنَّ العلى حلي كأنهم يد
ومن رد في نحر العدى سهم كيدها
فيا ابن الغد المأمول والزهر باسم
أهابوا بأقلام كأنَّ صريرها
أهابوا بأقلام كأنَّ مدادها

بعيشك عيش الرّغد هل أنت ذاكر
فَمُرَّ بهم يوماً وحَيِّ قبورهم
عظام عظام منهم عيشك الرغد؟
بأزهار علياء لها لحدهم مهد

* * *

عفاء على حر طواه زمانه
لدى هيكلا لا تأكل النارُ جنبه
ربيب الحمى هل أنت موفٍ بعده؟
أترعى بروض ثم تغفل وِرده؟
أتروي بماءٍ ثم تهمل وِرده؟
ظلمت دياراً أقفرت جنباتها
فلا سقت الأنواء إلا مفاوزاً
مراتع غزلان تحرم صيدها
دفناً بها مُلْغاً وعزّاً ومفخراً
رثاها كتاب الله والوحي مثلما
دفناً بها نوراً لبسنا بهاءه
فهل من لعاب الشمس حيكث ثيابنا؟
وما لاسمه نشرٌ إذا ذكر الند
ويَفْجُر ينبوعاً له الحجر الصلد
عليك أيا راعي الحمى للحمى عهد
عليك حرامٌ ذلك الروض والورد
عليك حرامٌ ذلك الماء والورد
وأملن لا شيح هناك ولا رند
بطون ثراها - لو وعث - للعلى لحد
مصارع أسدٍ حل منها لنا الصيد
جنائز مجد نعيها للورى مجد
بكاها الهدى والحزم والعزم والرشد
ولكنه سرعان ما أخلق البرد
على أن خيط الفجر في الأفق ممتد

* * *

متى تنشر الأموات من طي رمسها
رويدك ليس الأمر مزحة عابث
عفاء على الدنيا إذا غمَّ خيرها
وطئت بأقدامي جباهاً حريصةً
حرام سجد المرء إلا لرَبِّه
إذا مخرت فلكُ إلى ساحل المنى
يعز على المكسال يقضي لبانة
وخير أمانيّ الرّجال أولى النُّهى
لئن كان في الإثراء حلية عاطلٍ
رعى الله أماًلاً خبا الزند عندها
وتمشي الهوينا من مرابطها الأسد؟
ولا تصدق الآمال إن كذب الجد
وعارٌ إذا ينزو على منبر قرد
يلوح بها سطر من الذل مسود
وقد حناه الذل أولى به القُدُّ
فأوشكُ بجزرٍ للمنى بعده مد
ولا يقطع البتار يصحبه الغمد
سطورٌ من التّاريخ يحمدها الخلد
فإنّ كريم النّفس حليته الحمد
وخفف أماً ورى عندها الزند

(٢) أشعر أم شعور

عدمتُ شواذي الطير ما لي وما لها
وإن أشرقَت شمسٌ ذكرتُ زوالها
خشيت على أوصال قلبي انفصالها
فأشكو كما تشكو النجوم نبالها
بغرب وذيّل الأفق وارى مثالها
أشاهد معناها وأقدر حالها
وكلُّ معانٍ قد جهلت مآلها
فصار يرى في كل شيء خيالها
عليّ ولا خود أروم وصالها
وقد حجبت عنيّ لأمر جمالها

أرى كل طير غرّدت تستفزني
وإن بارقاً أبصرتُ أججَ زفرتي
وإن حرّكتُ أيدي النسائم ساكنًا
وترمي قسيّ الفجر أفئدة الدجى
أنهيه من دمعي إذا الشمس أذنت
وبي هاجسٌ من كل لوحة فطرة
فتحزنني هذي وتلك تسرني
كأنّي صب تيمته مليحة
ولا ظبيّ لي أشكو إليه جناية
أظن لروحي من ورائي عادة

* * *

وإن جهلتُ منّا اليمين شمالها
وإن عميت أبصار قوم حيالها
ولو فقه الإنسان هاب جلالها
وعار إذا ترضى الهداة ضلالها
تسائلنا هل من يجيب سؤالها
تميد به الدنيا إذا هو قالها
وتلبس نفس بعد نقص كمالها
وحرّم من هذي الحياة حلالها
وحتى سهول الأرض تشكو جبالها
فرحماك ربي اقتصّ ممن أسأله
ومن عثرات اللورى ما أقالها
إذا لم يُجرّد مجتلوها نصالها

بعمرك ما سر الوجود بغامض
وما سترت شمس الحقيقة نورها
وما هذه الأكوان مزحة عابث
حرام على الإنسان يشقى بعقله
مهيب صدى الأفلاك في قبة الدجى
وفي ساحة الأرواح نغمة شاعر
متى يخلع الإنسان ثوب غروره
تَبَطَّنَ غيًّا واستباح محرّمًا
فلو نطقت أرض شكت من سمائها
تسيل دموعي رحمةً لبني الورى
أعوذ برب الأرض من شر أهلها
وما ينجلي خير الحياة وشرها

أشقى الشعوب

أشقى الشعوب أقلُّها
فأعيذ قومي منهما
علمًا وأكثرها شقاقا
وأعيذ بالله العراقا

عزمت فسعدت

سعدتُ وربِّك أمةٌ
شربت كئوسًا للردى
عزمت على خلع الشقاء
خاضت بحارًا من دماء

لا أرضى

يا كاتب الأقدار لا
وقّع على صك المنى
أرضى بأن تشقى البلاد
بدمي إذا خان المداد

إلى متى؟

كل الندامى قد صحت
حتى متى وإلى متى
إلا نديمي غير صاح
في سكر غيك أنت صاح

لا تذبلي

لا تذبلي يا زهرة الـ
فلكم خدمتك بذرة
آمال في زمن الربيع
ولكم سقيتك من دموعي

(٣) العرب الكرام بين السيوف والأقلام

ألقاها بنفسه بين يدي جلالة الملك فيصل في الحفلة التي أقيمت لجلالته في المدرسة الإسلامية بالموصل في صفر سنة ١٣٤٠هـ، وكان نظمها وإلقاؤها برغبة من لم تسعه مخالفته.

الشعر والشعب

وللأسد أن يبدو جهازًا زئيرها
وما جدت بعد البزاة صقورها
وقد أرشد العميان منا بصيرها
طوتها يدٌ للموت عزّ نشورها
فذاق به كأس الحياة شعورها
فلا قذفت درّ القوافي بحورها
فكانت عقودًا والأمانى نحورها
على ذكر أوطاني يفيض غديرها
وتاريخ قحطان يدر غزيرها
يجول به إن لم يُحرّر أسيرها
إذ الناس غربان ونحن نسورها
فما زلت حتى كان طرسي نورها
ليهنك يا أعلام صح كسيرها
ولكن شعري بالأمير أميرها
كما كللت هامّ الرياض زهورها

لقد آن للأقلام يعلو صريرها
سلام على العهد القديم وأهله
وقفنا على التاريخ وقفة ناقدٍ
أهبنا — وما في الحي صوت — بأمةٍ
جسنا بكف الشعر نبض شعورها
إذا الشعر لم يوقظ من الشعب راقداً
وربّ قوافٍ من دموع نظمته
يعزّ على عيني البكاء وإنما
على مجد عدنان وسؤدد هاشم
حرام على عرق لنا دم يعرّب
ونحن أباة الضيم من عهد تُبّع
عتبت على الأيام وهي غياهب
بكت قلمي الأعلام منذ كسرت
وما أكثر الأشعار وهي كتائب
هو الملك المقصود بالنصر تاجه

المنيا والمنى

وقد صافحت أيدي الكماة ذكورها
ولولا قناهم ما استقامت أمورها
وقد أسست فوق اليراع قصورها
إذا لم تُعزّز بالسيوف سطورها
فربّ حقوق المواضي سفورها
وربّ أمانى المنيا جسورها
لما ضربت فوق السماكين دورها

سلام على ذكرى لأبطال يعرّب
سلام على الأقيال من آل هاشم
أقاموا على حد الحسام بناءها
لا خير للأقلام فيما تخطه
لئن كان بالأشعار تجلى حقائق
عبرنا على ظهر المنيا إلى المنى
لعمر الوغى لولا مضارب «فيصل»

الهواشم من عهد هاشم

ويحمي الثريا - لو شكت - ويجيرها
ينوء برضوى - لو علاه - يسيرها
وعهد بنيه يوم قام نذيرها
وما ضمت البطحاء حتى صخورها
فبأء بذل - رغم أنف - نفورها
لصادٍ وغادٍ راسيات قدورها
وضافته حتى في السماء طيورها
كذلك يُحيي المكرمات كبيرها

بني يَعْرُبُ يا خير من وطئ الثرى
عليكم حقوق للهواشم جمّة
سلام على التاريخ من عهد هاشم
لقد علم البيت الحرام وأهله
غداة أعزّ القوم نافراً هاشماً
وربّ جفان كالجوابي أباحها
قرى الضيف حتى أشبع الوحش في الفلا
شمائل أحيا عهدها اليوم «فيصل»

الانقلاب العربي بمبعث النبي الهاشمي

وقد جاء بالدين المبين بشيرها
وما العيش إلا ناقة وبعيرها
ويعبث بالعاني الضعيف قديرها
وتقضي على فضل العقول خمورها
وقد عمّت الأكوان منه شرورها
وفي الشرق أقيال جفاها غرورها
يُطهّر أرضاً قد علاها فجورها
وعيسى ومن يُعزّي إليه زبورها
بقرانه ما أعوزته عصورها
يضيء بمشكاة الشرائع نورها
شرائعُه حتى استقام أخيرها
يُناسبه من كل مصرٍ مصيرها
على أنّ مقياس الشعوب دهورها
إذا اختلفت حسب الزمان أمورها
وقد كملت «بالهاشمي» بدورها

سلامٌ على عهد الرّسالة والتّقى
رأى القوم فوضى والضلال مخيماً
ويأكل بعض القوم بعضاً غوايةً
وتُعبد أوثان وتُهتك حرمة
وقد خلع الإنسان ثوبَ بهائه
وفي الغرب أقوام جفت سنة الهدى
فجاء بناموس السماء «ابن هاشم»
حكى صوت موسى والنبيين قبله
تلا الصحف الأولى وجاء متمماً
لكل زمانٍ أو مكانٍ طبائع
وما الدين إلا واحد قد تعددت
أبت حكمة التشريع إلا تطوّراً
«لكلّ جعلنا شرعةً» خيرٌ شاهد
فأيّ نظام لم تُحوّره أمة
شرائع كانت للأنام أهلة

فجاء بها سمحاء خير شريعة
كما ضم شمل العرب «فيصل» سبطه
على عوج في الكون ليس يضيئها
فسرّ العلى بعد الخفاء ظهورها
وقد حمدت فيه الفروع جذورها
همام لقد قرّت به عين جده

الفتوحات العربية بفضل البعثة النبوية: نحن وكسرى وقيصر

بدا النور من بطحاء مكة ساطعاً
فمزق إيواناً لكسرى مشيداً
وأجفل منه قيصر فوق عرشه
ثأرنا بسيف الحق من كل باطل
فقولوا لكسرى يوم أصغر شأننا
رأيت سيوف العُرب كيف تحكمت
إلى أين ربّ التاج هل أنت هارب
إلى أين ربّ العرش هل أنت هارب
حصونك لم تمنعك من آل يعرب
غرورك قد أشقاك لو كنت عالمًا
ألم تك يا إيوانُ بالعُرب هازئًا؟
وقبلك دوّخنا هرقل وتاجه
يحنُّ حنين السقب فارق أمه
رفعنا على ملك العراقين راية
وجفّت بحار الرمل تحت خيولنا
إذ ارتعدت منا فرائص قيصر
وهم جبروت الشرق أطواد عزه
فلم تُغن عنهم مانعات حصونهم
يذكرنا مجدًا نسيناه «فيصل»

وضاءت به من أرض يثرب دُورها
وأحمد نيرانًا شديدًا زفيرها
وذلت له بصرى ودُكت قصورها
وذل لنا جل الورى وحقيرها
أأبصرت أي الأمتين صغيرها؟
وصال على فيل ركبت بعيرها
رويدك هذي العرب كنت تجيرها
وراك حريم لم تصنها خدورها
وملء قصور قد سكنت قصورها
وقبلك كم أشقى ملوكًا غرورها
فها أنت والتيجان معك أسيرها
فذلت بنو عيص وذل نصيرها
وقد لفظته كل أرض ودورها
وفي الشام أخرى لا يضام خفيرها
ودك لنا من سهل سيناء طورها
وحل بكسرى ويلها وثبورها
وفي طوعهم سهل الثرى ووعورها
من العرب شيئاً يوم شبّ سعيها
فله رغم المنسيات ذكورها

نحن والشرق والغرب

يعزُّ على قومِ سوانا عبورها
ويا ذلة الأتوام! هل من يُجيرها؟
فلا كان ولدان الجنان وحورها
وبرقة حتى ما يهر هريرها
فغارت مجاريها وذابت صخورها
فما ذمَّ أطراف الشفار جزورها
فكادَ يطول الشامخات قصيرها
وخرَّ صريعاً روذريق أميرها
فما صان أرض الصين منهن سورها
وبين لوار وردها وصدورها
نُغربُ لا تحمي البلادَ ثغورها
ويركع بالأقيال رعباً سريها
ودانت لنا الأفلاك حتى أثيرها
وأفضل أبطال الأنام غيورها

عبرنا لأفريقاء وهي منيعة
فيا خجلة الأهرام! أين حماتها؟
وما مصر إلا دمية القصر إن بدت
وراعت طرابلساً بروقُ سيوفنا
وتونس لم تقوَ لهيبة عزنا
وطوقَ أكنافَ الجزائر جيشنا
وفي المغرب الأقصى تعالت رماحنا
وأندلس اهتزت لهيبة طارق
وقد هزأت بابن السماء خيولنا
وما بين بنجاب، رعى الله خيلنا
نُشرقُ طوراً في البلاد وتارة
تخر لنا الأبطال في الحرب سُجداً
فذلَّت لنا الأملاك وهي عزيزة
فهل عجب أن غار للعرب «فيصل»؟

نحن والعدل والإحسان والحضارة والعمران

غدونَ رياضاً زاهياتِ زهورها
وعِلماً وفضلاً زاخرات بحورها
وفي الشرق بغداد تضيءُ بدورها
فعمَّ بلادَ المشرقيين حبورها
تعيبُ لدنيا حكمة تستعيرها
ويوماً إلى دار السلام مسيرها
يُشعشع حتى الآن في الكون نورها
ألم تكُ قبلاً مُظلماتِ عصورها؟
فما أفنت الحمراء بعد دهورها
وقد كان لولانا عزيزاً نظيرها
وتبسم عن عهد الرشيد ثغورها

وكل بلادٍ قد وطئنا صعيدها
وأنبتن إحساناً وعدلاً وحكمة
فقرطبة في الغرب تزهو نجومها
بنو عبد شمس تقتفي إثر هاشم
وهبَّت لسيف الفاتحين بقية
فيوماً إلى غرناطة شدَّ رحلها
خلقنا بسيف العدل شمس حضارة
سلوا أمماً سارت على ضوءِ رشدنا
لئن كان قصر الخلد ليس بخالد
ورُبَّ عُصور سُميت ذهبيةً
وإن رجائي أن تعود بـ «فيصل»

رحمك ربي ...

عن العُرب يوماً أين شالت نسورها؟
كأن لم يكن مأوى العروش سديرها؟
وكيف ذوى بين الرياض نضيرها؟
وتنشر موتانا وينفخ صورها؟
ورحمك ربي أنت أنت غفورها
عُبَيْدك يبغى هديها ويُجيرها
نبيك مَنْ لولاه ما ضاء نورها

جهابذة التاريخ، هل من مُخبر
وماذا دهى قومي فَبَدَدَ شملهم
وكيف هوى من أُمَّتي نجم سعدها؟
أما آن أن تحيا معالم مجدنا
إليك إلهي المشتكى من ذنوبنا
تدارك بقايا أُمَّةٍ قام «فيصل»
فخذ بيديه إنَّه ابن محمد

هما الثقلان

فلم ننتبه حتى استطارت شروها
وقد عطَّر الأَسْمَاع منا عبيرها
بدونهما لا تستقيم أمورها
وحلت مكان اللب فينا قشورها
فكان كما شاء العدو مصيرها
وكيف بنا لو لم يُغْثها غيورها؟
عميم الندى فذ المزايا كثيرها

غفونا عن الأيام ملء جفوننا
ضللنا فلم نحفظ وصاة محمد
هما الثقلان آله وكتابه
أضعناهما حتى أضعنا نفوسنا
فيا أُمَّة خانت عهد نبيها
ألم يكف ما عانى الكتاب وأهله
ربيب الهدى رب الفضائل «فيصل»

جلالة الملك والتاريخ وقومه

وقد زحرت بالحادثات بحورها
وما غيره يوم الحفاظ ظهيرها
تُجير برغم الدهر من يستجيرها
وكان بها يحلو قديماً مريها
جفاء قرون نام عنه شعورها
وشقَّ له جيب القلوب صبورها

هو الملك المنجي من الهلك قومه
وربَّ حقوقٍ صان هيكلمجدها
وما هي إلا غيرة هاشمية
رأى أُمَّة قد مرَّ بالذل حلوها
رأى ضجة التاريخ يشكو لرَبِّه
لدى هيكلم لا يندب المجد غيره

فتحمد آصال الزمان بكورها
 بمحلول نور الخلد خطت سطورها
 بأرض هُدى جبريل كان يزورها
 يسُر رسولَ الله يوماً مصيرها
 حقيقاً بأن يحمي الحمى من يعيرها
 فلله أبطال سيوفك سورها
 فسَرَ حماة الضاد منك نشورها
 وخصَّ بلادَ الرافدين سرورها
 وما مثل باكي العين يوماً قريها

فعرَّ على ابن الوحي أن لا يُجيبه
 فجدد عهداً كان في المجد آية
 متأثر كان الله بانِي مجدها
 فيا ابن رسول الله شكراً لعزمة
 أعرت بها التاريخ نظرة باسل
 حفظت بقايا قومك العُرب بالظبي
 وأحييت حق الضاد من بعد موته
 فضائل هز الشرق والغرب سرُّها
 بكت عيننا حيناً وقرَّت بـ «فيصل»

جلالة الملك والعراق

وما فاز باللذات إلا جسورها
 جماجمنا إماً تشاء صخورها
 وقد ملئت منك انشراحاً صدورها
 وشاهدنا يوم الحفاظ ذكورها
 فأرواحنا مثل الضحايا نذورها
 حلال لك الأموال حتى نقيرها
 ولو أن أيدي الموت كانت تديرها
 أشار له بالسيف مناً مشيرها
 يشق الفضا بالفن يوماً خبيرها
 يكون إلى الشعرى العبور عبيرها
 ويفضل أهل الأرض طراً أميرها
 على أثلاث العدل شدواً طيورها
 حدائق لكنَّ العلوم زهورها
 سماء ولكنَّ الفنون بدورها
 يسيل لجيناً والنضار بذورها
 قد اعتدلت قدأ ودقتْ خصورها

تربع على عرش العراق مُهنئاً
 وشيّد قصوراً شامخاتٍ من العلى
 ملكت قلوبَ الشعب يا ملك الهدى
 لك العهد مناً والوفاء شعارنا
 بأنك لو نبغي نذوراً لمجدنا
 حلا لك الأجال في حومة الوغى
 سنسعى إلى عزِّ نُصيب كئوسه
 ولو زحلٌ من دوننا كانَ حائلاً
 نصبنا له الأرصاد وهي مدارس
 إذا أبحرت بالعلم والعدل أمة
 تصافح سكان السماء تطوُّلاً
 كأني بأرجاء العراق وقد شدت
 كأني بأرجاء العراق وقد غدت
 كأني بأرجاء العراق وقد غدت
 كأني بماء الرافدين على الثرى
 كأني بالحدباء مذ بك شُرِّفت

فأهلاً بمن رب السماء لجده
جلالة مولانا المعظم فيصل
لقد قال أهلاً يوم راح يزورها
ليحي كما تحيا بلاد يجيرها

(٤) نسيت وما أنسى

قالها في صباه ترجمها عن قصيدة بالتركية من نظمه كذلك.

لقد ألبستُ قدَّ الربيع يدُ المزنِ
تفتحتُ الأكمام عن كل زهرة
نديمة رُوحِي كيف أنتِ فقد نوى
نديمة رُوحِي بَعْدُ بَعْدَكَ لم يكن
أمرٌ بروضٍ كنتِ بعضُ وروده
فيا لوعة القلبِ المُصابِ إذا بدت
سلام على أحبابِ قلبٍ لحُسْنِهِم
رعى الله من ورد الخدود مقبلاً
رعى الله عهداً كان يُحفظ بيننا
رعى الله أسراراً سكرنا بخمرها
حبيبة رُوحِي خنتِ بالعهد بُعدنا
نسيتُ وما أنسى بشاطئِ دجلة
نسيتُ وما أنسى هنالك بيننا
نسيتُ وما أنسى أحاديثِ صبوة
نسيتُ وما أنسى من العمر ساعة
حبيبة رُوحِي أين أنتِ وهل لنا
أيذبل ورد الوصل فينا وإنه
نحرت بلاد الروم يا غصنها فما

ملايسَ خضراً ذات لونٍ على لونِ
وزهرة قلبي في كمائمٍ من حزن
وقد كان يزهي قبل بعد النوى غصني
ليضحك لا والله من جذلِ سِنِّي
وكنتُ لذاك البعض من ورده أجني
ورود خلت في الروض من ذلك الحسن
بقية نقش في صحائف من زهني
ينمنمه دمع تحدر من جفني
ووداً طبعنا فوقه خاتم الأمن
عشية ضمتنا يد السعد واليمن
وما كان عهدي هكذا بك أو ظني
لواعج وجِدِ حرَّكتها يد اللحن
سفيراً لوعدِ عنك يحكيه أو عني
يرردها سجع الحمائم في أذني
هي العمر لو لم تعقب الوصل بالبين
من الدهر يومٌ تلتقي العين بالعين
ربيبُ دموع لم تزل منك أو مني
لطائرِ قلبي في الجزيرة من وكن

(٥) العلم والعمل

إنَّ بالعلم حياة الأمم

نظمها لتلاميذ المدرسة الإسلامية في حفلة المعراج النبوي سنة ١٣٣٨.

ذكرتُ عهد الحمى من قدم
ولوت مثل اليتامى جيدها
وقفت تندب مجداً ضائعاً
وقفت ترثي كراماً غبروا
دوَّخوا الأقطار بالسيف كما
وقفت تشكو إلى خالقها
ولقد ذاب حشاها كمدّاً
وجرى مثل الأيامي دمعها
أو كتكلّى فقدت واحدها
من بنات العرب إلا أنها
موقف ينفطر القلب له
تلك عقبى الجهل يا بنت العلى
فاندب العلم لأقوام قضا
كيف تحيا أمة جاهلة

فغدت تذرّف دمعاً من دم
وكذاك الذل شأن اليتّم
في ديار عافيات الأرسم
عرّفوا الأقبام معنى الكرم
دوّنوا أسفارها بالقلم
نكبة الشرق وذل المسلم
فجرى من عينها كالعندم
رُبَّ من يمسح دمع الأيم
فهى ما دام المدى في مآتم
حسبوها من بنات العجم
ويلذ الموت في مزدحم
ورزايا أمة لم تعلم
شهداء الجهل في حيهم
إنَّ بالعلم حياة الأمم

إنَّ بالسعي نجاة الأمم

وقفت والطرف منها شاخص
بابتها ليدها قد رُفعت
ربُّ رحماك إليك المشتكى
رب إن القوم أسد ربيضت
فنهوضاً يا بني قومي إلى
حيثُ شمس السعي بادٍ نورها

وقفة الملتجئ المسترحم
للسموات بجُنح الظلم
هل يفيق القوم من نومهم
وستلقى الموت إن لم تقم
شرف عالٍ ومجد مُعلم
كاد أن يبصرها حتى العمي

ليس للإنسان إلا ما سعى
فسلام الله يغشى أوجهاً
وسقى الغيثُ قبوراً لو درى
يا نياماً ليتهم تحت الثرى
فأذرفنَّ الدمع يا جفن على
وأخو السعي حميد الشيم
لسوى نيل العلى لم تبسم
أهلها ما قد جرى لم تنم
عاینوا ما فوکه فی الحلم
أمة عضت بنان الندم

* * *

تلك عُقبى الهزل يا بنت العلى
فاندبي السعي لقوم كسلوا
كيف تنجو أمةً خاملة
وتواني القوم في جدهم
فأصيبوا بنبال النقم
إن بالسعي نجاة الأمم

(٦) العلم والعلماء في الموصل الحدياء

نظمها لبعض تلامذة المدرسة الإسلامية في حفلة نبوية أقامتها المدرسة المذكورة سنة ١٣٣٩هـ.

سلوا الموصل الحدياء عن علمائها
إذا ما طوت كف الزمان علومهم
فمن ينشر الدين المُبين لأهله
يُعلّمهم أن يسألوا أمر دينهم
سلام على عهد السلام وإنه
يُفكّر في حظ العمائم بعدها
فيربط كفيه على قلب ثاكل
ولو أبصرت عيناي للعلم ناصراً
فيا لهفي للعلم من خفرائه
ويا أسفى للمجد مجد محمد
عليك سلام الله مني ابن هاشم
أترضى بنار الجهل تحرق أمة
كتابك فينا من يُفسرُه لنا
وقد أقفلت أبواب كل المدارس
وكانوا كأمثال الطلول الدوارس
ويحميه من طعن به من معاكس
ويكشف عن ليل من الجهل دامس
سلام حزين دامع العين عابس
كما فكرت ناس بحظ القلانيس
ويمسح عن خديه دمعة بائس
لما كنت أبكيه بمقلة بائس
إذا لم يكونوا دونه مثل حارس
إذا ما انطوى يوماً بطي المدارس
وروحى فدا نعليك يا ابن الأشاوس
أنرت لها بالعلم أفق النفائس
إذا ما فقدنا كل هادٍ ودارس

حديثك من يرويه عنك مسلسلاً
شريعتك الغراء من يهتدي بها
فعطفاً رسولَ الله إنَّ مصابنا
مُصابٌ عظيم ما نُبتُّك بعضه
كأن صدور المسلمين مراجلٌ
فيا حسرات القلب هل لك مخرج
إليك إلهي المشتكى من دُنوبنا
ويا نفحات الفيض من أرض طيبة
عليك شفيح المُذنبين تحية

فنأمن فيه من شرور الدسائس
إذا ما خلت منها حدود المجالس
أليم لدى حظُّ من الدهر تاعس
وأعظم منه ما بطيِّ الهواجس
غَلت فوق نارٍ لا تضيء لقايس
وحتامَ فيه أنت رهن المحابيس
ويا نفس تُوبي من شرور الوسوس
أُتقبل عند الله توبة يائس
من القوم من رطب هناك ويابس

(٧) نحن والمدرسة

نظمها لتلاميذ المدرسة الإسلامية.

هي الرّوضة الغناء نحن ورودها
سنأخذ من كل العلوم خيارها
بعرفاننا تزهو المحافل في الغد
ونسعى إلى تأييد دين محمد

* * *

هي الغابة القعساء نحن أسودها
سنقطف من كلِّ الفنون ثمارها
تخضد يوماً شوكة المتمرد
لإحياء مجد الهاشمي محمد

* * *

هي الدوحة السماء نحن طيورها
سننقن علماً نهتدي بسراجها
فسمعاً لصوت الطائر المتغرد
لحكمة أحكام النبي محمد

* * *

هي الأفق الوضاء في غسق الدُّجى
سنحفظ عهد الدين والعلم والحجى
ونحنُ نجوم الأفق لاحت لمهتدي
سلام على عهد الرّسول محمد

(٨) ألواح الحقائق

ألقاها بنفسه في المنتدى الأدبي العربي في الآستانة بعد خطابٍ ممتعٍ في الحرب الطرابلسية. وهي تقرب من خمسمائة بيتٍ في ثمانية وثلاثين لوحًا تتضمن أهم الحوادث التاريخية من عهد الرسالة إلى زمن الإنشاد مع كثيرٍ من المغازي السياسية والاجتماعية والوطنية والقومية.

١

بين اليأس والرجاء

هي حيناً يأسٌ وحيناً رجاءٌ
قد تلونتَ يا زمان علينا
قَرَعَ الدَّهْرُ نابنا وقرعنا
موقف ترعد الفرائص فيه
لم ينلُ من حصاتنا الدَّهْرُ لكن
أين في القوم من يخلد ذكرًا
إن مَنْ مات في سبيل المعالي
غسلته الدموع وهي لآل
وحوته من القبور قلوب
رب! رحماك هل يزمجر رعد
ومتى يُضْمِدُ الجروح أساها
من تفانى في المجد نال بقاءً
ولقد آن أن يُلَمَّ شتات

وفناء طورًا وطورًا بقاءً
فحنانيك أيها الحرباء!
نحنُ والدَّهْرُ لو درى أكفاء
وتبوخ القلوب والأحشاء
ألقت غير كأسها الصهباء
يملاً الصحف من سناه بهاء
كفنته بثوبها العلياء
أبنته الأشعار وهي ثناء
ونعته في وكرها الورقاء
وتروِّي وجه الثرى وطفاء
أزمنت علة وعز الدواء
وطريق البقاء هذا الفناء
وتُسَوَّى أرضٌ ويعلو بناء

أيها الغرب!

أيها الغرب إنَّ للشرق شأنًا
هَبَّ من نومه وكان خليقًا
أيقظتُ كلَّ راقِدٍ واستفزتُ
ما لشرقيِّ بعد هذا هوان
ولقد عاش الشرق دهرًا طويلًا
تلكِ صحفِ التاريخ تشهدُ أنا
كم عمرنا الديار وهي خراب
وركبنا البحار وهي طوام
يوم لا نُدُّقُ بالحديد تراب
وملكننا بالسيف ملكًا جسامًا
وعلى غابر الزمان العفاء
أنَّ يُجافي أجفانه الإغفاء
كلَّ قلبٍ حقيقَةً زهراء
أطلقتُ من قيودها الأسراء
وهو في مقلة الزمان ضياء
خيرُ نَسَلٍ أقلتُ الغبراء
وملأنا القفار وهي خلاء
وألفنا الأسفار وهي عناء
لا ولا شُقُّ بالبخار الماء
لم يشد مثل ركنه بناءً

أيها الشرق!

أيُّها الشرق حدِّث الغرب عمًّا
وإليك الأبصار من كل قطر
وجدير بمن يجدُّ لأمر
وسيحكي التاريخ ما كان منَّا
قلِّدوا الشَّرْقَ يا بني الشرقِ سيفًا
أوتروا القوس إنَّ للسهم مرْمَى
جددوا عهده أسرة أورثوكم
وارفعوا الصوتَ إنَّ أَرْدْتُمْ بِلَاغًا
إنَّ مجدًا أورثتموه قديمًا
أحدثت في حياتك الأبناء
شاخصات وللأمور انتهاء
أنَّ يَرَى قبلُ ما يكون وراء
ليت شيئًا يحكيه عنا ثناء
لم تخن غربه يد سلاء
واقدحوا أزندًا شأنها الإبراء
هم بمَا أورثوكم كرماء
رُبَّ أذن عن الهدى صماء
سلبتكم فخازه الأعداء

لبس الغرب حلة الشرق حتى قيل عريان ما عليه رداء
ولقد كان الغرب أعرى وجود حين للشرق جبة وكساء
جددوا العهد يا بني الشرق وارعوا نممًا أخفرت فأصمى البلاء

٤

سهروا ورقدنا

سهرت كلُّ أمة ورقدنا كيف ترضى يا شرق أن تكسب الغر
كيف ترضى يا شرق أن يمشي الغر أفلم يأن أن تُجَدِّد عهدًا
أفلم يأن للحقائِق أن تق أفلم يأن للمعارف أن ين
أفلم يأن للصنائع أن تج أَيْن دارُ السلام إذ هي دار
أَيْن كُتِبَ للعلم إذ أحرقوها أَيْن في مصر ما استعاد بنوها
أَيْن أقلام قَلَّمت ظفر جهل من جمانا نور العلوم بدا في
نحن أحيينا ما أمات زمان ال إنَّ للفارابي شأنًا بما سا
لابن سينا قانونه ولفخر الدُّ ولكم هزت المنابر منا
ما حللنا في أرض الأ وحلى لو أردنا الإلكترىك فعلنا
غير أننا عن موقف الجسم كنا نحن قوم لم نرع روض هيولا

فلها الذُّكر دوننا والثناءُ ب فخارًا من دونك العلياء
ب أمامًا وأنت تمشي وراء شهد الصبح فضله والمساء
سح زَنَدًا لوريها الفهماء شق عرفًا لمسكها الأذكىاء
ري شوطًا لنيلها النجباء شيدتها العلوم والعلماء
برمادٍ منها أُقيم بناء يوم عدت ألوفها الزوراء
يوم للجهل صولة ومراء ها وعمَّت أقطارها الأضواء
جهل مما قد أسس القدماء رت عليه في إثره الحكماء
ين ما فيه تفخر النبلاء خطباء تشفي الظمى فصحاء
جيدها العلم والهدى والذكاء وكذلك البخار والكهرباء
في أمور للروح فيها اهتداء ها ورضنا الأفكار حيث نشاء

قد أقمنا في غير عش درجنا
فقرانا والغرب يلبسنا الثو
نحن في حاجة إليه من العيـ
لا نُباريه في محاسن شتى
فعليك السلام يا شرق إن لم
فكأنا في خبطنا عشواء
ب ولولاه ما يخاط الرداء
ش ولولاه عيشنا لأواء
ولنا فيما ساء منه اقتداء
تُحي ما أسست لك الآباء

أي الرجال أحرارها؟

ألجفن كما يُريد احتمال
عميت مُقلّة تلذ بغمض
أنسام الهوان دون المنايا
ليس دار الهوان للحرّ دارًا
يا بني الضاد إن للضاد حقًا
إن رضينا غير الكرامة وردًا
ليت شعري ما ينقم القوم منا؟
ليت شعري ما ينقم العمي منا؟
يشهد الله أن أول بيت
خيرة الله نحن في الخلق مما
نحن شيء وغيرنا بعض شيء
نحن بحر وما سوانا سراب
إنما ينكر الحقيقة غرّ
نحن في الحي مهبط الوحي قدمًا
كل حرّ بقية السيف منا
لا يرم بعضكم لبعض فخارًا
ولجفن على القذى إغضاء
لم تمهد وطاهه العلياء
إنما الموت والهوان سواء
إنما الحر داره الجوزاء
ناطحت دون هضمه الآباء
غص منا بشاربيه الماء
أم على أبصار هناك غشاء؟
رب قوم أرض ونحن سماء
للعلی فينا شاده البنّاء
ولدت من أنسالها حواء
نحن نورٌ وغيرنا الظلماء
نحن در وغيرنا الحَصَباء
أو لثيم أو حاسد مستاء
وإلينا المصير والإنتهاء
يوم دانت لسيفنا الأتحاء
أيها القوم كلکم عتقاء

(٩) جزيرة العرب

نظمها لحفلة نبوية في المدرسة الإسلامية سنة ١٣٣٨هـ.

لحصاها فضل على الشُّهْبِ وتراها خير من الذَّهَبِ
تتمنى السماء لو لبست حلة من طرازها العجب
إن بدا الأَل في مفاوزها قل لنهر المجرة احتجب
وإذا البرقُ شام مبسمها أسكرته بخمرة العجب
عج بأرض الحجاز أشرفها لتريك الأقمار من كَثِبِ
رضي الله عن نجوم هدى فوق سرج تضيء أو قتب
لست أرضى السماء لي وطناً
بدلاً من جزيرة العرب

مهبط الوحي مهد حكمته منبت الفضل معدن الأدب
مطلع النور وهي مظلمة منبع الرشد وهي في شغب
بسناها ضاء الوجود ولو لا هداها لضل في الحجب
يوم قدَّ الحسام آلهة صنعتها الأكف من خشب
فاسألن الحجاز أقدسها يوم جاء الأمي بالكتب
رضي الله عن نجوم وغي فوق سرج تصول أو قتب
لست أرضى الجنان لي وطناً
بدلاً من جزيرة العرب

نحن أحفاد أمة نصبت علماً للهدى على النصب
نحنُ أحفاد أمة سطرت مُعجزات التاريخ بالقضب
نحنُ أحفاد أمة خطبت يوم قامت بأرفع الرتب
سوف نحيي مجد الألى حكموا عرش كسرى في سالف الحقب
سوف نُحْيِي مجد الألى لهم لوت الأرض عنق مضطرب
فكسوها ثوب البهاء بما أبدعوا من علم ومن أدب
لست أرضى الجوزاء لي وطناً
بدلاً من جزيرة العرب

نحن يوم الحفاظ قادتها
بشروها والله يكلؤها
بشروها والله يكلؤها
فسلام على رجال هدى
وسلام على كماء وغي
فبنفسي أفدي مضاربهم
وأيامهم أفديهم وأبي
لست أرضى الفردوس لي ووطناً
بدلاً من جزيرة العرب

(١٠) مطلع الشمس

أيقظوا من رقدة الجهل هماماً
أحدث الدهر أموراً بعده
رب نار أضرموها بعده
إن ركننا بالقننا شيدته
إن عرشاً رفعت همته
أيها الشرق انتبه حتى متى
قم لفجر سطعت أنواره
قم فغصن الجد أضحى مُثمراً
قم لروض صوّحت أزهاره
مطلع الشمس أراها أفلتت
رُبَّ أعمى قد غدا يُبصرها
كنت يا شرق ولا غرب ولا
كان من خلفك يمشي خالفاً

سهرت أجفانه دهرًا فناما
وضياء الصبح قد عاد ظلاما
أيقظوه فعسى يطفئ الضراما
سامه من سامه اليوم انهدمنا
ثله قوم وساموه اهتضامنا
ليس عمر الليل دهرًا لتنامنا
وتجلت في فم الدهر ابتسامنا
وحمام اللهو قد أض كمامنا
ولأرض أنبتت كل خزامي
منك واعتاضت لدى الغرب مقاما
أترى الشرق بصيرًا يتعامي
كيف من دونك قد نال المراما
صرت تمشي خلفه وهو أماما

(١١) قوة الحق

هي من مرتجلاته، نظمها عفو الساعة لتلميذ من المدرسة الإسلامية ألقاها في حفلة نبوية سنة ١٣٣٨.

أي يوم هذا وأي زمان	بارك الله في بني عدنان
أي نجم بدا بأفق علاهم	فأفاض الهدى على الأكوان
فسلام على ابن عدنان دوماً	بسناه تثلث القمران
كيف أحيأ الآمال وهي موات	بين تلك الرمال والكثبان
أوجد النور من ظلام ومن مُد	بثق الكفر جاء بالإيمان
وحد الله وحده في شعوب	رسخت في عبادة الأوثان
كيف ثل العروش وهو يتيم	كيف جاء الأمي بالقرآن
قوة الحق أضعفت صولة البا	طل ممن بداه بالبدوان
فسلام الرحمن يغشى رسولاً	جاءنا بالهدى من الرحمن

(١٢) عشق الروح

روح العشق^١

استجل أقمار الجمال سواطعاً	واعشق ترى مُثل الكمال لوامعا
وبما يخصُّ الجسم لا تكُ قانعاً	العشق مرآة تُريك بدائعا
مما يخصُّ الروح من أشكال	
للعشق معنى يستفز لنظمه	درر القوافي إن تنوه باسمه
يشكو الهوى قلب أُصيب بسهمه	ويعز سلطان الهوى في حكمه
من أن تذللَّ لكاعب وغازل	
أوكل بنفس للهوى مُنقادة	وكأنما هو للنفوس سعادة
فاربأ بنفسك والهوى لك عادة	ليس الهوى إن تستفرك عادة

^١ الأصل والتخميس له ولكن التخميس كان عفو الساعة، وبديهة الوقت.

يطفي جواك بها رحيق وصال
ارع المحاسن وهي ذات تورُّدٍ في كل ما يبدو لمقلة مهتدي
لا تنكرنَّ جماعةً في مفردٍ هيهات يحسن أن تميل لأعيد
شغفًا به عن كل سر جمال
كل الظواهر إن جهلت ظهورها كتب يراع الحسن خط سطورها
نثرًا ونظمًا إن وعيت زبورها استجل في كل المظاهر نورها
ليريك معنى الحسن كل مثال

(١٣) الكتب المقدسة وأبناؤها

رَبِّ لا تُسألُ عما تفعلُ
إنَّ ما تفعله عن حكمة
كل حكم لك فيه حكمة
لا تُؤاخذنا بما نفعله
ما اهتدينا بالذي جاءت به
إنَّ في إنجيل عيسى عظة
أطفئوا النور الذي جاء به
أين سلّم أمر القوم به
أين زهد وعفاف وهدي
يوم شادوا للتعقَى أديرة
لا سلاح لا كفاح لا وعي
وعلى المذبح ضحوا أنفُسًا
فابكِ أقوامًا على أمثالهم
وعصى توراة موسى قومُه
فضلوا الأسر على حرية
سئموا استعباد فرعون وإنَّ
فاسأل الصحراء إذ تاهوا بها
وسل التيجان عن أصحابها
وإذا نحن فعلنا نُسألُ
بينما نحن أثمًا نفعل
ربما تخفى على من يجهل
رَبِّ رفقا نحن قوم همل
كتب أنزلتها أو رسل
لو رعت إنجيل عيس الملل
ويظلم وظلام بدلوا
ما لنيران الوعى تشتعل
جمل النفس بهن الأول
مجدوا الله بها وابتهلوا
لا جيوش سفها تقتتل
في سبيل الله كانت تعمل
يندب الدير ويبيكي الهيكل
إنَّ هُمُ أخرى بأن يمتثلوا
جاءهم فيها الكتاب المنزل
جاءهم موسى أبوا أن يقبلوا
واسأل الأسباط عما فعلوا
كم نبيًا ووصيًا قتلوا

كيف يحيا بعد يحيى معشرُ
 إن عيسى رغم من كذبه
 سلكوا غير سبيل الحق مذ
 إنَّ في إنجيله تفصيل ما
 لو أطاعوا أمرها ازدادوا هدى
 إنَّ في ألواح موسى حكماً
 غير أنَّ القوم في تبليغهم
 حملوا الأثام والأيام ما
 شرعةً من بعد أخرى شرعوا

قتلوه دون أن يقتتلوا
 من أولي العزم نبياً مُرسلاً
 جهلوا من حقه ما جهلوا
 أجملت توراتهم لو عقلوا
 إنَّ نوراً فوق نور أكمل
 رددت رجح صداها الرسل
 أجملوا طوراً وطوراً فصلوا
 كان في وسعهم أن يحملوا
 لعباد الله كيما يكملوا

* * *

وحوى القرآن نوراً وهدى
 قل لقوم نبذوا أحكامه
 فاسألوا التاريخ عن قرآنكم
 فكأنَّ الأرض أفق أنتم
 وكأنَّ الكون فيكم روضة
 وكان الملك ثغر باسم
 أخذ العدل بكم مأخذه
 نشر العلم بكم أعلامه
 أينما سرتم سرى نور الهدى
 كل وإد إن تشاءوا مخصب
 وعلى الشرق خلعتم حللاً
 أين ميراث كرام بذلوا
 أين ميراث كرامة فعلوا
 قد جهلنا من تعاليم الهدى
 وظلمنا سنة المختار من

فعصى القرآن من لا يعقل
 ما لكم مما نبذتم بدل
 يوم ضاعت بسناه السبل
 فيه بدرٌ كامل لا يأفل
 وعلى الأغصان أنتم بلبل
 وبه بيض المواضي قبل
 مثلما زان العيون الكحل
 وتجلت للمعالي ظلل
 وغدت سحب الأمانى تهطل
 كل وإد إن تشاءوا ممحل
 فاسألوه أين تلك الحلل
 في سبيل الله ما لا يُبذل
 في سبيل المجد ما لا يُفعل
 ما به نلنا الهدى من أول
 هاشم وهو النبي الأكمل

* * *

ثأر الله لدين الله من
 معشرٍ ضلوا به واسترسلوا

جهلوا ما شرع الله لهم
لو أتى الدينُ على أهوائهم
يا دعاة الشرِّ ما خيركُمْ
سأقولُ الحقَّ لا يمنعني
كل يوم دولة تظلمني
ثم عابوه بما قد جهلوا
مثَّلوه حكماً وامتثلوا
خير مَنْ فيكم غويٌّ مبطل
رامح من قوله أو أعزل
ويح فرد حاربته دول

(١٤) رب الفضيلة

رب الفضيلة والحجى
وإذا صحبت ذوي الرذيلـ
لا تحترم غير الفضيلة
لـة كنت من أهل الرذيله

خيرى الهنداوى



خيرى الهنداوى.

شاعر فى شعره أثر البداوة ورقّة الحضارة، ترى الطبيعة بادية على نظمه، يضمّن قصائده على الأكثر وصف نفسه، ونزعته إلى الحرّية والانعتاق، وكم فى صدور أحرار الديار نفوس مُعذّبة فى أقفاص من التقليد ضيقة قد حان وقت تحطيمها.

وُلد خيرى الهنداوي من أبٍ عربيٍّ علوي، وأمٍّ تركيةٍ مستعربةٍ سنة ١٣٠٣ هجرية، في قرية باصيدا من أعمال ديالى، وهي تبعد عن بغداد ٣٦ ميلاً.

قرأ قليلاً من كتاب التنزيل على مُعلِّمٍ خاص حتى بلغ الخامسة من عمره، فانتقل أبوه وأخوه وأهله كلهم إلى بغداد، فدرس القرآن وتعلَّم قليلاً من الكتابة العربية في بعض كتاتيبها الخاصة؛ إذ لم يكن ثمةً في بغداد مدرسة حكومية شهيرة غير المدارس العسكرية، ولم يشأ أبو خيرى أن يُدخل ابنه فيها رغبةً منه في تعليمه الشعر، ونفوراً من الجندية. وقد انتقل أهله بعد ثلاثة أعوام إلى العمارة لتوظف أبيه بوظيفة فيها، فدخل مع أخيه المدرسة الإعدادية هناك، فكان من مُقدمي التلامذة وأنجحهم، ولم تنقض عليه سنة وبعض السنة حتى انتقل أهله كذلك إلى «شطرة العمارة»، أو «قلعة صالح»، فدرس هناك في كُتَّابها ثم عاد مع أهله إلى العمارة، وبعد شهور انتقلوا إلى باصيدا، وكان والد المُترجم لا يفر عن تلقين ابنه الشعر، وقد مرض في مسقط رأسه مرضاً اضطره إلى ترك الدرس، وارتحلت الأسرة بعد مُدَّةٍ إلى الديوانية لأنَّ كبيرها توظف مديراً لناحية عفك، فشرع المُترجم يقرأ النحو على المرحوم مصطفى أفندي الواعظ، ولما انتقل مع أهله إلى عفك حيث وظيفة أبيه استمرَّ يدرس الدروس العربية على السيد حسين المُلقَّب بالشرع، ولما عادوا إلى الديوانية بعد سنة ونصف أخذ يدرس على العلامَّة الحاج علاء الدين الألوسي قاضي اللواء حينذاك.

ويقول صاحب التَّرجمة في مُذكراته: «إنني في كل هذه المدة التي درست فيها النحو والدروس العربية لم أكن أفقه شيئاً منه لاعتلاق نفسي بحب الشعر والأدب؛ لذلك لم تجد هذه القواعد لها مَحلاً في دماغي، وأظن أنَّ السبب الجوهرى في الأمر طُرُقُ التدريس القديمة العقيمة.»

ولما جاء الشنافية واجتمع ببعض رجال الأدب من النَجَّفين المستطرقين إلى البصرة ونواحيها شعر بحاجته إلى القواعد، فدرس على الشيخ جعفر نصَّار واستفاد منه كثيراً، ومن أستاذه الشيخ علي الطريحي، وتعرف هنا بالشيخ محمد السماوي (اطلب ترجمته ورسمه ونخبة من شعره في غير هذا المكان من الكتاب)، فشجَّعه على النظم فشرع فيه، غير أنه لم يكن راضياً عما ينظمه حتى استقام نظمه، فطفق ينظم القصائد في رثاء آل البيت وينشرها في تلك الأطراف؛ فيكون لها وقع خطير بالنظر إلى جلال موضوعها، وظل مستمراً في طريقه الأدبية إلى أن عاد إلى بغداد، وقد اشتدَّ ساعده وملك زمام نفسه،

فتعرف بالأستاذين الكبيرين جميل صدقي الزهاوي، ومعروف الرصافي، وعاشرهما مُدَّة طويلة فاتسعت مداركه، وانتبه إلى أمورٍ في الشعر والأدب، وفي السياسة والاجتماع كذلك، مما لم يكن له به سابق عهد، فأكثر من مُلازمة الأستاذين المُشار إليهما، واستفاد منهما فوائد جُلِّي.

ولما تألفت «جمعية الاتحاد والترقي» في البلاد العُثمانية، أوقف الأديب الشاب قلمه في نظم القصائد وكتابة الفصول في تحبيذ خطتها والدَّعوة بمبدئها حتى إذا ما انشقت على نفسها، وأسس حزب الحرية والائتلاف، ظلَّ هو ثابتاً على مبدئه مُدافعاً عن جمعية الاتحاد مُندداً بخصوصها إلى أن تجلى له خطؤه بانكشاف ضمائر الاتحاديين في أعمالهم وإرادتهم بالعرب شراً، فرجع عن فكره، وانضم إلى المُجاهدين العرب في سبيل التحرُّر والخلص.

وقد سجن الأتراك المُترجم مراراً لجهاده القومي، وضيَّقوا عليه في سجنه أخيراً لما سقطت الفلاحية بيد الجيش البريطاني في الحرب العظمى، وأحسَّ من الاتحاديين في آخر ساعةٍ أنهم يريدون هدر دمه، فدبَّر له في الحال حيلة وفَرَّ من السجن، ثم اختفى في دار أحد معارفه في بغداد إلى حين الاحتلال.

ودخل بعد الاحتلال في خدمة الحكومة فُعِين عام ١٩١٧ مُساعدًا ماليًّا في الجزيرة والعزيرية، ثم مُساعدًا ماليًّا وسياسياً في الحلة، ونُفي بعد ظهور الثورة الأهلية هناك مع من نُفي من زعماء الحلة إلى هنجام، وعاد منها بعد تسعة أشهر، فُعِين في نيسان سنة ١٩٢١ مديراً لناحية الجربوعية وظلَّ يشغل في هذا المنصب، ثم ندب قائممقاماً لقضاء الشامية سنة ١٩٢٢، وحول منه بعد ذلك.

وإليك مختارات من شعره:

(١) نزعة النفس

فلستُ امرأً يُلقى الكلام ولا يعي
وأنت بواوٍ لو تعقّلت مُسبِع
رقصت على الصوت البعيد المرجَّع
تنكَّرت لي حتى كأن لم تكن معي
بأيامك الأولى فأودى بمسمعي

إذا قلت فانصت أيُّها الشعبُ واسمع
أراك جهلت الحزم فاختلت أعزلاً
إذا رجَّع الأقوامُ في الغرب خدعة
وإن لمحت عيناك أصغر حادثٍ
يمرُّ عليَّ الآن صوتٌ سمعته

تَعَقَّلْ وَسِرْ إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ غَايَةَ
 حَنَانِيكَ لَا تَذْهَبْ بِحِلْمِكَ نَغْمَةً
 تَبَصَّرْ هَذَاكَ اللَّهُ فِيمَا تَرِيدُهُ
 وَقِيَّتَ الْعَمَى مَا كُلُّ بِيضَاءِ شَحْمَةٍ
 وَدَعْ عَنْكَ تَلْفِيْقَ الْكَلَامِ الْمُصَنَّعِ
 وَلِحْنَ كَثِيرِ اللَّحْنِ غَيْرِ مَوْجِعِ
 مِنْ الْأَمْرِ وَاحْذِرْ عَثْرَةَ الْمَتَسَّرِعِ
 وَلَا كُلْ وَادٍ فِي الْغَوِيْرِ بِمَمْرِعِ

* * *

سئمت ببغداد المُقام لأنني
 بكيت على عزي وما أنا والبكا
 سأنأى ولم أترك لدى القلب من هوى
 أقابل حرَّ الهاجرات بمهجة
 لعمرك لم يقنع بقوتِ معممٍ
 يُريد زماني أن يُجربَ طاعتي
 ويخلق لي بعضَ الأقاويل معشر
 أرى لي فيها موقعًا غير موقعي
 لدى الخطب لو لم يعصر الذل أدمعي
 إلى الدار إلا لفتة المتوجع
 أبتُ والدنيا أن تقيم بموضع
 ولا اقتنعتُ بالظلِّ ذات تقنُّع
 لأحكامه لكنني غير طيِّع
 ليقنعني لكنه غير مقنعي

* * *

إذا في قصور المُلك لم ترعُ ناقتي
 وإن قصرت فيها أكفِّي عن المنى
 وإن أنكرت دار السلام مواقفني
 سقاني زلالَ المجد أكرمُ والدي
 إذا كان لي عقلٌ ورأيٌ وحكمةٌ
 فيا شدَّ ما أرغت ببدياء بلقع
 فما قصَّرتُ في ساحة الروع أذرعي
 ستشهدُ أقلامي عليها وأذرعي
 وزقتني العلياء أنجب مرضع
 فلستُ بمجهولٍ ولا بمُضيع

* * *

ألا قف معي يا ابن العراق سُويعة
 وطرُ في سماء الكائنات لعننا
 أوْدُ لو أني أستطيع تكلمًا
 أحاول كشف الستر عما تُكنُّه
 وما جزعي أني أموت وإنما
 ولي أي طفل بعد موتي مضيع
 ضعيف القوى لا يستطيع تراحمًا
 ودع جانبًا ما تدَّعيه وأدَّعي
 نرى في زواياها فتى غير موجع
 فأبدي لك السرَّ الذي تحت أضلعي
 ضلوعي ولكن أين لا أين مفزعي
 تراني جزوعًا حيث يُجهل مصرعي
 مهان إلى أيدي الوري متطلع
 مع الناس يمشي مشية المتكسع

صرفت على تثقيفه ماء شرطي
تُبشرني الآمال إن عشتُ برهة
أشح بنفسي لا لنفسي وإنما
سئمتُ حياتي حيثُ أصبحتُ موثقا
متى نجد الإنسان ينطق صادقًا
متى نجد الإنسان للناس نافعًا
تقاربت الآراء في كنه بدئنا
ظنون وأوهامٌ بعيدٌ يقينها

وإنِّي عن تدريبه غير مقلع
له سوف يحيى تبعا وابن تبع
أشح بها حبا لقومي وأربعي
على الرغم من طبعي بقيد تطبُّعي
ويترك أَلغاز الكلام المسجع
يُعين ذوي الحاجات من غير مطمع
وفي المُنتهى كلتُ طلاع التتبُّع
وإنِّي على تصديقها غير مزعم

(٢) أيها الشرق

أيها الشرق هل فقدت الشروقا
لا مجال للعين مهما أطالت
ظلماتٌ من فوقها ظلماتُ
لا أرى إن أصبحت إلا فتوقًا
موقف يدهش الشجاع من الهو

فأضلُّ الأَقوامُ فيك الطريقا
في دجاء الإمعانَ والتحديثا
طبَّقت كل بقعةً تطبيقا
وإذا ما أمسيت إلا خروقا
ل ويُبكي دما عليك الشفيقا

* * *

يا مقر اللطف الإلهي قل لي
أنت أذنبت أم بنوك أم الظلُّ
بيتوا أمرهم بليل وجاءو
شتتوا الشمل منك وهو جميع
حاولوا لا أبأ لهم أن يكون الشُّ
فنهضنا كالأسد في أوجه القو
نمتطي غارب العزائم أحرًا
وخشنا على السلام فلا رُم
أعجزتْهم آراؤنا صائبات
أيقنوا أننا سنجتاح ما قد

كيف أصبحت للبلاء مطيقا
أم شاءوا أن يغصبوك الحقوقا
ك جميعًا يتلو فريق فريقا
وأقاموا مقامه التفريقا
رق كالعبد مستضامًا رقيقا
م لنجتتُ بغيهم والفسوقا
رًا زكوا منبتًا وطابوا عروقا
حًا حملنا ولا حُسامًا ذليقا
ورأوا نبلهم يطيش مروقا
لفقوه بمكرهم تلفيقا

شاوروا ظلّمهم ومدوا من البُغْ
قذفونا خلف البحار بأرِضِ
قيعة في جزيرة لا ترى فيـ
لم تطأها الخيلُ العِتاق ولم يُعـ

سي يداً أحرزوا بها التوفيقا
عندها يلعن الصبوح الغبوقا
ها أنيساً إلا الصدى والنعيقا
مل إليها الرّكبُ المجدُّ النوقا

ومنها:

أيها الضفدع الكبير خلا الجوّ
غاب عنك الشجاع لكن خذ الحذ

فأكثر كما تشاء نقيقا
ر عسى فيك أن يمرّ طروقا

ومنها:

بتُّ ليلي وللهموم بجنبيّ
خطرت لي خواطر بعد هدءٍ
مرحباً بالخطوب إن هي كانت
وأحبُّ الخطوب عنديّ حبسٌ
إنّ في الحبس للفتى في سبيل الـ
لا أبالي إذا خدمت بلادي
وإذا كان في اغترابي نجاح

عراك نفي الرقاد سحيقا
أيبست منّي الحشا والريقا
سبباً موصلًا إلينا الحقوقا
فيه نسطيعُ بالكرام للحقوقا
حق مجدًا يعلو به العيوقا
أأسيرًا رأيتني أم طليقا
لا عدمت التغريب والتشريقا

ومنها:

أنا إن لم أفدِ العراق بنفسي
وإذا لم أصن حماها بسيفي
أخذت موثّقًا عليّ ومثلي
وسقاني ساقٍ من الذكر حتى
أين «هنجام» من مرابع أنسٍ
فوق شط الفرات حيثُ يرف الـ
أو على رجلة بحيثُ تفض الرّ

لا دعنتني ابنها الكريم العريقا
نقت من قبل أن أعق العقوقا
حين يعطي عهدًا يكون وثيقا
كدت بالدمع أن أكون شروقا
رنقُ القوم صفوها ترنيقا
ماء عذبًا والظل رطبًا صفيقا
يح مسكًا بين الرّياض فتيقا

أربعُ قد خلعتُ جدة لهوي في رباها وما خلعت خليقا
ليت شعري هل مبصر أنا يوماً علم «ابن الحسين» فيها خفوقا
تلك أمنيّتي فلا عيش إلا أن أراها تهتز غصناً وريقا

* * *

أيها العين إن ذكرت بلادي فأمطري لؤلؤاً وسيلي عقيقا
واستثيري يا نفس أنت زفيراً وأضرميه بين الضلوع حريقا
إن أرضاً قد أنبتت مثل قومي هي أرضٌ أجدرُ بها أن تشوقا
إن قومي هم الألى أوسعوا الأر ض فتوقا وأحكموها رتوقا
وطأت خيل «طارق» هضبات الـ غرب و«العشمي» جاس «فروقا»
تاجروا بالنفوس وهي غوالٍ وأقاموا من المفاجر سوقا

ومنها:

ويك لا أرتضي الحياة بذل قم فمزقُ إهابها تمزيقا
وأدر لي في «الرافدين» حميا الـ حرب صرفاً وكسر الإبريقا
إن موتاً يكون في ساحة العزِّ لموت أجدرُ به أن يروقا
يا لقومي لقد دهتها الدواهي وهي تأبى من نومها أن تُفيقا
أسبات والقوم تطمع أن تبـ تتز منها عراقها الموموقا
صاح عرّج إذا دنوت عليها واجتذبها إليك كمًّا وزيقا
وقل القوم أخلفوا الوعد والعهـ د فهبّي وحلقي تحليقا
وامطريهم عزمًا وبأسًا شديدًا واقدفيهم رأياً وفكرًا دقيقا
واعلميهم أن العراق عريقٌ ليس يرضى بأن يكون لصيقا
قبلي قبلة الوداد أخوا هو د جهازاً وصافحي البطريقا

ومنها:

أيها الحق لُح كما شئت شمسًا واملاً الأرض والسماء شروقا
أنت شيء فيه انطوى كل شيء أنت سرُّ قد أعجز المخلوقا

أنت كل القوى فليس عجيباً
قد أرادوا أن يُطفئوا منك نوراً
وتجلى على مرابع «واشد»
فوعى «ولسن» الرئيس من القو
وتلا ملقياً على القوم آياً
صدقوها لغاية حين تمت
أن تدك الأطواد نيقاً فنيقا
شع منه السنا إلى أمريقا
طون» يوحى فرقانه المفروقا
ل نصوصاً قد نُمقت تنميقا
قبلوها وأظهروا التصديقا
كذبوها وخالفوا الصديقا

ومنها:

أيها الحق أنت سُؤلي من الدن
أنت أنسي إذا ادلهم دجى الخط
فكأنى والناس حولي صفوف
صارخ باسمك الكريم جهاراً
فهناك الوجوه تُشرق بشرّاً
تجد الناس في حديثٍ ولهو
ذاق ما ذاق من حلاوة قوم
بؤ بما اخترت من قبيح صنيع
يا فكن لي مدى الحياة رفيقا
ب وملّ الصديق فيه الصديقا
يُكثرون الهتاف والتّصفيقا
لا كفوراً أخشى ولا زنديقا
وترى وجه من عرفت صفيقا
وهو صمتاً تخاله مخنوقا
ومن العدل مرّها أن يذوقا
قد عرفت المحروم والمرزوقا

(٣) إلى طالب

إلى المجد قُدها فهي للمجد تنزع
لقد سمعت صوت النهوض إلى العلى
فظلت وصوت المجد يملأ سمعها
بحق العلى قُدها فيما حياتها
إلى مجدها فامدد ذراعك إنها
تقدم ولا تخش السواد الذي ترى
لقد رضيت عدنان في كل ما ترى
وقحطان قد ألقى إليك قيادها
فقد طال ما ترجو وما تتوقع
فقامت على أقدامها تتطلع
مُسعدة أجفانها ليس تهجع
تنال وإمّا موتها فهو أنفع
ذراع بها تمتد للمجد أذرع
فما كل مفتول السبال سميذع
من الأمر وانقادت لعلياك أجمع
فألقي لك التاج الملوكي تبع

ولم تتخلف عنك بكر بن وائل ولا شَطَّ منها عن مزارك مربع
لقد أفلتت شمس العُلى من سمائها وليس لتلك الشمس غيرك يوشع

* * *

أطالبُ إن لم تطلب الحق بالقنا سيبقى برغم المجد وهو مضيع
تُطالبني نفسي بزورة طالب فأعزم لكنَّ الحوادث تمنع
أرى الأرض قد ضاقت عليَّ برحبها فهل أنت يا ابن الأكرمين موسع
وهل أنت لا عاش التفرُّق مقدمي إليك فعيش دون لقياك أجدع
مناي وقوف بين مشتجر القنا أحرَّض قومي للعلى وأشجَّع
ولست أبالي إن قضيت لبانتي دنا أم نأى عني الجِمام المروع
فلست امرءاً يبغي حياة طويلة يذل بها للشانئين ويضرع
ولكنني أبغي حياة شريفة بما عشت في أفيائها أتمتع

(٤) فتاة سلانيك

أمَّ البلاد أضاعك الأقوامُ فبكا مرابع مجدك الإسلام
قد ضيعتُك بنوكِ في أضغانها بل أسلمتُك إلى العدى الأوهام
إن البلاد إذا تخاصم أهلها فالأبعدون بها هم الحكام
وإذا النفوس تغيّرت أهواؤها لا غرَّو أن تتغير الأحكام

* * *

نهبت سلانيك الغداة مضاعة فتنكست لذهابها الأعلامُ
قد أظلمت ساحات وتنكرت عرصاتها وبكت بها الآكام
ضاقت مرابع أنسها من بعد ما رحبت وأوحش ثغرها البسام
نبأ تلعثمت الرواة بنقله وتعثرت بطروسها الأقلام
أمَّ البلادِ عليك من متوجع قطن العراق تحية وسلام
يا ملجأ الأحرار جاوزك البلى خانتك بعد عهودها الأيام
لو كان يومك منه في أبنائنا خبر لطاشت للعدو سهامُ

* * *

كم روعت في ساحتك لدى الوغى
عاشا زماناً في بلهنية الصبا
لم يسمعا غير المدافع ضحوة
وإذا البوارج في الخضم كأنها الـ
والنار تبعثها المدافع ألسناً
تتطاير الأرواح من أصواتها
علمًا بأن الأمر ليس بهيّن
رجعا وقد أخذ العدو عليهما
فتعانقا من بعد أن علم الفتى
خود وكم لفظ الحياة غلام
غريّن لم يزعجها النمام
فتسارعا فإذا هناك زحام
أعلام تمخر والدخان قتام
توحي ولكن وحيهنّ حمام
رعباً كما تتطاير الأجسام
بل إنه أمر ألمّ جسام
سبل الرجوع وليس ثمّ مقام
أن ليس يغني عنهما الإحجام

* * *

«أسماء» ها أنا ميّت فتأملي
قالت وقد منع البكاء كلامها
وبكت فبدلت الدموع بخدها
ظلت تودّعه وتلتثم ثغره
فمضى «نجيب» غير موجس خيفة
مُتلفتاً ليصيب آخر نظرة
بل فاجأته من الفضاء رصاصة
فهوى وجود بنفسه مُتعفراً
فأته صارخة تشق جيوبها
هل تذكّريني والعظام رمام
إن حل موتك فالحياة حرام
درراً لها الحسن البديع نظام
والموت نحوهما له إرزام
في كفه البأس الشديد حُسام
منها فلم تسمح له الأقسام
لا الخوف يدفّعها ولا الإقدام
يعلوه من مرّ الرياح رغام
حسرى تجيش بقلبها الآلام

* * *

أمجريّ الثكل الممضّ أنائم
فصدت عني معرضاً متجهماً
إن كنت تحسبني جنيت جنابة
ظلت تُخاطبه ولا من سامع
حتى إذا علمت بأن لا يُرتجى
أم قد أتاك عن الوشاة كلام
لا كان ما همست به اللوام
فالصفح عند الأكرمين يُشام
وتذود دمع العين وهو سجام
ل «نجيبها» حتى القيام قيام

صكّت براحتها منير جبينها
صرخت بأعلى صوتها مرعوبة
أخذوا الفتاة أسيرة لأميرهم
يا هذه كفي الدعاء فقومنا
ما القوم إلا سحب صيف أرعدت
لا تستغيثي ليس «معتصم» بنا
ماتت عواطفنا بموت رجالنا
فاسودّ ذاك البدر وهو تمام
فالتفّ حول صراخها الأقوام
تدعو الكرام وما هناك كرام
لو تعلمين عن الدعاء نيام
ثم انجلت بالريح وهي جهام
كلا ولا فينا يعدُّ همام
فجميعنا بمماتها أيتام

* * *

يا أيُّها الشرق الذي قد عمّه
ما الغربُ أوّل ظالم لك بالذي
قد أهملوك وأنت معقل عزهم
للغرب من بعد الشروق ظلام
يأتيه، بل أبناؤك الظُّلام
فاستهوّنتك بوطنها الأقدام

* * *

يا واطئاً ذاك التراب ترفقاً
رفقاً بوطنك إنما تحت الثرى
فلقد شكّا من وطنك الإسلام
قومٌ وإن هانوا لديك عظام

ومنها:

لو أنّ قومي شاهدوا اليوم الذي
لأروا بني البلقان كيف ضرابهم
قومي إذا اشتدّ الضراب تخالها
فالحربُ مجلسها وساقيتها القنا
لم تخش بادرة الطعان لدى الوغى
ألمي بقومي سوف تنهض نهضة
يستبعد الرجل الخبير وقوعها
تبقى وإن خلق الزمان جديدة
كثر الصراخ به وطار الهامُ
بل كيف يثبت في الوغى المقدام
نشوى وما غير الضراب مُدام
والنقع نقلٌ والمدافع جامُ
بل لا تهاب الموت وهو زؤام
للمجد يقصّر دونها الصمصام
بل لا تجيء بمثلها الأحلام
لم ينتقض لجديدها إبرام

(٥) زينب وخالده، أو فتاة بغداد وفتاها، في سنة ١٩٠٨-١٩٢٠

الدهر

هو الدهر في أهليه ما شاء يلعبُ
يريني على عدِّ الليالي عجائبًا
فلا خير إلا وهو بالشرِّ مُقرن
ولا نعمٌ إلا الزوال عقيبها
حياة وموت وابتسام ودمعة
فسيان عندي بِشْرُه والتقطُّبُ
فلم أدرِ من أيِّ العجائب أعجب
ولا يُسرُ إلا وهو بالعسرِ مُصحب
ولا كُربٌ إلا وما بعدُ أكرَبُ
يُبعدُ ما يختاره ويُقرَّبُ

زينب

قضى أن يعيش الظلم شيخًا منعمًا
فتاة أبوها السعد والجد أمها
تربت بمسدول الستار مصونة
تلقت دروس الفضل عن مجد أهلها
فجاءت كغصن البان يورق ناضرًا
تَعشَّقها الأترابُ خُلُقًا وخلقةً
مخدِّمة ما إن تقوم لحاجة
تُفدِّي إذا مرت وإن هي أقبلت
إذا حضرت في البيت فالبيت مشرق
بباب أبيها السعد يخدم ربه
وتقضي بؤسًا في الحداثة زينب
وخالتها العلياء والعمُّ يعرُب
يُهدبها من نفسها ما يهدب
وفي الأهل للإنسان نِعَم المؤدب
وكالشمس إلا أنها ليس تغرب
فكلُّ لها أم تُعوذ أو أب
ولم يتعنَّتها من الأمر متعب
فملء الرُّبى أهل هناك ومرحب
وإن هي غابت عنه فالبيت مغرب
يشد عرى عليائه ويطنب

النزهة

مضت هي والأتراب يومًا لنزهة
فأفضت لمُلتفٍّ من النبات يانع
تراه على وجه الغدير كأنه
وللدوح تصفيق وللطير ضجة
رأت منظرًا يستنفد الوصف حُسْنُه
فألقت نقابًا خلفه الشمس وانبرت
تُرَّوح فيها نفسها وتُطَيَّبُ
تفضُّضُه شمس الضحى وتُذهَّبُ
نقابٌ به وجه الغدير منقب
تحركها كف النسيم فتصخب
ويشرح صدرًا للحزين فيطرب
تجيء مع الأتراب فيه وتذهب

التقاء النظر

وكان على قربٍ من الروض جالسًا
يجيل بإحسان الطبيعة طرفه
تظلمه من لفحة الشمس دوحة
فهبَّ نسيم زحزح الغصن جانبًا
رأى دُمية الحسن التي صاغها الهوى
فجُنَّ بها حبًّا ولم يدرِ قبلها
وقام يداني خطوه مُتطلعًا
ولكنها من بين كل لِدَاتها
رأت ما رأى منها به فتكتمت
مضت ومضى للحى كلُّ مُولِّه

العشق والإخوان

رأى خالدًا إخوانه متغيرًا
وظنوا به الظن الأثيم ورجّموا
وما هو إلا زفرة والتفاته
ينوح كما ناج الحمام صباية
على غير ما فيه لهم فتعجبوا
وقالوا به القول المسيء وأطنبوا
ودمع كمنهلّ السحائب يسكب
ويشهب من فرط الغرام وينحب

خالد

ومنَّ خالد هل أنت تعرف خالدًا
غذته الكرام الصيد من آل غالب
ودر به للعلم والحلم والحجى
ومات ولم يترك سوى الطفل خالد
وقامت على تثقيفه خير حرّة
وتمم عشرًا من سنيه وأربعًا
فتى كل ما فيه لكلّ مُجيب
لبان علاها فهو أصيد أغلب
أبُّ عن أبيه في العلاء مدرب
وكانت سنوه تسعة حين تحسب
غذته لبانًا لم يُشبَّ فهو طيب
فتمَّ له فيها الحجى والتأدب

العهد القديم

يُرافقها دون اللُّدات ويصحب
وزين من إثريهما فيه ملعب
أظلهما في أيمن الجزع ربرب
ولم يتريب منهما المتريب
فشرَّق أهلوها وأهلوه غرَّبوا
على أن ربع القلب بالحب مخصب
تراءى له العهد القديم المغيَّب
يُصدِّق أخبار الهوى ويُكذب
عماه فكاد الجهل بالحلم يذهب
فرَّق له حتى العذول المؤنَّب

ومذ كان طفلاً كان إلِّفاً لطفلة
حلت بهما في كل وادٍ محلة
يعيشان خشفي روضة ظلها الندى
غريرين لم تعلق يد الظن فيهما
قضى الدهرُ بالتفريق من بعد برهة
ومرَّت سنون أمحل العهد عدها
فما رأى العهد الجديد من الهوى
فظل زمانا باهتا مُتردداً
إلى أن بدا صبح الحقيقة وانجلى
تَدَلَّه من فرط الصبابة والجوى

أم خالد

وأياسها من بُرئهِ المتطبب
لإنسانها فيها الدواء المجرب
تُرقيهِ في هذا وفي ذاك تضرب
فتأب إليها رأيها الممتنكب
ولكن خفى عنها المراس المصوب
تُطيل له فيه الحديث وتسهب
ويُعجبه ذاك الطراز المُذهَّب
فأعرب مَسْحُورًا وما كاد يعرب
له كل صعِبٍ دون ما هو يطلب
قنوطًا وخافت أن يُحس فيعطب

رأت أمه من دائه ما أمضَّها
فظنت به عيناً ولم تدرِ أنها
وجاءت إليه بالرقى وبالحصى
رأت أن ما جاءت به غير نافع
أحست بأن الحب يرشق قلبه
فظلت ولا بحثٌ لديها سوى الهوى
يَهْشُ ويصغي حين يسمع قولها
إلى أن ألانت بعد لأيٍ حصاته
فأبدت له كل السرور وسهلت
ولكنها قد أضمرت في فؤادها

الزيارة

إلى خلفها مسترجعاً وهي تجذب
فأوقفها في سدة الإذن حجب
يُؤهل فيها باسمها ويرحب
عليها ومنها الوجه بالبشر مشرب
وتمزج منه الجدد هزلاً فيعذب
وكاد عليها منه يقضي التعجب
وزُحزح عن فجر الأمانيّ غيهب
وقالت بصوتٍ خافتٍ أين زينب
لقد كان يا أختاه ما كنت أرهب
ترّي ليس من ماحٍ لِمَا اللهُ يكتب

مضت خلسةً واليأس يجذب ثوبها
فأفضت إلى بيت الشريف ابن تَبَع
وبعد قليل أدخلت بحفاوة
وقد أقبلت أمُّ الفتاة وسلّمت
تطارحها أحلى الحديث فكاهة
لقد بُهتت مما رأت وتعجبت
ولكنها لما زوى اليأس وجهه
دنت باحترام نحوها وتَبَسَّمت
لقد قالت لها والدمع يسبق قولها
تعالى معي ثم انظري حال زينب

المرض والعيادة

ودمعاً كما شاء الجوى يتصبَّبُ
وتمسحه طوراً وطوراً تقلب
فعمماً قريبٍ منكما الصدع يرأب
ولولاكُما ما كنت أسعى وأدأب
لكنت رأيت الحب كيف يُعذب

رأت جسداً ملقى أضرب به الهوى
جئت عندها طوراً تشم عقاصها
أبنتاه ردي عازب الحلم والحجى
لقد جئت أسعى في اجتماعكما معاً
ولو كنت شاهدت ابن حبك خالداً

البعثة والحياء

فقامت على أقدامها تتوثب
يُفتش عن أسرارها وينقب
ولم يبقَ عند القلب للشك مذهب
على وجهها عنها بها تتحجب

لقد سمعت بنت الضنى ما أهاجها
تظن رقيباً جاء في ذكر خالد
ولكنها قد صدق الطرف سمعها
توارت حياءً بالفراش وكفها

كشف السر

لقد تركتها في الفراش وأسرعت
رأتها وقد جاءت لغرفة زوجها
فقال لها إن الشحوب أضرها
تكاشفتا السر الذي كان مضمراً
خروجاً وغير الأم لا تتطلب
تُمهّد ما فيها له وترتب
ولكنّ منها خالدًا هو أشحب
وأظهرتا الأمر الذي كان يُحجّب

الخطبة

وبينا هما في القول إذ جاء زوجها
فقال لها من هذه ما مرادها
فقال وقد دبّ الحياء بوجهها
هي ابنة عبد الله زوجة هاشم
فنگس رأسًا واستمرّ مفكرًا
ومن بعد يأس من رضاه أجابها
تباشر أهل الدار والدارُ أشرقت
ورافقت البشرى ضحى أم خالدٍ
فكاد ولم يملك من البشر نفسه
يحف به من هيبه منه موكب
أجاء بها أمر، أطوّح مطلب
وأطرها من عارض منه صيّب
لخالدها جاءتك زينب تخطب
يُشرّق في أفكاره ويُغرب
لما هي جاءت منه تبغي وتطلب
وكلُّ له من معجب البشر مطرب
إلى خالد وهو القنوط المقطب
لزينبه شوقًا يفرُّ ويهرب

العقد

فأرسل في إثر القضاة فأحضروا
وأُموا جميعًا دار سعد بجمعهم
ومن بعد أن قاموا بما هو واجب
دعاهم إلى بهو الطعام فأطعموا
وراحوا وكلُّ عنده ألف مقول
وصاح بتقريب الشهود فقربوا
وسعد لهم في ساحة الدار يرقب
وأدّوا لسعد شكرهم وهو أوجب
وجيئوا بأصناف الشراب فأشربوا
له بجميل الصنع في الناس يخطب

السجن والتغرب

تُوشَّحها هذي وتلك تُجلبِب
سويعات شوق هُنَّ في الطول أحقب
وجاءوا به قسرًا إلى الحبس يُسحب
هو القبر ضيقًا أو من القبر يقرب
وفي الليل يقفوه الغرام يعذب
شهورًا على جمر الغضا يتقلب
وسيق إلى سيواس فيمن يغرب
عليه وفاضت روحها وهي تنحب
ولم يبق إلا اليوم في الدار تنعب
ولا ثالث إلا الشقاء المطنب

وقامت نساء الحيّ تصلح زينبًا
وفي الدار يقضي خالد بانتظارها
ففاجأه من جند جنكيز ثلة
وزجَّ بجب يكمه العين ظلمة
تُعذبه الظُّلَامُ جوْعًا نهاره
نساه ابن جنكيز فظل بجنبه
وجيء به يومًا على غير موعد
قضت نحبها تلك العجوز تحرقًا
وسعد مضى تقفاده أم زينب
تجاوب إذ تبكي الشقية زينب

الجنائية

وفيمَ عليه القوم صاحوا وأجلبوا
يثور إذا سيموا الهوان ويشغب
ويطعن في صدر العدو ويضرب
فتى عن بُنيّات العلى لا ينكب
يغار على مجد العراق ويغضب
فكل فتى فوق البسيطة مُذنب

أتعلم ما كانت جنائية خالد
لقد كان صبا بالعراق وأهله
يدافع عن أحسابهم وحقوقهم
وهل ريبة إن ذب عن مجد قومه
أعدلاً يرى الأقوام حبس ابن حرّة
إذا كان في حبّ الديار جريرة

الرجوع إلى الوطن

بها مزقت جلد ابن جنكيز أكلب
وكلُّ له ناب حديد ومخلب
وليس له إلا التشوُّق مركب
يُغالبه الشوق الشديد فيغلب
وأمَّ بشوقٍ داره وهو مُتعب

أنت وهو في سيواس أعوام فتنة
وبثت بأنحاء العراق رجالها
نحا الوطنَ المحبوبَ والأهلَ خالدُ
سرى والهوى يقفاده بزمامه
وحط بباب الكرخ ليلاً رحاله

وأنحى لا صبرٍ على الباب طارقاً
يترجم لليل الأصم نداءه
بكفيه حتى كلَّ عضدٍ ومنكب
صدى الدار والريح الجنوب تعرب

جاراة خالد

لقد سمعت صوتَ الفتى جارةً له
من السطح نحو الصوتِ في غلس الدجى
رأت خالدًا والليل يرفع شخصه
مضت كمضي السهم تطلب زوجها
ومن بعد إلحاحِ ثناءب قائلًا
ولكنه لما تبين قولها
رأى خالدًا فانصاع يلثم خده
وأدخله مستبشر القلبِ داره
يضاحكه لكنه غير ضاحكٍ

النعي والبكاء

أبا سالم ما لي أرى الباب موصدًا
أبا سالم إنني وحقك هالك
بكت رقة من قوله أمُّ سالم
فصك بكلتا الراحتين جبينه
يصيح بيا أماه قومي ورحبني
أمَّاهُ قد خَلَفْتِنِي رهن دمة
تُشاطره مرَّ البكا أمُّ سالم
إلى أن تولى من دجى الليل أسحم

أُمِّي ماتت أم إلى أين تذهب
إذا لم تُخبرني وأنت المسبب
وقالت له في عبرة «أنت طيب»
وخرَّ على وجه الثرى يتقلب
وكفي الأسى جاء السجين المغرب
إذا أنضب الدمع الأسى ليس تنضب
على تربها والشيخ كالطفل يندب
وأقبل بازيٍّ من الصبح أشهب

الماتم

تسامح أهل الحيّ فيه فأقبلوا
يُقبَله هذا وهذا يضمُّه
مضى باحترام بينهم نحو داره
تربّع في كرسِيّه بسكينةٍ
قضى بجميل الصبر ماتم أمّه
وحُبر عن حال الفتاة وشأنها
فأصبح في خطبين خطبٍ أمّضه

وكلُّ إليه الأرض يطوي وينهب
وهذا يُحييه وهذا يرحب
يُحاط كما حيط العذيق المرجب
يُريد غلاب الحزن والحزن أغلب
وفي ثوبه من لاسع الفقد عقرب
وكيف رماها دهرها المتقلب
وأخر قفاه أمض وأصعب

الصديق الإسرائيلي

أتاه ابن إسرائيل يوماً لداره
رأه كئيباً في الخفاء مُفكراً
فظن ولم يعد الحقيقة ظنّه
فقال له خفض عليك فإنما
إذا منع المال الصديق صديقه
مطيعاً تجد مرني فإنني حاضرٌ
فقابله بالشكر والبشر قائلاً
بمثلك يغلو قدر كل مواطن

على غفلة وهو الصديق المقرّب
تُدوره كفُّ الأسي وتُقلب
بأنّ الفتى من أصفر النقد مترب
صديقك من في النائبات تُجرّب
فمن واجبات الحزم عنه التجنب
لدفع الذي تحتاجه متأهب
فداؤك من قومي حضور وغيب
ويعرف قدر الخلة المتعصب

الزفاف

ولما تولّى عنه اللهم شاغب
غدا وهو مشغولٌ بتدبير أمره
فأكمل في يومين كلَّ شئونه
شكا كلَّ حبٍ شجوهٍ لحبيبه
وباتا وكلُّ يجتني ثمر المني
ولم يعلم أنّ النмир الذي جرى

وفارقه من شاغل الغم أشغب
يُجهّز ما يحتاجه ويؤهب
ورُفت له المنكودة الحظ زينب
يُفصل مكنوناته ويُبوب
بكفّيه لا يخشى ولا يترقب
سيرجع في ثغريهما وهو طحلب

عَوْدُ عَلِ بَدء

غشى الظلم أقطارَ العراق بحزبه
وشقَّ على ذاك الأبِّي هوائها
وقارب رأَي الشعب بعد ابتعاده
وما زال يسعى مدنيًا بخطابه
يُميت ويُحيي ليله ونهاره
إلى أنْ بدا فجرٌ من النجح صادق

على حين قد أفنى قواها التحزب
فقام يُداوي جرحها ويطبب
وكان يئوسًا عن تدانيه أشعب
قلوبًا لأخرى شطَّ منها التقرب
يؤلِّف أشتات الهوى ويحزب
يضيء به نجم من الفوز يثقب

الاعتقال والموت

أحس به الظلام وهو لطفله
ففارق بغدادَ العراق مكبلاً
وأصبح في جُبِّ بمنفاه ثاويًا
يحيط به جيش من الهند أسود
فلا مَلَك يرجو الدنو لجبهه
رماه بداء السل همُّ مبرح

بأفراح أيام الختان يؤدب
وأخرج منها خائفًا يترقب
به من جراح الهمِّ ما ليس يعصب
ويرأسه طفل من البيض أصهب
ولا بَشَر يدنوا إليه ويقرب
وأورده الهلُك النوى والتغرُّب

هول المصاب

نعاه ببغداد النعيُّ مُصرِّحًا
فحنت أسي تلك الفتاة وأسرعت
تقود صغيرًا خلفها يشتكى الوجي
يولول في آثارها مُتعثراً
إذا ما بكى تبكي لمُرِّ بكائه
تسير بلا رشدٍ على غير غاية
يلوح النهى طورًا لها ثم يختفي

يُكنِّيهِ تَعْظِيمًا له ويلقب
تُمزق عنها ثوبها وتؤرب
كما يشتكى قِصْرَ الجناحين أزغب
بأذياله قسرًا يُقَاد ويجنب
وتضحك أحيانًا عليه فتغرب
وفي القلب من نار الجوى متهلب
كما لاح برق في دجى الليل خلب

الطفل وزينب في ساعة الموت

ولم يُنَجِّها من غارة الخطب مهرب
يدبُ حوالِها اليتيم ويلعب
يعود على أدراجِه وهو أسغب
وفي الجسم أظفار المنية تنشب
فلله من تدني إليها وتجذب
ومن بك يُعْنَى أم لأجلك يتعب
تعيش كما عاش اليتيم المسيب
ولكنه في يتم نفسك يصعب
ويبسم ثغر منك في الوجه أشنب
يُقابله وجهه من الليل مرعب
بدا العدل محني القري وهو أحذب

مضت برهة لم يعرف الظل شخصها
فأضجعها الغمُّ الفراش مريضة
يضاحكها مُستطعمًا غير أنه
أحست ومنها الموت دان بطفلها
ومدت إليه الكف تجذب ثوبه
بُنَيَّ إذا ما متُّ من لك راحم
بُنَيَّ يتيماً أنت بعدي مسيبًا
بُنَيَّ لقد هان الردى بعد خالد
أتلوه بقربي منك في الصدر أنمل
وساد سكون بعد ذلك مرهب
وأعقبه الأمر العظيم الذي به

الجنزة

عصابات جاراتٍ لها تتعصب
يطوف حوالي جسمها ويحرب
فأبصرن ما يدمي القلوب وينصب
وأى فؤاد لا يذوب ويكأب
وللدمع منهم في الخدود تَسْرُب

أنت بعد أن لاح الصباح تعودها
فشاهدن ذاك الطفل يُعول باكيًا
كشفن غطاءً كان يستر وجهها
صرخن ومزّقن الجيوب كآبة
تسارع نحو الصوت حضر جارها

الطفل في دجلة

ولم يشعروا إلا وقد غاب «جندب»
إذا مذهب منها انتهى امتدَّ مذهب
غرورًا وسياراته تتكوكب
وفي الماء محذوفًا بها يتقلب

لقد سُغِلوا عن كل شيءٍ بدفنها
مشى تترامي السُّبُلُ فيه بلا هُدَى
أتى الجسر حيث الظلم تركض خيله
فأصبح نهبًا بينها مُتقسماً

خطاب لدجلة

أدجلة تدري أم تراها جهولة
أدجلة ذا قد أنجبته كريمة
أدجلة بالله احفظيه من البلى
تسير ولا تدري بمن يترسب
وأنجبه فحل من العرب منجب
فإن العلى إن لم تصونيه تعتب

شنشنتي

إلى السيف أشكو لا إلى الناس منية
سأطلبها مهما تعرض دونها
فلا حملتني إن تقاعدت بُزّل
عشقت العلى طفلاً فكيف بسلوتي
وقد عرفت عدنان فضلي ويعرب
تُواعدني فيها الليالي وتكذب
من الهول لا أخشى ولا أتهيب
ولا ركضت بي إن تقاعدت شرب
وها أنا ذا والحمد لله أشيب
وما أنكرت بكر بلائي وتغلب

أنا وصاحبي

أقول ورحب الأرض ضاق بصاحبي
تريد وتخشى الهول أن تدرك المنى
تظن طلاب المجد كأساً وقينة
إذا خلت أن المجد سهلٌ طلابه
تنحّ وخلّ الدرب خلواً لأهلها
إذا اشتد ضيق المرء قلّ سوف يرحب
وهل صحّ أن لم يهنأ النقب أجرب
تهيم بها بين الربي وتشبب
فظنك هذا من طلابك أعجب
فهم منك أدري بالرسوم وأدرب

كاظم الدجيلي



الشيخ كاظم الدجيلي.

أديبٌ كثير الولوع بالتنقيب والبحث عن تاريخ بلاده وأحوال أهلها وجغرافية بلادهم قديماً وحديثاً، وناظمٌ يُجِبُّ الصَّراحة في شعره، وكاتبٌ يلمُّ بأطراف موضوعه إلماماً لا

يترك لغيره مجالاً للزيادة عليه، ومتكلمٌ لِسْنٌ فصيح المنطق لا يملُّ الكلام في ميدانٍ يعجبه التكلّم فيه، كما أنه لا يملُّ السكوت إذا وقع عليه في موضعه.

لو كان للعلم والأدب قيمة في هذه الديار لكان للشيخ كاظم الدجيلي مجالٌ واسع لإظهار مواهبه وجلده على البحث، ولو كان لحرية الفكر حرمة في هذا القطر لرنت حقائق الدجيلي في شعره رنةً تحدثت بها المجالس، لكن ما العمل وقد خُلق الإنسان أسير بيئته.

أصل الدجيلي من عشيرة الخزرج الذين هم إخوة للأوس من فخذٍ يُعرفُ أبناؤه منذ القديم بالبابلين نسبةً إلى بابل الإقليم الشهير في العراق، وقد ترأس والده فخذهُ مدّة، كما أنّ جدته الصحيحة (واسمها نائلة المحسن) كانت تقضي في الخصومات التي تقع بين قومها، وتتصدرهم إذا دخلت مجلسهم.

وُلد كاظم الدجيلي في قرية دجيل المعروفة اليوم بسميكة في العقد الأوّل من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٠١هـ/ آذار سنة ١٨٨٤م — واسم والده الحسين بن عبدان بن درويش بن نهار، ووالدته عليّة بنت ويس العبيد. وقد هاجر والد المترجم بعد ستة أشهر من ولادته إلى بغداد فاستوطن جانب الكرخ منها، ولم يزل بها إلى الآن.

ولما بلغ الخامسة من عمره تعلّم القرآن الكريم على معلمة في جوار بيتهم، اسمها صغيرة بنت الحاج علي الحمامجي، فختمه في ستة أشهر ونزع إلى تعلّم الكتابة، ثم انتقل إلى مكتب الملا إسماعيل في جامع الغنّام في الكرخ، وظلّ يدرس عليه نحو سنتين، ولم يشأ أهله إدخاله في مدرسةٍ من مدارس الحكومة لانصراف أذهان القوم عنها في ذلك الحين.

وأخذ بعد حين يشغل مع أبيه في المتاجرة بالحبوب والقطاني ويدرس بنفسه، وقد نشأ فيه ميل إلى قرص الشعر وتتبع الآداب وأخبار العرب. وإذ وجد نفسه عاجزاً عن استيفاء ما يُريد من العلم على هذه الصورة ترك المتاجرة برغم إرادة والده، وانقطع إلى الدرس والمطالعة، والتردّد على فريق من أفاضل العلماء والأدباء الذين استفاد منهم فوائد جلية في العلم والأدب واللغة والتاريخ، نذكر منهم الأستاذ شكري الألوسي، والسيد حسن الصدر الكاظمي، والأب أنستاس ماري الكرملّي، والأستاذ جميل صدقي الزهاوي.

تزوَّج المترجم سنة ١٩٠٤م ووُلد له ثلاث بنات وابن.

واشتغل قبل الحرب الكبرى بتحرير بعض الجرائد البغدادية، ثم انقطع إلى إدارة مجلة «لغة العرب» والكتابة فيها حتى حجبته تلك الحرب الضروس.

وقد نشر سنة ١٩١٤م مقالة بعنوان «حول الضماد» في مجلة «المستقبل» المصرية لصاحبها سلامة موسى، فحكم عليه التُّرك بالسجن سبع سنوات بسببها، وحال دون تنفيذ الحكم إعلان الحرب الكبرى.

وللدجيلي معرفة بقراءة المخطوطات القديمة، ويد في تعيين تاريخ كتابتها بمجرد النظر إلى أشكال أقلامها وأنواع أوراقها، وهو يعرف طرفاً من الإنكليزية وقليلًا من التُّركية والفارسية، وله مكاتبات مع ثلثة من كبار المُستشرقين، ولديه خزانة نفيسة جمعت طائفة من المخطوطات النادرة، والمطبوعات القديمة. ودخل سنة ١٩٢٠م مدرسة الحقوق في بغداد فأظهر كل نشاط واجتهاد في دراسته، وهو يوم كتابة هذه السطور في صفها النهائي.

رحل كاظم الدجيلي رحلاتٍ عدَّةً إلى إيران وكردستان وأطراف العراق وعربستان، وجاب القرى ومنازل الأعراب، ودرس أخلاقهم وعاداتهم وحالاتهم الاجتماعية، وكتب عنهم ما لم يتهياً لغيره من الرحالين والرُّواة، وطلب سنة ١٩١١م بواسطة وكيل القنصل الألماني في بغداد المسيو ريشاردس ليكون معلم اللغة العراقية الحالية في مدرسة المُستشرقين في برلين، وطلب إليه أن يرحل مع صديقه العَلَّامة الدكتور إرنست هرتسفلد الألماني، وأن يكتب في رحلته هذه كتابًا في أحوال الأعراب وعاداتهم وأخلاقهم وأوضاعهم، ووصف جغرافية العراق، فألَّف في تلك الرِّحلة كتابًا مُمتعًا، لكن الكتاب ضاع عند عودته إلى بغداد لمرضٍ أصابه في الطريق، ولم يقف على خبره إلى اليوم. ثم أعاد الكرَّة إلى هذه الرِّحلة بأمرٍ من الجمعية الجغرافية كذلك فرحل في أيلول سنة ١٩١٣م، وقد استصحب في هذه المرة الشيخ علي القرة داغي العالم الفاضل لما له من النفوذ والحرمة في أطراف كردستان، لكنهما لما وصلا الدكة التي تبعد ثلاث ساعات عن خانقين غربًا، رجع الشيخ علي إلى بغداد مضطرًّا، فأجبر المُترجم على الرجوع كذلك، وجاءت الحرب العظمى بعده قاضية على أعمالٍ وأمالٍ كثيرة.

ورحل في ١٩ آذار سنة ١٩١٣م إلى الفرات وكربلاء وشفائنا وقصر الأخضر والنجف وعريسات والشامية والديوانية وكتب فيها كتابًا.

ومن أخلاق المُترجم أنه يُحبُّ الصراحة في الفِكر والقول والعمل، وإن أغضب سامعيه وجرح عواطفهم، وطالما جلبت عليه هذه الخلة سخط بعض الناس. وهو يقتصد في كل

شيء إلا الأمور التي تعود إلى الصحة والشرف، ولا يتعاطى الدخان والمشروبات الكحولية، وفيه أثر حدّة، وصوته عند التكلم عالٍ على الدوام، ومن صفاته أنه لا يُحب الانتساب إلى الأحزاب والجمعيات السياسية.

وأحسن أوقات النظم والإنشاء عند الدجيلي آخر الليل، وأول النهار مع الانفراد في المكان، ويحبُّ دائماً أن يكون عدد أبيات القصيدة وترّاً. أما مبادئه وآراؤه، فقد وقفت على جُلها في رسالة موجزة بقلم المترجم أقتطف منها ما يأتي وفيه البلاغ:

أما في الرقي الاجتماعي كبيرة، أهوى الخير للبشر جميعاً، ولم أتعصب لرأي مُخالف للحق بل أجاهر باحتقاره، ولو كان صاحبه ذا حرمة عند الناس. أعتز بخطئي إذا تحققت وقوعه ولو أمام أعدائي، ظني في المجتمع أسوئي، وأعتقد أنّ الناس كلهم نفعيون ومحبون للشهرة وطباعهم مجبولة على الشر أكثر مما هي على الخير، وإنما الذي يروض جماعها ويهذبها التأثير الذي يطرأ عليها من حُسن التربية والتعليم والإقليم ليس إلا.

أرى أن لا نسب حقيقياً في العالم لأنّ كل فرد من الأفراد يتولّد من ذكرٍ وأنثى، وتلقيح النسل يكون منهما، وإذا ارتقينا إلى أبيه وجدّه وأمه وجدّته نجدهم يتألفون من أكثر من عشر قبائل، وإذا صعدا إلى أبوين وجدين لهم يكون المرء من أكثر من مائة قبيلة، وهلم جرّاً.

لا قبيح ولا حسن في العالم بالمعنى الأعم، فالذي تراه قبيحاً قد يراه سواك حسناً؛ لأنّ جميع الأشياء منوط اعتبارها بأهمية الزمان والمكان.

الدين الصحيح للإنسان هو أن لا يعامل غيره بما لا يرتضيه لنفسه. إذا جنّ الإنسان جنوناً مُطبّقاً واستحالت إعادة عقله إليه طُبيب، أو إذا ابتلي بداءٍ مُبرحٍ ولم يشفه منه إلا الموت، ويخشى سريان العدوى منه إلى غيره، فالإسراع في القضاء عليه من أوجب الواجبات؛ لأنّ الموت يُريحه ويُرّيح أهله المتعبين من أجله، ويوفّر للجميع طعامه وشرابه ولباسه ومقامه.

إن الإنسان مضطر في جميع أعماله وغير مُختار، وإنّ شقاءه وسعادته في الأكثر يولدتهما الاحتياج؛ لأنّ الحاجة هي التي تبعث صاحبها على الأعمال القبيحة، كما أنّها تبعثه على إنتاج كبار الأعمال وعظيمها، فهي التي تفتق الحيلة وتبعث على الرذيلة، وأم الاختراع.

لا عيب ولا عار في الدنيا إلا على الكسالى والخونة والغادرين، وكل ما يتعاطاه الإنسان ويكسب من ورائه شيئاً للمعاش بدون أن يضر بسواه هو شريف.

لا ينبغي أن يُحرّم على المرء شيء ما لم يضر بعقله وصحته وأدبه. جميع الأديان التي يرجع أصلها إلى إلهٍ واحدٍ فأعمال أصحابها مُقدّسة مبرورة، وإن جميعها في التوحيد على حدٍّ سواءٍ بدون فرقٍ أو تمييز، وإن ناقض آخرها الأول، وتعددت فيها وسائل العادة، واختلفت طرق التزلف للتوصّل إلى ذلك المعبود العظيم.

إنّ الحق تابع للقوة وخاضع لها، وإنّ للقويّ الحقّ بالقضاء على الضعيف وفقاً لناموس الطبيعة العام؛ لأنّ حياة الضعيف تُولّد الضرر في المجتمع بدون أن تنفعه بشيء، وبواسطتها يتأخر سير المدنية، وعمران الحضارة في العالم. الوطن الحقيقي للإنسان هو ما يرغد في عيشه ويرتاح قلبه باستيطانه، ويكثر انتفاعه منه ويمك حرية القول والعمل فيه على حد قول الشاعر:

وكل محل يُنبِتُ العرَّ طيب

وضع المترجم رسائل وكتباً عديدة لا تزال مخطوطة كلها، وقد نُشر منها فصول ومقالات في كثيرٍ من المجلات والصحف في العراق وخارجه، مثل: المقتطف والهلال والمستقبل في مصر، ولغة العرب ودار السلام في بغداد، ومرآة العراق في البصرة، ومعظمها مُزيّن بالتصاوير والخرط، وها نحن أولاء نذكرها:

(١) رحلة الفرات: وصف رحلته إلى الفرات وكربلاء وشفافا ... إلخ، وما شاهد الكاتب في تلك البلاد والقبائل وأحوال أهلها الاجتماعية وعوائدهم.

(٢) تاريخ النجف: في تاريخ بلدة النجف ووصف المشهد العلوي فيها، كما أنّ له بحثاً مسهباً في المياه التي سبقت إلى بلدة النجف منذ القديم إلى يومنا، وتراجع من أجرؤها.

(٣) تاريخ الكوفة: ضمّنه تاريخ الكوفة ومسجدها الشهير ومسجد السهلة، وما جاء فيهما من الكتابات القديمة والحديثة في الصخور والجدران أو قد زالت منذ عهد قريب.

(٤) تاريخ كربلاء: أتى فيه على تاريخ كربلاء ووصف مشهدي الإمام الحسين وأخيه العباس فيها، وقد نُشر مثال منه في «لغة العرب».

- (٥) المشاهد المقدّسة في العراق.
- (٦) سامرّاء قديماً وحديثاً: نُشر نموذج منه في «لغة العرب».
- (٧) تاريخ الكاظمية: قديماً وحديثاً ووصف مشهدي الإمامين موسى الكاظم، ومحمد الجواد، وتراجم العلماء والأدباء الذين نبغوا فيها، نُشر فصل منه في «مرآة العراق».
- (٨) تاريخ البصرة.
- (٩) الآثار العراقية: نُشر فصول منها في «لغة العرب».
- (١٠) أشعار الأعراب: ضَمَنَهُ بحثاً في أشعار الأعراب الحاليين وأقوالهم وأمثالهم.
- (١١) أعراب العراق: يبحث فيه عن أنساب أعراب العراق وتعدّد قبائلهم وبطونهم وشيوخهم وفرسانهم وشعرائهم وعرفائهم وعاداتهم.
- (١٢) الأغاني العراقية: مع ذكر مشاهير المغنين العراقيين.
- (١٣) صابئة العراق: الطائفة المعروفة فيه.
- (١٤) اليزيدية: الطائفة المعروفة في أطراف الموصل.
- (١٥) الأسر البغدادية: يبحث فيه عن الأسر الحالية ومرجع أهلها، وبدء نشوئها، وكيفية تأليفها.
- (١٦) الفرق الثلاث: بحث المترجم في هذه الرسالة عن الفرق الثلاث الإمامية، وهي: الأصولية والإخبارية والشيخية أو الكشفية، وتبيان الفروق التي بينها.
- (١٧) الأمثال العراقية: أودعها الأمثال العراقية العامية وشرحها.
- (١٨) المصطلحات العراقية: بحث في اللغة العامية في العراق.
- (١٩) السفن العراقية: ضمنها وصف السفن العراقية ورجالها ومصطلحاتهم (نُشرت في لغة العرب وترجمها بعضُ المستشرقين إلى الإنكليزية والفرنسية والألمانية).
- (٢٠) الشعر القصصي الحماسي: أثبت فيها — رداً على الآنسة النابغة «مي» — وجود الشعر القصصي الحماسي عند العرب الأولين (نُشرت في المقتطف).
- وهناك رسائل وكتب يشغل الشيخ المترجم في إكمالها، منها:
- (٢١) بغداد: بحث مسهب في بغداد وولاتها وقضاتها قديماً وحديثاً.
- (٢٢) قضاة البصرة وولاتها.
- (٢٣) سمات الأعراب الحاليين.
- (٢٤) تركية وإنكلترة في العراق.

(٢٥) العراق: وصف الحالة الاجتماعية والأدبية والسياسية في العراق، منذ القرن الحادي عشر الهجري إلى يومنا هذا.

(٢٦) العلم والأدب في العراق: يتضمن تراجم علماء العراق وأدبائه منذ القرن الحادي عشر الهجري إلى الآن.

(٢٧) الوثنية في العراق: يبحث في الخرافات العراقية قديماً وحديثاً.

(٢٨) الاحتفالات المقدسة في العراق.

(٢٩) ديوان الدجيلي.

وها نحن أولاء نثبت نخبة من نظمه:

(١) الحياة الاجتماعية

وسعيك في نصر الضعيف أثم
قعودٌ بأحكام الورى وقيام
وما الكون إلا قوةً ونظام
رعتك عيونُ الناس حين تنام
ولم ينجُ من فتك البزاة حمام
ومأ الحقُّ إلا مدفعٌ وحُسام
وفيهم غرامٌ بالقوى وهيام

حديثك عن غير القوىِّ حرامٌ
تحدّثُ بمجد الأقوياء ففيهمُ
يؤلّه مذ صار ابنُ آدم قوةً
إذا كنت بين العالمين أخوا قوى
حمى الغاب بأسُ الليث من كل طارق
يقولون إنَّ الحق من فوق قوةً
ولو درسوا علم الطبيعة لانتنوا

* * *

ولكنه مُرخّى عليه قرام
ويُهدي الصديقَ الزادَ فيه سمام
لئام وقوم طيبون كرام
وربَّ كلام في النفوسِ كلام
تُعَلِّم قومي كيف ساد عصام
وعزٌّ عليها في الظلام منام

وما الخلق إلا جائزٌ باسم عادلٍ
ينوح على مَيِّتٍ ويأكل لحمه
تمثل في أفعاله وخصاله
تكلم قلبي كلمة من منافقٍ
فهل فيك يا بغداد نفس زكية
بكت مُقلتي لما رأنتني أعزلاً

* * *

عليها ركوب الصاغرين حرام

إلى العزِّ فاركبها معوَّدة السرى

تَغْرَبُ تَفْرُ بِالْعِذْرِ أَوْ تَبْلُغُ الْمَنَى ففي الغمد يصدى السيف وهو حسام
ولا تكُ عن نيل العلاء بقاعد وفيك إلى نيل العلاء قيام
ولا ترَضُ نُلَّ الخاملين وعيشهم فإنَّ حياة الخاملين حِمام

* * *

أرى الناس أشياعاً وكلُّ بزعمه له مذهب قصد السبيل قوام
ورُبَّ فتى أفنى الحياة عبادة ومعبوده الأوثان وهي رجام
يصوِّر تمثالاً ويدعوه ربه فيعضده من تابعة فئام^١
ويأتيه آتٍ بالندور ونذره شراب طهور سائغ وطعام
يروم به عفواً ورزقاً وصِحَّةً وليس بمقضيٍّ هناك مرام

* * *

ورُبَّ خرافي يروح ويغتدي وأفعاله فيما هناك أثم
فعاش إلى أن مات هذي فعالة وقدَّسه بعد الممات طغام
وشادوا عليه قُبَّةً وتوسَّلوا إليه ببراء الداء وهو عقام
وجاءوه من شرق البلاد وغربها شعائرهم نُسْكُ لَهُ وصيام
وخرؤا على أعتاب مثواه سُجَّدًا وأحشاؤهم فيها جوِّ وأوام
وقالوا وهم يَبْكُون شوقاً ورهبة وصار لهم حول الضريح زحام
بك الله يُحيينا غداً ويميتنا وأنت شفاءٌ للورى وسقام

* * *

ورُبَّ جَحودٍ ينكر الله جهرةً وغير مبالٍ أن نحاه ملام
ينادي: بني الدنيا اسمعوا وتنبَّهوا فما هي إلا عيشة وجمام
أساطير أقوام مَضُوءًا وخرافة مقال الورى: بعد الممات قيام
وكيف يعود الجسمُ بعد فنائه وتحيا عظام المَيِّتِ وهي رمام
لعمرك رأي يترك العقل ضاحكًا عليه ويجري الدمع وهو سجام

^١ الفئام: الجماعة من الناس.

* * *

ورُبَّ أخِي علم يُعلِّم قومه
يقول لهم: سر الطبيعة غامض
تَحَيَّرَ فكر الفيلسوف بكنهها
وكم حاول الماضون كشف ستارها
وما مطرت سحب لمن قام منهم
فيسمع للتعليم منه كلام
يُشَاهَد نور حوله وظلام
فمات ومنها في حشاه ضرام
فطافوا على غير المراد وحاموا
وكيف وصرَّاد الدعاة جهام

* * *

حكاية أديان الأنام عجيبة
تريد الهدى والخير للناس كلهم
وغايتها القصى عبادة واحد
عظيم لديه يصغر الخلق كله
له أثر في كل شيء وآية
دعوه بأسماء قد اختلفوا بها
وقالوا وهم في حالة اليأس والرجا
متى تجمع الأديان في الأرض وحدة
ويسلك كل العالمين سبيلها
وينسئون زنديقًا وينسئون مارقًا
ويحيون فوق الأرض لا فرق بينهم
كأنهم في العيش أبناء أسرة
تجمع فيها فرقة ووثام
وكم ثار منها فتنة وخصام
حقيقته ما إن تُرى وتُرام
وتُستصغر الأجرام وهي عظام
وبين قواه والوجود لزام
وعدوه نورًا لا يكاد يُشام
متى تتلاشى ظلمة وغمام
لها سنة مشروعة ونظام
وغايتهم منها هدى وسلام
ويُفقد منهم مفسدون لئام
وليس حلال عندهم وحرام
كأن بنيهم إخوة وتؤام

(٢) بوليس بغداد: وهي إحدى منظومات السجن الست

بدت نارها للشاربين ونورها
جلتها على الندمان صفراء عسجدًا
معتقة في الخلد حيث تقدمت
تموت بها الأحزان موتًا مؤبدًا
ويعقد تاجًا كسوريًا حبابها
وطافت بها والليل أليل حورها
من التين والتفاح كان عصيرها
على زمن التاريخ عصرًا عصورها
وتحيا بها البشرى ويأتي بشيرها
إذا دار في الأقداح منها مديرها

وتلتهب الأحشا ويندكُ طورها
 ورَعشة رأسٍ يستدل خبيرها
 طباع الندامى واستمرَّ مريرها
 وقد حلَّ في الأعصاب منها فتورها
 فطاش ولما يبغ طيشًا كبيرها
 يعنفه شريبتها وعقيرها
 كبارٌ ومن شأن الصغير صغيرها
 سُررنا وغايات النفوس سرورها
 علينا يَزِدُنَا من هواها هديرها
 وتمَّ لدينا أنسها وحبورها
 بوليس به الأكدار ثار مثيرها
 أجبناه من دار السلام أميرها
 ولم نأتِ ضرًا للعباد يضيرها
 فمرَّقه والعين منه يزيرها
 أنرهب أحكامًا إلينا مصيرها؟
 وفي يدنا أعمالها وأمورها
 تُفْتَحُ من دون التساؤل دورها
 وفي قولنا يقضي دعاوى مديرها
 ليُقضى ببشر سهلها وعسيرها
 نوارًا، وإني منكم أستعيرها
 ولم يتبين فسقها وفجورها
 إلى أن تهاوت من عصاه قشورها
 على أوجهٍ منا وخرَّ خريرها
 رئيس بوليس خاف منهم جسورها
 فليس من الصعب العسير حضورها
 يؤدي إلى سجن البوليس مسيرها
 فجاء كما تأتي الطيور صقورها

لها سورة تجري الدموع لفعالها
 بتكشير أسنانٍ وتقطيب حاجبٍ
 سقتها بلا مزجٍ فغيَّر شربها
 وقد ثقلت ألحاظهم ورءوسهم
 وقد خفَّ من أحلامهم كل راجح
 إذا أشفق الساقى وبدل كأسها
 أدرها علينا بالكبير فإننا
 وإن أنت قدّمت المُدام بسرعة
 متى يهدر الإبريق عند انسكابها
 ولما تكاملنا عديدًا وعدة
 هنالك وافانا ونغص عيشنا
 وقال بعنفٍ من أباح جلوسكم
 وأنا أناس جالسون مكاننا
 وهذا جواز بالجلوس مصرَّح
 وقال جهلتم قدرنا ومقامنا
 ونحن الألى سِير الرعايا بحكمنا
 إذا ما أردنا أن نجوس ديارها
 إرادتنا من فوق كل إرادة
 فقلنا أمن أمرٍ لديك وحاجة؟
 فقال: نعم إني أحب فتاتكم
 فقلنا له إن الفتاة عفيفة
 فأوجعنا ضربًا على الرأس بالعصا
 وقال وقد سالت دماء وجوهنا
 أصيخوا فإني من خبرتم وذقتم
 وإني إن أنسب إليكم جناية
 أراكم سُكاري لا تعون وحالكم
 ونادى بوليسًا خارج الباب واقفًا

وقال كذا يلقي العقابَ شريها
فضاع بقصد الحفظ منها كثيرها
وفي الجو سحب قد بكانا مطيرها
وقد غاب من عظم المصاب شعورها
وجزّت من السحب العنيف شعورها
فبدل منها بالذبول نضيرها
وأرجلنا بالوحد جم عثورها
وقاعته مُحَدَّوِدات صخورها
يفت بأعضاد القويّ يسيرها
يزيد إذا اشتد الهجير ظهروها
من الضرب ما يلقي بنجد كفورها
لكي يعرف الدنيا وكيف غرورها
يَعِيش سواءً عبدها وأميرها
وتلقى كريم الناس وهو حقيرها
فرائص أقوام» وغاب شعورها
وزاد عليه من بنينا مرورها
يسارقنا الأبصارَ منها بصيرها
إذا شُغل الحراس في من يزورها
من الخلق موتى والسجون قبورها
تدق بأيدينا نهارًا صخورها
وينظرنا بالإعتبار كبيرها
وليلتنا قد طال منها قصيرها
بها العين منّا لم يقرّ قريرها

وغلّ بغلّ من حديد أُكفّنا
وقد أخذت أموالنا وعروضنا
وأخرجنا بالقهر والليل مسدّف
وجرّ نوارًا خلفنا وهي حاسر
وهشمّ من ضرب السياط جبينها
وسالت دماءً من جميع جهاتها
فسرنا وفي أكتافنا منه زاجر
إلى أن وردنا السجنَ والسجنُ ضيق
وقد ألصقتها بالتراب رطوبة
يشم حديث العهد منا نتانة
ويلقى من السجنان عند دخوله
وذي سُنّة استقباله لسجينه
محل به حكم المساواة معلن
ولكن ترى فيه اللثيم مكرّمًا
«إذا حرسنيّ قعقع الباب أرعدت
«نرى الباب لا نسطيع شيئًا وراءه»
نراها على بُعد من الخوف والأذى
«حواجبنا تقضي الحوائج بيننا»
ترانا سكونا صامتين كأننا
وفي كل صبح نقصد الطُّرُق التي
يمر صغير النفس مستهزئًا بنا
وبتنا كما شاء البوليس على الثرى
ولازمنا من شدة البرد رجفةً

* * *

يُصعّد أنفاسًا تعاليّ زفيرها
وأدمعه ينهلُّ منها غزيرها
وتُهمّتنا بالسكر دُبّر زورها

وقد زادنا وجدًا أنينٌ مُكَبَّل
تنهّدَ لما أن رأنا تحسُّرًا
وقال من الأقوام؟ قلنا جماعة

فقال: فتاة لم يخنها ضميرها
وكافلها في الهند وهو أسيرها
ولم تُعطَ من مستأجريها أجورها
وحل قواها هزلها وفتورها
ثلاثين يوماً والشفاء لا يزورها
بولس دعاها كي يراها مديرتها
وذا ذنبها في زعمهم وقصورها

ومن أنت يا مَنْ نَفَسَ الكَرْبَ خطبُه؟
ألمَّ بها للَقُوتِ عُسْرٍ وحاجة
وقد شغلت يومين في شغل ضابط
فأثّر فيها الضعف من شدة الطوى
فطاحت بأحكام الطبيعة في ضنّي
وجاء مع «المُختار» وهي مريضة
فأرسلها للسجن ضابط شغلها

* * *

وتبكي من الجلى فيبكي صغيرها
ونارًا من الأحزان زاد سعيها
من النسوة اللاتي تُصان خدورها
فراح ولم يرجع إليها عشيرها
إلى أهله سرًّا فضاقت صدورها
بصحبتة «مختارها» وخفيرها
على موته أيامها وشهورها
حديدة سيفٍ فيه طال دثورها
ليحملها صعلوكها وحقيرها
ومن يسعد الحصناء غاب نصيرها

وأخرى بقعر السجن تُرَضُّ طفلها
أهاج بكاهها كامن الوجد والأسى
فقلنا لها ما الأمر؟ قالت: بريئة
إلى الحرب ساق القائد الغر بعلمها
قد بلغ الحكام - زورًا - مجيئه
وجاء وقد جن الظلام «بوليسهم»
يفتش عنه الدار وهو الذي مضت
وقد وجدوا في الزبل ساعة فتشوا
وقد صدأت من طول عهدٍ فلم تكن
فأودعني من أجلها السجن ربه

* * *

بأحكامه غر حكاه غريرها
لياليهما في السجن يمضي مرورها
وغسل ثياب عصرها وبكورها
لترضعه إن درَّ منها ديريها
وحالتها تُبكي العدى وتثيرها
فجيء بأسواطٍ دقاقٍ سيورها
لتبقى على الأبدان منها بثورها
وجرَّد من تلك الشقااة ظهورها

وفي الصبح ساقونا إلى متحكم
فجازى فتاة البؤس شهرًا ونصفه
وجازى فتاة السيف خمسة أشهر
وقد حبسوا من غير جرم رضيعها
وجازى نوارًا بالغرامة إذ بدت
وعاقبنا كلاً بعشرين جلدةً
تنقع إن يُضربُ بها المرء ضربةً
وشدت إلى الأخشاب أيدٍ وأرجلُ

وقام بأمر الضرب قاسٍ مدرَّبٌ
وظلت رجال ذات جرم بزعمهم
فلم يأتها ذاك المجيرُ وإنما
ولا يحسبن المرء تلك خرافة
ولم تك مأساةً لعمرى غريبةً
ففي جانبى بغداد جم نظيرها
يُحاكيه من أسدِ العرين هُصورها
تنادي مُجيراً من يديه يُجيرها
عليها من الأسواط جاء أخيرها
فناظمها سمَّاعها وخبيرها

(٣) هل أنت شاعرة؟ فإني شاعر

نظمها ترضيةً للنايغة ماري زيادة المصرية المعروفة بـ «مي» وذلك على أثر انزعاجها من رده على ما كتبتة في المقتطف من خلو الآداب العربية من الشعر القصصي الحماسي.

قلبي بكل هواي لاسمك ذاكرٌ
يرتاح للذكرى ويطرب كُلمًا
يا من تحدثت الرجالُ بفضلها
لك في سويداء الفؤاد وفكرتي
إني امرؤ بالنايغات مُتيمٌ
الحب أضناه وبرح قلبه
لم يُبقِ منه الشوق إلا صورة
هل أنت شاعرة؟ فإني شاعرٌ
وافاه طيف من خيالك زائر
وبها النساء النايغات تُفاخر
وبمقلتي وفمي محل عامر
وإلى النوايغ شوقه مُتكاثر
وأمضُ الأمَّا محب صابر
يأسى لها لَمَّا يراها الناظر

* * *

وأها لذي أدبٍ يعيُشُ وحظه
ساءت معيشته فكل حياته
ما عنده إلا عدوٌ كاشح
دئبان في إضراره أو ثلبه
ما سرّه منهم عدوٌ غائب
لم يدرِ أيهما أشد نكاية
قطع بلا وصل وجد عاثر
نفس معذبة وطرفٌ ساهر
أو صاحبٌ يُخفي العداوة غادر
هذا يروحه وذاك يباكر
إلا وأحزنه صديق حاضر
وكلاهما في الشر كلب عاقر

* * *

في كل قلبٍ يا أميمة نبعة
للحب زاهرة وغصن ناضر

والحب منتج الحياة وكل ما
والحب سلطان تَمَلَّكْ أهله
والحب فلسفة تعذر وصفها
والحب معنى الله أو هو ذاته
إني لأحوي في الفؤاد محبة
ليتيمة الشرق المضيع حقه
في عدلها جور وإن حكمت له!

أحيا النفوس فذاك حب طاهر
خضعت سلاطين له وجبابر
وعن الحقيقة كل فهم قاصر
«طمحت إليه خواطرٌ ونواظر»
لم تحوِّها للعاشقين ضمائر
دول له تقضي وفيه تناظر
ومن الغريب يقال عدل جائر!

(٤) الخمرة: هي إحدى منظومات السجن

وجدت الخمر أولها مراراً
تطيش بها عقول راجحات
وتذهب صحة ويجيء سقم
وتُفقد عفة ويزول نسك
وتتحط الجسوم بها انحطاطاً
ويثقل رأس حاسيها إذا ما
فيلتهب الدماغ بها التهاباً
وتعقر نفس حاسي الكأس منها
فبيننا تنظر الصاحي أديباً
تغير حاله الشريب لما
فتتركه كأنَّ به جنوناً
يجود بقُوته وبما لديه
ويضحك بينما يبكي ويغدو
ويقبض نفسه في حال بسط
وخامرهِ فتورٌ في قواه
دموع تستهل بلا بكاء

وأخرها لشاربها خمراً
وأحلامٌ وأدمغةٌ كبار
وتنسلب الجلالة والوقار
ويُخلع من أخي الورع العذار
ويحدث في العيون بها احمرار
تصاعد في الدماغ لها بخار
كأن عصيرها في الرأس نار
لهذا الفعل سُميت العقار
إذا هو عند سكرته حمار
يقر لها بمهجته قرار
فليس له شعور واختيار
غداة له إلى القوت افتقار
له من غير ما سبب خوار
ويغضب حيث لا غضب مثار
وجوع هيضة قيء دوار
نعاس من صداع فاعتكار

لقد كذب الألى أثنوا عليها
تموت بها هموم النفس لما
وتمنح قلب شاربها ابتهاجاً
وتبعث في أخي هزل نشاطاً
فيا للناس من كذبٍ صراح
تعود كذبه قاصٍ ودان
ألم يك ما نظمتُ بها صحيحاً؟
درست طباعها درساً دقيقاً
فلم أر غير ما حدثتُ عنه
وإن تكُ قد حوت أنساً طفيفاً
فقل للمدمنين ألا أفيقوا
كفى من عارها إنكار سكرٍ

وقالوا شربها فيه الشيار^٢
يكون إلى النفوس لها مزار
فيغدو بالسرور له مطار
وتجبر من عراه الإنكسار
غدا عند الأنام له ادكار
وصدقه الألى لهم اشتهار
فلي فيها تجارب واختبار
على أنواعها وهي الكثار
لها وصف يحق له اعتبار
فذلك في الحقيقة مستعار
فما أعماركم إلا قصار
ومن خزي افتضاحتها استتار

(٥) النفس: هي إحدى منظومات السجن

يا لك من أمره ناهيه
لم يقوَ مخلوق على ردها
جامعة الأضداد شيطانة
قاسية رقيقة الحاشيه
خبثة شريرة باغيه
عاجزة قادرة إن ونت
أصغر من كل صغير كما
تقلبت كالريح أوضاعها
الحب والبُغض لها شيمة
يدفعها النفع على حب من

أحكامها نافذة ماضيه
لو كان رب السلطة القاضيه
إلهة رشيدة غاويه
سافلة عالية راقيه
طيبة طاهرة زاكيه
أو عزمت خالدة فانيه
أكبر من كبرة سلطانيه
هادئة عاصفة عاتيه
فدأبها غاضبة راضيه
ينفعها ولو إلى الهاويه

^٢ الشيار: الحسن والهيئة والجمال واللباس والزينة والسمن.

والضر لا يتركها لحظة
دقق معانيها وأوصافها
بدون أن يجعلها قاليه
أعني بها النفس التي حيرت
والعلم لم يعرف لها ماهيه
أفكار أرباب النهى الساميه

(٦) معدومة المثال

جاءت تحييك بالوصال
وأقبلت تنثني اختيالاً
غيداء معدومة المثال
في حلل العزِّ والجمال
ربحها السكر من مدام الصِّ
تاهت على كل ذي جمال
واشتاقها الصب كاشتياق الـ
عذراء شرقية السجايا
مدرسة الأم هذبتها
ما خطرَ الحبُّ قبل هذا
واليوم جُنّت به جنوناً
لم تتلفّت إلى البعال
فأصبحت قدوة الرجال
لها بفكر ولا ببال
تخالها منه في خبال

* * *

وأها لنفس المحب وأها
وأى قلب من البرايا
تُرخص في الحب كل غال
مما تحب النفوس خال
وقال ما للهوى ومالي
جرّ فؤادي الهوى عليه

* * *

أرى حياة الوري جهاداً
يخدع فيه الفتى أخاه
في معركٍ دائم النضال
والخدع قد جاز في القتال
حتى أنا ناصبٌ حبالى
وأكثر الناس باغتيال
يقنص بعض الرجال جهراً
والنفس عند المراد تقضي

* * *

إنني أحب العراق حباً
سلكت فيه نهج اعتدال

ولستُ بالعاشق المغالي
وفي ثيابي أبو رغال^٣
من يختبر سيرة الأهالي

لستُ له عاشقًا ملولًا
وما أنا بالفتى الموالي
وهذه حالة يراها

(٧) الزمان العتيد

هاج وجدني ذكرى الزمان العتيد
وعراني من دهشة الحال ما لم
أنا من عاش في العراق غريبًا
أنا من قال في الحقيقة قولًا

وشجاني فقد السري الرشيد
يعرني في زمان عبد الحميد
أنا حرٌّ مقيد بقيود
فانتحاه مكابر بالردود

* * *

يا نديمي وأين مني نديمي
فلقد هاجني تهدم مجد
هد أركانه الزمان وأبقى
أيها الشرق هل ليومك عود؟
يا مقرَّ الإله يا معبد الكو
نهض الغرب للرقى ففاز الـ
ملكوا كل عزةٍ وثناءٍ
سبقونا إلى العلاء بعلم
ووقفنا جهلاً ونحن كسالى
نتمنى الرقى حيث قعدنا
نحسب العلم كله لفقيه
وَدَاعِينَا بِأَنَّا عُلَمَاءُ

غنني واسقني ابنة العنقود
كان في الشرق ذا بناءٍ مشيد
رسمه ندبة بوجه الصعيد
أيها الشرق مَنَّا بالوعود
ن عجب تدهور المعبود!
قوم فيه هناك بالمقصود
واختيارٍ وعُدَّةٍ وعديد
تخذوا منه سلماً للصعود
ننظر القوم من مكان بعيد
كيف يرقى إلى العلى ذو قعود؟
عارف بالركوع أو بالسجود
تلك دعوى مُحْتَاجَةٌ للشهود

^٣ هو كما جاء في الحديث، أبو ثقيف. وكان من ثمود في مكة يدفع عنها، فخرج منها فأصابته النقمة التي أصابت قومه. وعن الجوهرى والساغاني أنه كان دليلاً للحبشة حين توجهوا إلى مكة فمات في الطريق. راجع تاج العروس مادة «رغال».

لستمُ زائديه بعض مزيد
وكتبتم ما لم يكن بالجديد
هو عند اللبيب غير مفيد
ورويتم أدلة التقليد
وأكلتم مال اليتيم الوحيد
حُرِّم الخمر في الكتاب المجيد
ودعوتم للدين بالتهديد
أو حماة ولا له بجنود
فهو يجزيهم بيوم الوعيد
من نصارى ومسلمين وهود

إنما الفقه يا هداة كتاب
كتب الناس قبلكم فيه قدمًا
فأضعتم زمانكم بكلام
وإدعيتم بالاجتهاد ادعاءً
ومنعتم عن أكل مال اليتامى
وشربتم دم البريء وقلتم
وحكمتم بالكفر من نأظروكم
لستمُ عن إلهكم وكلاء
فاتركوا الناس للذي عبده
إن نجوا منكم فهم سعداء

(٨) مسير ومصير

س رويدًا فالله بالمرصاد
د ولا تنظروا إلى أفراد
م جميعًا حرّى القلوب صوادي
ما لهم غير عدلكم من فاد

أيها الحاكمون ظلمًا على النا
لا تغضوا طرفًا لدى الحكم عن فر
أوردوهم حوض المساواة فالقو
عاملوهم بالرّفق والعدل إذ هم

* * *

أي يوم تزول فيه العوادي
قد تماردوا في الغي أي تمارد
بالديانات أيما استبداد
هم إليه رمّوه بالإلحاد
نو اجتماع من دولة الأوغاد
سالفًا: دمعة على بغداد

لست أدري وليتني كنت أدري
أي يوم يموت فيه غواة
كم أضلوا عن الهدى واستبدوا
كُلّما قام مصلح ثم يدعو
فمتى يا ترى يبدد شمل
ومتى تسترد بغداد مجددًا

* * *

ب فصرت البياض وسط السواد
يعلم الله ما لها من نفاذ

يا سواد العراق بيّضك الجد
يا سواد العراق فيك كنوز

يا سواد العراق أمحك القو م وقد كنت روضة المرتاد
يا سواد العراق شلت يمين ذات إثم دلت عليك الأعادي

* * *

إن خير القريض ما كان منه يطرب السامعين بالإنشاد
والذي نظمه يقص على القا رءٍ وعظًا يذيب قلب الجماد
فهو طورًا ما بين أمر ونهي وهو طورًا ما بين حادٍ وهاد
وهو حينًا بين المآتم ناع وأوانًا بين العرائس شاد
خالِي الذكر من أحاديث لبنى وسليمى وزينب وسعاد
سلس اللفظ والعِبارة جزل مُعجز باهر كشعر زياد

(٩) لا خوفًا ولا طمعًا

تجنب الشر لا خوفًا ولا طمعًا والشر في النفس قبل الخير قد طُبعا
يسعى إلى الخير لا يرضى به بدلًا والنفس والشر منه يجريان معا
سعى أخو الفقر للعلياء مُطَلِّبًا فلم يصل نزوة العلياء حيث سعى
وأها له قد أمت الفقرُ همته إذ كُلمًا قام يسعى للعلى وقعا
أحبني وتفانى في الهوى رجل وجدت بالفعل منه الحب مصطنعا
فَظَلْتُ أمحضه نُصحي وأوهمه على هواه كأني لست مُطَّلعا

(١٠) روضة وغدير

إلى الناس نشكو الناس من سوء فعلهم فقد كثرت آثامها وشورها
أرى الشر قد عمَّ البرية كلها أكل الورى يا قوم مات شعورها؟
فلا الدين مناع ولا العقل رادع ولا العلم جالٍ ظلمةً أو منيرها
أرى الناس في هيجاء من أمر عيشهم تنازع فيها عبدها وأميرها
فكانوا ودنياهم سباعًا وجيفة تعاوت عليها أسدها ونمورها
تقدم في الدنيا فساد أخو الغنى وأُبعد كل البُعد عنها فقيرها
إذا قال رب المال قولًا تطاولت إلى وعيه من كل قومٍ نحوها

له حرمة في الناس وهي عظيمة
له الرأي متبوع له الحكم نافذ
بها الفضل مقرون بها العلم خالد
وقدر جليل لم يحزه قديرها
له شهرة كالشمس سار مسيرها
بها من شئون العالمين خطيرها

(١١) صحبي وخلاني

حب الحقيقة يُصبيني فيتركني
كم قاتلٍ وطناً باسم الحياة له
تعوّد الناس مذ صاروا مدهنة
ما كنت تلقاه من أخلاق سوقتهم
تنازعوها لبقاءٍ حيث لا ترة
يرجو الصديق صديقاً فيه حاجته
أحكي الحقيقة في سرٍّ وإعلان
فعدّ أمثاله خُدام أوطان
فهم مرءون من شيب وشبان
كذاك تلقاه في أخلاق أعيان
فأصبحوا بين أصحاب وعدوان
ويشرب الدم منه شرب ظمئان

* * *

من مخبري منكم عن حكمة غمصت
لم أبقث الشيب أحياء — وقد عجزوا
لم أوقع بكبار المصلحين ولم
إني أرى الفهم عيًّا عن حقيقتها
فحيرت كل ذي فكرٍ وإمعان
عن الحياة — ولم أودت بشبان؟
أروت كلاباً وأظمت أسد خفان؟
ولو تلقى علوم الإنس والجان!

(١٢) شئون وشجون

تطول حياة المرء ما طال ذكره
إذا كان عمر المرء ستين حجة
وما العيش في هذا الوجود سوى المنى
سعى الناس للذكرى بطرق عديدة
بقدر مساعي المرء يبلغ قدره
ومن يخدم الأوطان خدمة صادق
ومن يدفع الأعداء أو يحم قومه
وما آفة الأوطان إلا منافق
وإن الفتى من يجعل الذكر سرمداً
فعمر مساعيه زماناً مؤبداً
إذا نلت مقصوداً ترى العيش أرغداً
وكلُّ يرجي ذكره أن يخلداً
إذا هي كانت سيئاتٍ وسؤداً
يخلد له التاريخ ذكراً ممجداً
يعيش ويمت جم الفضائل أحماً
يُهيح سرّاً حين يظهر مسعداً

وأخفى له قلبًا من الفعل أسودا
لذالك على الأوطان شر من العدى
فكنا بها نلقى الضلالة والهدى
فكل امرئ منا لأصواته صدى

أبان له وجهًا من القول أبيضاً
«لعمري وما عمري عليّ بهين»
أخذنا عن الماضين أخبار من مضوا
كفى عبرة للمرء سيرة غيره

ومنها:

كما لا ينال النجح جمعٌ تبددا
إذا لم تكن باسم العراق مجردا
ولست أرى فيما أقول مفندا
لأتباع موسى والمسيح وأحمدا

أرى النجح باسم الإتفاق محققاً
ودعوتنا لا يكثر اليوم أهلها
وكل حقوق في العراق صريحة
فواجب هذا القطر أصبح شاملاً

(١٣) عوامل الحياة

يا شبابي وأهًا علاك المشيبُ
فهو واهٍ وعاذلٌ ورقيب
م فمرآه في النفوس رهيب
إن يوم المشيب يوم عصيب
قُلت فيه للذل أيضًا ضروب
فالورى في قبولها مغصوب
طلعت فيه أنجم لا تغيب
ت بها السهم كامن واللهيب
ويح رأسي عما قريب يذوب

شاب رأسي والعمر غض قشيبُ
إنما الشيب مُفسد لهوانا
إنما الشيب يبعث الهزل في الجسد
إنما الشيب للمات نذير
قيل إن المشيب فيه وقار
حالة لا يريد لها كل حي
إن رأسي والشيب فيه كليل
هي فيه نيازك ذات غازا
أشعلته بنارها فهو منها

منها:

من سمانا وأرضنا موهوب
حسناتي لدي الحبيب ذنوب
ليت شعري ماذا يريد الحبيب
أسلموني ولأعادي وثوب

ما لدينا سوى الطبيعة شيء
لست أدري وما عرفت لماذا
إن قلبي نحو الحبيب سليم
رُب صحبٍ عقدت فيهم رجائي

ومنها:

«علمونا أنَّ الحياة جهاد»
علمونا أنَّ الحياة ممت
علمونا أنَّ القويَّ بهذي الـ
علمونا أنَّ القويَّ أحقَّ النَّـ
علمونا أنَّ الضعيف بعيد
علمونا أنَّ التَّخاذل ضعف
علمونا حق الحياة لنحيا
علمونا أنَّ الجهالة عار
علمونا أنَّ الخيانة والغيب
علمونا أنَّ الطبيعة فيها
علمونا أنَّ ابن آدم فيه

علمونا أنَّ الجهاد وجوب
للذي حقه بها مغصوب
أرض يحيا وبأسه مرهوب
أس بالملك وهو عنه غريب
عن حقوق منالهن قريب
فيه تفنى قبائل وشعوب
كشعوب طريقها ملحوب
علمونا أنَّ البطالة حوب
سبة والغدر والنفاق عيوب
كل شيء تهواه منا القلوب
قوة تنجلي لديها الغيوب

(١٤) المرأة

يا زوجة المرء ويا أمَّه
ما أنتِ إلا امرأة فذَّة
إلهة معبودة تارة
تغضب في حال الرضا مثلما
لا وصلها دام ولا قطعها

حارت بك الأبصار والبصره
قد نعتتها الأمم الحاضره
وتارة شيطانة ساحره
ترضى وفيها غضب الواتره
كدولة عادلة جائره

(١٥) بنات الماء

وصف فيها طريقه في الفرات ما بين الكوفة والهندية المعروفة بـ «طويريج».

بنات الماء سيَّرها البُخارُ
جرت والطير طائرة فخلنا
وسابقت الرياح لدى مهب

بنا تجري وليس لها اختيارُ
بأنَّ الطير ليس لها مطار
فراحت لا يُشقُّ لها غبار

متى بَعُدَ المزار على سفين
ركبناها وماء النهر جارٍ
فسارت في الفرات لها صعود
تشق الماء ماخرة بعزم
فيترك سيرها في النهر موجًا
حباها العلم مكرمة وفضلًا
ولولا العلم ما ركب البرايا

وجدت لمثلها قرب المزار
كمجرى السيل تشربه البحار
كما نهوى وللماء انحدار
به بعث القوى غاز ونار
يعود به لجرفيه انهيار
وعزًّا لا الحدائد والنضار
على طيارة أبدًا وطاروا

* * *

بنات الماء مركبها وثير
يطيب لراكبيها العيش فيها
وقد هب النسيم بكل لطف
وللصفاف حيث النَّهْرُ طام
وريح تُنْعِش الأرواح طيبًا
ترى أغصانه والريح تجري
تجور الريح عادية عليها
لأن يد الطبيعة أسلمتها
وقد أفنى القويُّ به ضعيفًا
وأحسن ما تراه هناك عين
فتحسبهم وقد ركضوا وقوفًا
هناك الحال تملأنا سرورًا
مضى الزَّمن القديم غداة فيه
ووافى دهرنا الحالي بما لم
عجائب تُعجز الشعراء وصفًا

وليس لسيرها عج مثار
إذا ما الشمس حجَّبتها البخار
كجان قد أتاك له اعتذار
على جنبيه زهو وازدهار
كأن مهبَّها مسك وقار
لها ثمَّ انكسار وانجبار
وليس لها على الريح انتصار
إلى عيشٍ به القدراء جاروا
وفاز به على القل الكثار
إذا سارت ومن في الأرض ساروا
يُقْلُهُم جواد أو حمار
وتُضحكنا لما صرنا وصاروا
يُقْلُ الركبَ من إبل قطار
يكن من قبلُ فيه لنا افتكار
وفي الأشعار ليس لها انحصار

ومن رباعياته ومسدساته قوله:

غاية المرء انتفاع
وإذا لم يبعِجِ نفعًا
في وقوف ومسير
فهو من غير شعور

* * *

أكثر الناس رعا
وترى الجهل كثيرًا
وهُمُّ من كل هذا
وقليل عقلاء
عند من هم أغنياء
شرفاء وجهاء

* * *

شاعر قام يُغني
أيها الشاعر مهلاً
كاتب يكتب منا
ومن البلوى تراه
وهو لم يدِرِ الغناء
قد هتكت الشعراء
وهو أعمى في الكتابة
يدّعي فيها الإصابة

* * *

عبد الناس إلهاً
طمعاً فيه وخوفاً
ما رأوه ورأهم
منه هل يخفى هواهم

* * *

يُنهض الشعبَ رجالاً
يجبهون الخصم جبهًا
لا يهابون الرجالا
ويردُّون المِقْبالا

* * *

طالب يطلب علمًا
قبلما من كل شيء
وهو غرُّ ذو سفاله
أصلحوا يا قوم حاله

* * *

قيل إن الروح شيء
قلت هذا يتراءى
خاضع للوسطاء
لعقول البسطاء

* * *

ليس في الأرض سلام
حيث أهل الأرض طُرًا
يا محبًّا للسلام
كلَّ يوم في خصام

* * *

إنما الدنيا حياة وممات وخلود
فإذا ما مات حيٌّ فهو هيهات يعود

* * *

مَيِّتٌ نبكي عليه حينما نقتل حيا
أتظن الأمر يبقى أبد الدهر خفيا

نفسِي تدعوني إلى مطلب والعقل قد حدثني قائلًا
وحيلتي تقصر عن نياله ولا يستفيد اليوم إلا إمرؤ
وقد وجدت الصدق في قوله حيلته أكثر من حوله

* * *

الناس من دنياهم في عذابٍ وأحبهم على ماله
وهم لها طرًّا كثيرًا والخلق تهوي من به مطمع
وصاحب المال كثير الصحاب حيث تلقى الدبس تلقى الذباب

* * *

وسائل يسأل عن مبدئي فلم أشاهد غير ما حالة
فقلتُ إنني رجل أسوئي خبرتُ دنياي وأبناءها
مُنذ نشأتني خبرة مستقرئ أرتني السوء بكل امرئ

* * *

للناس غايات ولكنها ليس له بصيرة باصره
جميعها نحو الهوى سائره وكل من يسعى بلا غاية

* * *

كل امرئ أصبح في نعمة وحاسدوه لا يحبونه
يكثر في العالم حُساده لكنهم مع ذاك عُباده

* * *

نلت الغنى والفقير دهرًا فما تغيرت لي حالة فيهما
نفسِي نفس الحرِّ إن كنت ذا مالٍ وإن كنت امرءًا مُعديما

* * *

وصاحب صاحب وجهين قد عوَّد النفس على المين
عاشرته ردحًا فشاهدته صاحبه صاحب وجهين

* * *

لا عيش للأوطان إن قلقت أفكار أهليها من الذعر
تحيا البلاد وتستقيم إذا ساد الأمان بها مع اليسر

* * *

ولي وطن يعذبه أناس بدعوى أن قصدهم شفاؤه
ولو تركوه يختارُ المداوي لأصلح حاله ولزال داؤه

* * *

وربَّ أناسٍ يُظهرون مودتي ويخفون لي أفعى حدادًا نيوبها
أقابل بالإحسان سيئ فعلهم سجية حُرِّ لم أزل أستطيبها

* * *

أرى الفقر يرمي المرء في كل محنةٍ ويخفض أرواحًا رفيعًا جنابها
وما الفقر إلا آفة دنيوية يموت الذي عضته في الدهر نابها

* * *

أرى الشر ما بين القمار وخمرة أسبخ من السم الذعاف شرابها
هما آفة الأموال والعز والحجى وحين نفوس لا يحين نهابها

* * *

إنَّ داء الشرقي وهو عضال راسخ في العظام والأعصاب
بشَّره واستياؤه ورضاه وبُكاه لأتفه الأسباب

* * *

أيها القائلون بالسلم فينا ما لكم بينكم تُثار الحروب
إن فسدتم أنتم فمن يصلح الحا لَ وقد غاب شارع وطبيب

* * *

أمل المرء في البقاء طويل ليس يقلوه لو أسنَّ وشابا
كُلَّما طال عمره وغناه زاد كبراً وشحة واكتسابا

* * *

أهوى العراق وأهليه ولا عجبُ إذا انتقدتهمُ جهدي وتمكيني
إني أحب لهم خيراً ومصلحة والخير فيمن على عيبي يُقاضي

* * *

إني أرى العيش في أرض سوى وطني إذا رحلت إليها اليوم أصفى لي
والعيش في بلدٍ قل الرفاق به خير من العيش بين الصحب والآل

* * *

الحياة معترك للورى ومضطرب يغصب القوي بها
والضعيف مغتصب

* * *

الجميل يصنعه من له به أرب والإله يععبده
من يُخيفه اللهب

* * *

كل فعلٍ قيل عنه إنه شيءٍ قبيح فهو لا شك بعيني
مُتعاطيه مليح

* * *

أكثر الناس عبيدٌ لذوي المال الكثير فكأنَّ المال فيه
قدرة الله الكبير

الجزء الثاني

بيان موجز

بين يديك، الجزء الثاني من قسم المنظوم من كتابي «الأدب العصري في العراق العربي»، وهو — مع شقيقه الأول وصنوهما الجزء الثالث الذي سيأتي — يمثل الشعر العراقي العصري أحسن تمثيل، ويبيِّن أساليب شعرائنا وأغراضهم ومناحيهم فيما ينظمون، وهذا قصدي من الكتاب فحسب.

بغداد، ١ كانون الثاني ١٩٢٣

رفائيل بطي

ملاحظاتان

(١) جاء ترتيبُ الشعراء في الجزء الأول وهذا الجزء والذي يليهما حسبما خُيِّل لي، ولم أتعمد تقديم الواحد على الآخر أو المُفاضلة بينهما، إنَّما أودعت ذلك كتاب «نقد الأدب العراقي العصري».

(٢) يجد المُطالع في قسم المنظوم تفاوتاً في شعر المترجمين، ومراتبهم الأدبية، وقد سوَّغ لي هذا العمل الغرضُ الذي قصدتُ إليه في الكتاب من تمثيل صورة مُجسَّمة للأدب العصري عندنا.

المؤلف

علي الشرقي



علي الشرقي.

غصنٌ من الأغصان العراقية، نبت في حقل النجف الأشرف من بيتٍ عريقٍ في العلم والفضيلة، وقد مرَّ عليه — يوم كتابة هذه السطور — من العمر ٣٣ ربيعاً قضى زهرتها

في التزوُّد من زاد الأدب، والتروِّي من أعذب مناهل الفضل، ولم يتلقَّ دروسه من أستاذ، لكنه نشأ يتيمًا فتتلمذ على المحافل الأدبية وجمع أكثر مادته من مُحاضرات الفُضلاء ومُطارحتهم في المواضيع العلمية، وقد تعاطى النَّفس المصري فنظم فيه ورقم، غير أنه اختار منذ أكثر من سنة إطفاء نفسه بعيشة الانقباض والعزلة، وربما نفث في زاويته بعض نفثات لا يرى مجالاً لنشرها اليوم.

وللمترجم آثار نفيسة بين منثور ومنظوم، منها:

- (١) الغراف والطبايح: وهو كتاب تاريخي أحصى كثيرًا من الآثار العراقية المنسية.
- (٢) نكت القلم: مجموعة مقالات في الأدب والأخلاق والاجتماع.
- (٣) قيد الشوارد: مجموع لغوي نفيس.
- (٤) ديوان الشرقي: يتضمَّن مجموع ما نظمه الشاعر في الأبواب المتنوعة.

وإليك نخبة من شعره:

قصيدة

وأشفقت يلذع خدَّ الحبيب فوَّأدُّ على وجنتيه التهبُ
وما التهبت قطعات القلوب ب إلا لتسبك هذا الذهب
دنت لا دنت منك كفُّ المشوق إذا كان صدغك منها اضطرب
على الرِّفق أيتها الماشطات فما بين طياته قلب صب
فوَّادي وماذا يكون الفوَّاد فلو كان من صخرةٍ لانشعب

* * *

ألا رحمة تدرك الساخطين فتثمر عفواً سياط الغضب
من الدين أن نتعاطى الجفاء؟ ومن أدب النفس هذي الريب؟
وما افترق الدين والاجتماع لو اعتنق الناس دينَ الأدب
لقد صدئتُ بالنفور القلوب تعالوا لنصقلها بالعتب
خليليّ مثل جناحي حمام أعينا وهبًا إذا الشوق هب
يدًا بيد لا المَعين الزلال مشوبًا ولا الملح فوق الركب
سلا من يدين له واحدًا ومن قد يدين لإبن وأب

متى كتب اليأس للبائسين وفي أي لوح ومن ذا كتب؟

* * *

ولي صاحب هل صحبت الخيا
مسحت الجفون له خافقًا
ويثملني العربيّ الصميم
أحب الجميل وأهل الجميل
فيا لك من أمةٍ أوجفت
وكم بثّةٍ لي في ضيمها
إذا حفظ الله أخلاقها
ولو أستطع درء آلامها
ولا بُدّ في العمر من صدفة
ل لم تلتفت عنه إلا ذهب
مضى لا مضى حلماً مقتضب
إذا عب لي أدبًا وطرب
ليبقى الهوى وليحيّ العرب
ولم أتّهم صدرها بالرهب
وقد ذهبت حكمةً في جرب
فما ضائر أن تضيع الرتب
درأت ولكنّ رمحي قصب
تعلم نبعك كيف الغرب

عبرة الشرق

لفحت أمانينا الزمان فليلةً
أمّا ضماد الجرح فهو مؤمل
بعد المدى يا راكضين تمهلوا
حاولت أخطفها أمان أفلتت
يا راقدي الليل التمام نعمتم
إني طرحت القلب بين رباعكم
ولقد نفضت من الوثوق أناملي
أنا يا حمامات الأراك مُغرّد
طوباكِ خلصك الجناح فما استوى
حبلى مؤمّلة ويوم يطلق
لكنّما ألم الجروح محقق
وأبى الوفا يا ظافرين ترفقوا
هربًا وتلحقها اليدان فتصفق
بالأ لعل بقربكم من يشفق
ليكون عندكم فؤاد يخفق
من ذا يحط يدي على من يوثق
لكن برغم حلاك لا أتطوق
روحٌ مُقيدة وروح مطلق

* * *

نطقت بحاجتها الشعوب وأفصحت
وكأنّ هذا الشرق سفر غرائب
ختمت صحائفه وجئنا بعدها
وأرى عراقي واجمًا لا ينطق
شرحوا عليه الدارجون وعلقوا
حتى كأننا فيه فصل ملحق

يا مغرب الشمس المشتت فاستفد
لا بد أن تلقى جزاء مطامع
هذي قضايا الشرق في تاريخه
عشقت بنو الشرق البلاد فمسّها
نهضت فأسقطها النهوض وإنما
درسا أفاض به عليك المشرق
أمم تبدد شملها وتمزق
أنذر بلادك أيها المستشرق
شره فبدد شملهم فتخرقوا
للضعف آخر قوة تتفرق

قصيدة

الدمع عاطفة يجيش بها الأسي
قلق الجفون وقد أروح بالبكا
ما هذه العبرات إلا زفرة
تتعلق الأمداب في أذيالها
أخشى عليها أن يصدعها الثرى
درس الصبابة كم قرأت بلوحي
فصح الشعور به ولم أك شاكيًا
في النفس أشياء فهل من موضع
ما أكثر الشوك المؤلم للحشى
عمّ البلى فلو أنّ طوفانًا أتى
من كل من ملأ الضلال رداءه
فلأنصحن قومي وإن جلب الردى
قالوا الصحيح نرى فقلت تفقأت
وتسلفوا بشرى برجعة يوسف
يا ديمة الإصلاح رشي موطني

لتراوح الأشجان أو لتريحا
عينًا تسيل مُعذبًا ومريحا
بردت فعاتد مدمعًا مسفوحا
حرصًا وينقضها البكا لتطيحا
دررًا فأرخی عقدها تسريحا
عبرًا ووحيا للعواطف يوحى
إلا لكوني شاعرًا وفصيحا
حرّ الفضاء لأشتكي وأبوها
في ذي البلاد وما أقل الشياحا
هذا الورى لم يُبق منهم نوحا
والإفك يملأ ثغره تسبيحا
فالعود يحرق نفسه ليفوحا
عين ترؤن بها السقيم صحيحا
إن يصدقوا فلينشقوني الريحا
فعساه يُنبت مصلحًا ونصيحا

على نهر الغراف

زهو القصور ونزهة الأرياف
تلقى الحضارة والبدواة عندها
غرف مطلات على الغراف
بإزاء أفرع أو بجانب طراف

أنفت على الأحقاف فهي مدلة
نهضت على حمراء دجلة زانها
بمحلة الأغصان أحلف أنّها
شالت نوافذها كعين مُلاحظ
معمورة الأطراف كم من ليلة
والنهر مضمفورُ السلاسل فلّه
يجري وتصدعه النَّسائم صدفةً
ملآن إن ركد النسيم تخاله
قمر السما لك فوق دجلة منظر
وكانَّ دجلة شعلة وهَّاجة

* * *

يا ماءً أهلك مجفون فإن تُطق
أما المروءة فهي آخر عهدهم
فلو استطعت نزفت دجلة ماءها
عذب النطاف وما وجدتك في فمي
تقسو قلوبهم وقلبك ليّن
ولقد سقطت على القلوب وحبها
وقد استقاك قريبنا وبعيدنا
البدر مطّلع عليّ بأنني
في ذمة الأشراف ضيعة أمة

* * *

يتنابثون تديُّناً وتمدناً
والزرع زرع تشتتٍ وخلاف
من دون قسيس ودون صحافي
الدين والوطن العزيز مُحِب

قصيدة

كيف أصبحتِ فافصحي يا بلاد
أسكون كما هدأت مساءً
ملأت ألك الفضاء عجيبيًا
يا ضريح الآمال حولك حرنا
زيّن الدارجون منك بلادًا
آه ما أكثف الحجاب يقينًا
يا ركاب الأرواح قبلك ركب
لم يحلوك عقدة تشغل الفك
ما أضلّ الإنسان ينثر في الأر
نوهته قساوة وبلاء
لم تزنه اليدان إلا ليُهدي
سلبت رحمة القلوب أمان
حلم خدر المشاعر منهم
تأمن الشاة في السراح وبين النَّ

فيك ما يعقد الرطاب الفصاحا
أم ضجيج كما انتبهت صباحا
ما استبانته تهللاً ونياحا
أن بعثنا الرجا دفنت النجاحا
بوسام الحمى فعاد مباحًا
رفرفوا حول ثغرها أرواحا
رائح أنت فاستبن أين راحا
ر فهل لازم السرى أم أراحا
ض بذور الشقا ليلقى الفلاحا
لقبوها شجاعةً وسلاحا
للبرايا تصافحًا لا صفاحا
ألبسوها مراهفًا ورماحا
فتلاشوا تنازعًا وكفاحا
اس لا يأمن الضعيف سراحا

رثاء عرس

وقد ماتت العروس في زفافها كما تُختطف الوردة.

شمعة العرس ما أجدت التآسي
أنت مثلي مشبوبة القلب لكن
يا رعى الله للزفاف شموعًا
عكست حظها الليلي فذابت
هكذا ناب باحتراق فؤادي
جلوة أم مناحة لنجوم
الرجا كان شمعة فتلاشى

أنت موقودة ويُطفأ عرسي
من سناك المشئوم ظلمة نفسي
يتهافتن حول نعشٍ ورمس
خجلًا تسقط الدموع بهمس
هكذا سورة الدموع برأسي
يتناثرن بين سعد ونحس
وانطفاء صدم الرجاء بيأس

* * *

أجلفت دهشة المصاب الغواني
تتبارى بخشية وانصداع
كنجوم تكدرت فتهاتوت
فوجئت بالبكا ومذ جمد الدم
أبدلوها عن المنصة نعشاً
وترى نعشها كباقة ورد
رقدت رقدة النديم بجانب الـ
وبحضن الربيع أغفت فماتت
وفرقت حولها البلابل خرساً
حزن وإدٍ وارى شبابك أن لا
أسفاً يُخرج الربيع الرياحيد
وكثير في ذا التراب رياحيد

فتطالعن من ستور الدمقس
تطأ الأرض بارتباك وهجس
من سماء إلى حظيرة قدس
مع تباكين باحورارٍ ولعس
طالما ضمَّ رب عرشٍ وكرسى
تتهادى الأكف فيها بخلس
كأس في ساعة ارتياح وأنس
ميتة الورد في ذبول ويبس
وبكاها نزع الحلبي بجرس
ينبت الورد فيه من كل جنس
من من التراب وهي في التراب تمسي
من تعطلن عن نبات وغرس

قصيدة

يا وحشة الخل الذي
مل الوساد من الهمو
ما حنَّ في الحي امرؤ
أأخيَّ يا نفس الربيب
كبدي وما كبدي سوى
للكاك أشتاق العراق
ذكراي أنت وإن غدت
أعتاد تنغيص الحياة
ما بال ربك يا وفا
وأبو الخطية آدم
عنكم طواه بعباده
م وملَّ منه وساده
إلا ورنَّ فؤاده
مع إذا زكت أوراده
جرح وأنت ضماده
فأنت لا بغداده
ذكرى الغريب بلاده
جفاك لا أعتاده
قليلة عباده
وتعدَّبت أولاده

قصيدة

إن تنسني يا لا نسيـ
هل أنتِ ذاكرتي وفي الذُّ
خفق الفؤاد إلى لقا
خمري وذكري أنتِ في
إني أشمك في الورو
هذا حنيني للحبيـ
نبتت عليه مغارسي
لا سامح الله الهوى
يا غابر الأيام كم
هذي المنازل للشقا
كل البيوت لباطل

تِ فهذه ذكرى مشوقِ
كرى وفاء للصديق
كِ فهل فؤادكِ في خفوق
كاسي وفي الصوت الرقيق
د وأشتهيك مع الشقيق
ب وذا وفائي للرفيق
وعليه قد وشجت عروقي
فلقد تسامح في حقوقي
من جفلةٍ لك في الطريق
ء فكيف منزلنا الحقيقي
والحق في البيت العتيق

قصيدة

طابت نفسي بالقلبيـ
والدهر حلو كُله
كم حسرةٍ في صدره
كذب التظاهر كفتا
يا نادبين تصبروا
للنفس سير دائب
لي نشأة ما بين تسـ
كانت حياة وانقضت
وكذا حياتي هذه
تطوى وأصبح بعدها
ميلادنا ومماتنا

لِ وإن كحل العين ذرّة
لكن نفس الحرّ مرّه
يا ساعد الرّحمن صدره
ميزاننا عجز وقدره
كم تندبون ثرى وصخره
بحياتها والموت فتره
عة أشهرٍ مرّت وعشره
لم أدرِ عالمها وذكره
بعد السنين المستمرّه
في نشأةٍ أخرى ونشره
ونشورنا أنواع طفره

قصيدة

كالورد يُرجعه الربيع الثاني
خُضراً يردُّ لِي الشبابَ الفاني
يبست وباقٍ عطرها لزمان
كالعود ينشر طيبه بدخان
وكساه ريعان الصبا وكساني
فكأنما يسقيه باللمعان
مثل اصطباح الورد في نيسان
مُتعثراً بكمامم الرياحان
للزهر أو لطف من الرحمن
قد علقت بذوائب الأغصان
زهراً وشد مأزر الكثبان
نصت سوائفها على غدران
نهضت بقنزعةٍ من الشيطان
مُتجبراً يزدان بالطغيان
بتفاوت النفحات والألوان
نبتت لتنشقنا شذى الأوطان

خير الربيعين الشباب فليته
ليت الذي ردَّ الغصون وقد ذوت
أو ليت عافية الشباب كوردة
إني وبالחסرات قضيت الصبا
نهض الأراك وقد نهضت بجانبه
ريان يشربه الصباح نضارة
وعلى الوجوه من النسيم ذكاوة
نفس الربيع جرى على ماء الصبا
والصبح يهبط منه روح منعش
والجلنارة حلية ذهبية
والنبت عمم صلح هامات الربى
والنخل حول النهر مثل عرائس
وجذوعها أشباح جانٍ مارد
وجرى الفرات جماله بجلاله
يتفاوت الإبداع في زهر الربى
ما هذه الأزهار إلا تربة

من قصيدة

أمرعية للخليل العهد
وقلب تحرك فيه النشيد
وريحانكم لا الربيع الجديد
بقلبي فقلبي قريب بعيد
فهيها هيهات قلباً تعود
وعادت بدون الشقيق الورد
وتبقى شمائلنا والركود

أناجيك والليل مصغ صموت
فضاء تحرك فيه النسيم
نسيمكم لا نسيم الصباح
حبيبي ودون الحبيب القفار
ويا قلب صرت دماً بالفراق
شقيقي برغمي عاد الربيع
وصعب عليَّ يهب الشمال

الأدب العصري في العراق العربي

كما ذبل الورد أيا منّا تقضت وفيهن عطر شديد
فللمنظر الحلو تبكي العيون وللرونق الغض تبكي الخدود

* * *

ألا نابغ لحياة البلاد فينبت فيها الجديد المفيد
عسى يتحرك فيها الرجاء فما أحر الشرق إلا الجمود

محمد الهاشمي



محمد الهاشمي.

هو أنبغ فتيان العراق في المنظوم، يتطَّلَع له العارفون إلى مستقبلٍ مجيدٍ في عالم الشعر، عشق الأدب ونبه فيه يافعاً، فسبق كثيرين من الشبان والكهول ممن يتعاطون هذه الصناعة. وقد أخذ ينسج على طراز الشعر المنثور في بعض كتاباته، عقيب عودته

من القُطر المصري. وهو في منظومه أجود منه في منثوره، كما أنَّه في كتابته أصح الشباب وأمتنهم.

وُلد محمد الهاشمي في بغداد حيثُ تقيمُ أسرته سنة ١٨٩٨ م، وهو محمد بن يحيى بن عبد القادر ينتهي نسَبُه إلى الشيخ علاء الدين الحموي الشهير المعروف بالشيخ علوان صاحب المؤلفات في فقه الشافعية والتصوف، له مزار معروف في حما. تعلم في صغره القرآن الكريم على أبيه، ثم درس العربية وعلومها على أخيه الأكبر حتى أتقنها، ودرس كذلك على عِدَّةٍ من علماء بغداد، وابتدأ ينظم الشعر وهو في الثانية عشرة من عمره.

دخل المترجم سنة ١٩٠٨ مدرسة الكرخ الرشدية، وقضى مُدَّتَها الدراسية، ودخل مدرسة بغداد السلطانية سنة ١٩١٢، ولم يعجبه التدريس ولا التعلُّم في بغداد؛ لأنَّ لغة التعليم كانت يومذاك التركية، والفتى شغوف بالعربية مستهَامٌ بمحاسن آدابها، ثم إنَّ الحكومة التركية دعتَه إلى المحاكم وهو فتىٌ لنظمه قصائد زعموا أن فيها خروجًا على السلطة وحُكْمٍ عليه بالسجن، وما لبث أن خرج فهمً بالسفر إلى مصر، وفي أواخر سنة ١٩١٣ م هاجر من العراق إلى وادي النيل فحلَّ في القاهرة تاركًا أهله وأسرته.

مكث الفتى الهاشمي في القاهرة من سنة ١٩١٣ إلى سنة ١٩١٩ يطلب العلم في الجامع الأزهر؛ فسئمت نفسه طريقة الأزهرين في التعليم، ونال سنة ١٩١٧ الشهادة الأهلية من الأزهر الشريف، فدخل الجامعة المصرية، ثم إنه اضطرَّ إلى الخروج من مصر لما نشبت الثورة المصرية، وكثرت القلاقل في البلاد فغادرها إلى بلاد الشام، ومكث فيها إلى سنة ١٩٢٠ م، ثم عاد إلى مسقط رأسه بغداد.

ولما عاد إلى العراق عُيِّنَ أولًا كاتبًا في وزارة الدفاع، ثم نُقل إلى الديوان الملكي كاتبًا كذلك، وما لبث أن اضطرَّ إلى الاستقالة. وقد دخل مؤخرًا مدرسة الحقوق البغدادية، ولا يزال فيها إلى حين كتابة هذه السطور.

كانت حياته المدرسية مُضطربة، لكنَّ ذلك لم يثن عزمه عن التقدُّم في فن الأدب، فاستقام على الاشتغال به وبخاصة بالنظم فتقدَّم، وهو كلما نظم قصيدة أحس بتقدُّمه في هذا المسلك.

وشعر الهاشمي رقيق تشعر فيه بالعاطفة والإحساس الدقيق، كما يستعذبه اللسان لسلاسته وسهولته، ويجد المتتبع لمنظوماته أن بين جنبيه روح الشاعر الكبير؛ لذلك يُؤمل له عارفو أدبه مستقبلاً مجيداً في هذا الباب، وهو يحب أن يداني العصريين في نظمه مبتعداً عن الطرائق القديمة، ويرغب في الإكثار من الشعر الحزين «التراجيديا» في حكاياته أو شعره القصصي الذي سيكون له منزلة إذا عُني به وتقدّم فيه.

(١) مؤلفاته

(١) عبرات الغريب: هي الجزء الأول من ديوانه، طُبع في دمشق الشام بعد الحرب الكبرى، مُحتويًا ما نظمه الشاعر الشاب من حادثته إلى سنة ١٩١٨م، وفيه كثير من جيد الشعر.

(٢) ديوان أراجيز العرب: جمع فيه مئاتٍ من الأراجيز التي عثر عليها في مصر وسورية والعراق.

(٣) ديوان ابن الدمينة: وقد عُني بشرح ديوان عبد الله بن الدمينة، وطبعه مع السيد محيي الدين رضا لما كان في مصر.

(٤) الجزء الثاني من ديوان الهاشمي: وهو الجزء الثاني من ديوانه، لم يُطبع بعد.

وله بعض المقالات نُشرت في مجلة المقتطف وغيرها، وقد أصدر في هذه السنة «مجلة اليقين» في بغداد، وهي جامعة بين الدين والعلم والأدب.
وإليك نبذة من شعره:

اليتم الباكي

إلى كم أنت تكتب بالدموع	رواياتٍ عن الخطب الفجيع
على قلبي دموعك نازلاتٌ	ألم تره يدقُّ من الدموع
كأن وقوعها جمرات نار	أحر من الصهير على الضلوع
دموع قد أفاضتها عيون	بها لليتم آثار الخشوع
إذا أجهشتُ أجهش لي فؤاد	يُطاوعني على الألم الوجيع
أرقُّ من النسيم هوى وعطفًا	أبِّي الطبع للزمن الفظيع

يؤاسي كل ذي حزن بحزن
ولو حمّلتَه قسطاً ثقيلاً
ولو تشفي الدموعُ غليلَ قلب
على الزمن الذميم قد التقينا
زمان فاز بالقدح المعلى
وفزنا منه بالقدح الخليع

* * *

سألقي نظرةً مُلئتُ حناناً
يعيش الأغنياء على رخاء
تنام عيونهم بالليل لكن
نشاوى بالغنى سحبوا ذيولاً
نسوا البؤساء في الدنيا جياً
لكلّ من بنيتهم ألف ثوب
أناموهم على بيض الحشايا
وأطفال على الأوساخ ناموا
وليس لهم سوى الدعاء فرش
يُقضون النهار طوى وجوعاً
أحاديث الشقاء لهم عزاء
ويضرب منهم ذو السقم عياً
قد انتجعوا فخانتهم قواهم
رأيتُ اليتيم ذنباً لليتامى

* * *

مضى أهلي وعرضني زمني
يتيم ليس يعرفني قريباً
أبي! أمي! علامَ تركتُماني
أجيباً دعوتي، أنا مستغيث
لقد همّما بيوم نوى قذوف
يُعاوده التذكُر كل حين
لفتك من مصائبه ذريع
ولستُ على الشقاء بمستطيع
ضعيف مطامع وقصير بوع
وليس سواكما لي من سميع
ولكن لم يهما بالرجوع
فيُغضي طرف مبتئس وديع

تذكّر أمّه وأباه يوماً
له قلب، وليس له لسان
مضى أبواه قد تركاه طفلاً
فأسبل ديمة أخذت بروعي
يُطاوَعه على الدمع المطيع
ترعرع قبل أيام الربيع

* * *

تخرق بعد فقدكما لباسي
وصرت كأنني حمل غريب
وحيد في فلا متباعداتٍ
يجوع فينتحي رعيًا قليلًا
نعم! إني غريبٌ في فلاةٍ
وفقد والدين أشد وقعًا
وأي تغربٍ كهلاك أهلٍ؟
وأقدامي بها أثر السلوع
به انبت الطريق عن القطيع
تراميه إلى الكلاء القشيع
ويرجع بالعفاف وبالقنوع
ولكن ماكث بين الربوع
عليّ من التغرب والشسوع
فمن أم قضت وأب صريع

* * *

وهل لي مثل أمي من مربّ
وتقبل إن بكيت لها بوجه
وتكسوني إذا رثت ثيابي
وتحملني على يدها وتحنو
فلا حبُّ كحبِّ أبٍ وأمّ
كأنني قطعة من روح أمي
وعاطفة البنوة ذات سرّ
إذا رُوغتُ كانت لي ملاذًا
ويسعدني على جزعي بكاها
تطاوعني إذا سرت الهوينا
أتيه تدللاً وأميل عجبًا
تخاف على ابنها من كل شيءٍ
تمسح وجنتي من الدموع
ضحك الثغر كالصبح الصديع
وتسقينني الحليب من الضروع
عليّ بقلبها الشاجي الولوع
ولا قلبٌ كقلبهما الهلوع
كأنني قلبها بين الضلوع
خفيّ ليس يُعرف بالشيوع
تزيل الهم عن قلبي المرُوع
كماطرة على الروض المريع
وتتبعني على السير السريع
ويُعجبها عطائي أو منوعي
فتحملة على كوع وبوع

* * *

وكان أبي على عيشي حريصًا
فلما عشت أذن بالصدوع

وكم قد برني وأقام ميلي
أقام عليَّ خدامًا وأبقى
وأدخلني المدارس واصطفاني
وكان يقود رهطًا من جيوش
جرت في الحرب معركة عوان
وشد أبي أمامهم بقلب
فصادفت الرصاصة عارضيه
تذكّرني على حين احتفاء
ففاضت روحه وغدا طريقًا
وغادرني يتيماً بين قوم

* * *

حملت أذية في شرخ عمري
ألا يا ليت أُمي لم تلدني
تجلّد يا بني فإنّ قلبي
فليس على أبيك الذنب لكن
أبوك حماهم شرّ الأعداي
وتلك جناية تقضي عليهم
نسوك وما نسوا حرباً ضروراً
فلا تجزع فكل فتى سيلقى
عليك أمانة الوطن المُفدّى

أشدّ عليّ من سُمّ نقيع
ولم أشرب أحاليب الرضيع
كقلبك في التألم والفجوع
على قومٍ أساءوا في الصنيع
ولم يحموك عن عُري وجوع
بذلّ للشريف وللوضيع
أصابتهم بدهاية زموع
مكاناً في السفوح وفي اليفوع
وفيك بقية الشرف الرفيع

الفتاة المخدوعة والشرطي الأتيم

يا أم عرضي لا جاهي ولا مالي
يا أم موتي أولى بي إذا افتضحت
يا أم إنني أخشى أن يُخادعني
خذي الموثيق منه أو خذي قسماً
إنّ الشباب الذي أغواك رونقه

إن لم أصنه فلا رعياً لآمالي
بين النساء جنياتٍ وأفعالي
بالحب يا أم هذا حب محتال
بأن يبرّ علينا حلفة الآلي
والله يا أم لا يبقى على حالي

ألم تَرَيُّ منه ما يكفيكِ تجربة
الشيبِ علِّمكِ التفكيرِ فاتخذي
وحكمة عند ذكرى عهدك الخالي
ما شئتِ من عظة منه وأمثال

* * *

تبسمت وهي كالسعلة ساخرة
قالت: فتاة أضاعت رشدها سفهاً
واضيعتي! بعد عمرٍ قد وقعت به
دعي ابنتي هذه الأفكار واتئدي
وهل سمعتِ بأم تخذع ابنتها
ماذا يُريبك منه؟ إنه لفتى
زين الشمائل يسبي القلبَ منظره
لو لم يحبكِ حب الصدق كان له
وأدبرت بمُحيا وجهها البالي
تُريد تفنيد آرائي وأقوالي
على تجاريب إِدبار وإقبال
فإنَّ غَشَك لم يخطر على بالي
كيما تبيت على حزنٍ وبلبال
مؤدب النفس لا جافٍ ولا سال
يُحدِّث العين عن فضل وإجلال
عُذر بهجرك هجر المعرض القالي

* * *

بيننا هما في جدالٍ مُفحمٍ فإذا
نادى: فلان ... أجابته العجوز نعم
فقام كالذئب يشكوها صبابته
يقول إنني محب! وهو ذو كذب
أحب أسماء! بل إنني سأعبدها
بصالح جاء يمشي مشي مختال
ادخل فديتك ... أغلقها بأقفال
ويملاً الجفن دمعاً ليس بالغالي
مالي أطعت هوى في القلب ما بالي؟
عبادة الله أبكاري وأصالي

* * *

خفف عليك — أجابته العجوز — فما
إنني سأنصحها كيما تحبك من
أراك تعشق بنتي عشق أنذال
فؤادها إن بنتي ذات إهمال!

* * *

عادت إلى ابنتها في البيت تنصحها
كأنما البنت قد جُنت! فقد أخذت
يا أم لا تغضبي إن كنت صادقة
حيث التفتُ أرى نفسي تعنفني
أرى أمامي أشباحاً تُروِّعني
فقابلتها بإجهاش وإعوال
تهذي بأقوالها من خلف أسدال
إنِّي أحاذر إغوائِي وإضلاي
أرى أمامي ظلاماً مثل أجبال
أرى أبي بينها يُوحى بتعدالي

يا أمي! يا أبي! فانظريه فهو ذاك أتى
يا أم إني أرى ما لا تَرَيْنَ فقد
لا تأمنيه على عرضي فمُنِيته
يا أم يُنذرنِي ليلاً بأهوال
علمتُ أَنِّي سأكُسى ثوبَ إندال
بلوغِ شهوته مني وإغفالي

* * *

قالت لها أمها: ما أنت مرشدتي
مجنونة أنتِ قبل اليوم فاتبعي
لقد علمتُ بما في نفسه فدعي
يريد جعلك يا بنتي حليلته
فإنه شُرطِي في حكومتنا
السوط في يده من فضةٍ وله
ما كان أرشدني عن رأي أطفال
رأيي ولا تزعجي قلبي بتسألني
إليَّ أمركِ واستهدي بأعمالي
من يومه فابشري بالمنصب العالي
على جنودٍ من الفرسان أبطال
مسدس بنضار خالص حال

* * *

كانت فتاةً عن الفحشاء طاهرة
بكر رداح لَوَّانَ الناظرين رأوا
لا تعرف الإثم من طُهرٍ ومن أدب
تبكي إذا عدلتها أمُّها حزناً
نجيبة ذات أعمام وأحوال
جمالها اتخذوه أيَّ تمثال
ولم تجر على ريب بأذيال
وأما أولعتُ بالقيال والقال

* * *

دعته: يا صالح ادخل قد قنعتُ بما
هذي ابنتي فهلّمَّ اخطب مودتها
رأيت أسماء أمست غير راضية
تعال إنك منا صرتَ ذا نسبٍ
أكدت من وعد صدقٍ غير إعضال
إني رضيتُ بكثارةٍ وإقلال
مما تحاول من ريثٍ وإمهال
أنعم بصهر كريم النفس مفضل!

* * *

فجاء من غرفة بالدار مظلمة
فقال ادخل إليها ... وهي خارجة
غداً سيعقد شيخ الحي مهركما
إليهما ساحباً أطراف سربال
وكن به من زواج ناعم البال
غداً سندعو سراة القوم والوالي

* * *

أصابها وظلام الليل معتكر
ما كان يُسمع إلا جرسُ خلخال

خلا بها فدعاها وهي قائلة: ألا مُغيث فراغته بولوال
فكمّ فاها بمنديل وهددها بالقتل حتى قضى أمرًا بإعجال
وجنّاية كان هذا الأمر أولها وكان أفضح منه الحادث التالي
وحين لاح ضياء الفجر ودّعها وقال للأمّ عندي بعض أشغال
أزورك في مساء اليوم فانتظري عودي فإنّي مأمورٌ بأعمال
ولّى فعرض على أطراف أنمله غيظًا وقال بلغت الآن آمالي

* * *

مضى فبلّغ عن كليتهما خبرًا إلى رئيسٍ سريع الفتك ختال
فقال: مولاي مر جنّدًا تُصاحبني فقد عثرت بدارٍ مثل أطلال
تقيم فيها فتاة غير طاهرة مُريبة ذات أخذان وأخلال
شهدتها أمس والشبان تطرقها ليلاً وقد شربوا أقداح جريال

* * *

فقال: خذها ولا ترحم شببيتها إلى مكانٍ من الفحشاء محلال

* * *

فعاد أدراجه والجند تتبعه طورًا زفيّفًا وطورًا سير إرقال
حتى إذا بلغوها قال: لا تهنوا نهبًا وهتكًا لأموالٍ وأثقال
جندي! أحيطوا بها من كل ناحية وأوثقوا يدها شدًّا بأحبال
فضيغت رشدها ماذا تقول لهم وكيف تدفع عنها جند أرذال
وأودعوها مكان العهر فابتليت بجنة ذات أمراض وأغوال
وبعد شهرين ماتت، إنها بُليت بداء سلّ شديد الفتك قتال
لهفّ العفاف على عذراءٍ قد قُتلت بالإفك وأها على بيضاء معطال

* * *

قل للحكومة ويل للرعية من موظفين لئام الطبع جُهال
هانت على الحرّ وقعا كل نازلة إلا المصيبة في عرض وفي مال

الوردة والفراشة: مقتبسة عن فيكتور هوغو

تفتحت فيه أزهار وأكمام
وقلبها فيه أحزان وآلام
عن حظنا وحظوظ الخلق أقسام
لغيرنا فيهما نقض وإبرام
ولا أطيّر ولا لي ثمّ إعزام
أحب نفسي وما في حبها ذام
في قُربهم عللُ شتى وأسقام
لنا بما فوق هذا الروض إمام
والريح تعليك هذا الحظ ظلام
يعطر الجوّ نشرٌ منه نمام
وأنتِ يُقصيكِ إنجاد وإتهام
ظلي وينعشني ضوء وإظلام
رأيتِ نارًا لها لمع وإضرام
خديّ من عَبرات الفجر تسجام
به ليالٍ سعيّاتٍ وأيام
جنحًا - كما لك - والآمال أوهام

فراشة وقعت يومًا على شجرٍ
قالت لها زهرة صفراء ناضرة
لا تهربي وأجيبيني بمسألةٍ
شأنِي وشأنك في أمريهما اختلفا
تمضين أنتِ إلى العلياء طائفة
لقد ضجرت ولكني على ضجري
أعيش والنَّاسُ عني مُبعدون وكم
أشبهتني فلنكن زهرًا نطير معًا
لكن أرى الأرضِ وا لهفاه تُمسكني
إني سأعطيك من عرفي الجميل لكي
لا لست أعطيك، إنَّ الزهر يصحبني
رضيتُ عيشي وحدي في الرياض أرى
وتهربين فتأتين الضياء إذا
في كل صبح بكائي دائمٌ وعلى
أهٍ لِحُبِّكم الماضي الذي ذهب
خذي - كما لي - جذرًا أو هبي ورقي

خطرات وعبرات قبل الولادة وبعدها

تتولى شئونِي المرضعات
جرع أرتوي بها صافيات
ر حثيثٍ في ضمنه عثرات
أفأضته دجلة والفرات
تت وجاءت من الشباب حياة
أهون العيش ما به الغفلات
بسماتٍ من فيّ مبتدرات

ليت أني بقيت فيكم وليدًا
مُدَّة الدهر ما حييت وهمي
فقعود في المهد أحسن من سيء
ولبان أحلى إليّ من الما
حلم كانت الحياة فقد فا
لست أدري ما كنتُ أعمل فيها
ما بكائي حزنٌ ولا لسرور

تتلقَى الأحزان عني أُمِّي
فإذا ما بكيت ألمها صو
وإذا ما ضحكتُ أنستُ منها
وكفاها من زينتي وكفاني
حملتني على يديها وناطت
أوثقتني مثل الأسير وضممتُ
وضعتني بحجرها وكذا الأط-
نظرتني وجهًا لوجهٍ كأني
عجبتُ من طفولتي وتمننتُ
هو حب من السماء أتاها
قدّسته الأبناء من عهد قايي-
ورأتُهُ حواء معنّى جميلاً
خرست دونه اللغات وللحبِّ
ألسن في الضمائر البيض فصح
كغناء من الفضاء إلهيَّ

* * *

أي قلبٍ كقلب أمّ رءوم؟
أين أُمِّي؟ ولا حبيب كأمي
عظمت في شغافه العاطفات
بين قربي وقربها حائلات
أين تلك الشمائل الطاهرات
حبستني عنها الخطوب وحالت

* * *

أرفقي بالوليد لا توثقيه
هو ثقل عليك في الحمل والوض
وسّعي دونه الفضاء ففي الأر
فالسماء الزرقاء والنور والفج
والظلام المنشور والبر والبح
جالبات إليه شجواً إذا ضا
قد تفاعلت أن يكون سعيداً
فله من أمامه نكبات
ع وحزن حياته والممات
ض عناء وفي الثرى ظلمات
مر ووقت العشي والغدوات
مر وسهل البلاد والهضبات
قت به في أيامه الحالات
وعليه من الشقاء سمات

لا تراعي له فأنت من الدَّهْر سر عليه والحادثات جناة
لو كفاك التجريب ما حَبَّبَ العيْدَ شَسَّ إليك الفتیانُ والفتيات

* * *

ما الذي قد رأيتِ في هذه الأر ض وماذا تفيدكِ الرغبات
ملئت بالأكدار في كل ماء فهْيُ إن تصفُ كَدَّرَتْهَا السقاة
اسمعي عن وقائع الحرب كم ذا كان فيها على الورى ويلات
تهلك الناشئين موتًا وتقتيب لَّا وتُردي الكمأة فيها الكمأة
من يتامى ومن أيامى ومن قت لى وجرحى كأنهم أموات
إنَّ للسقم ما ولدت وللمو ت وللحرب حين تدعى الحماة
قدميهم إلى «ملوخ»^١ قرابي ن فهم في نيرانه حسنات
ذاك عهد مضى وهذا زمان فيه كل النيران معبودات
فاعلمي أنَّ كل مجد بنته فُوهات المدافع القاذفات
ليت شعري عهد الرضاعة هل أيَّ سامك الماضيات لي راجعات
كنت فيها أضْم بين صدور ونحور تزيئها لبات
هادئ القلب لست أعقل شيئًا لي نوم حينًا ولي يقظات

* * *

عمر كالأحلام مر ووقت حان مني يومًا إليه التفتات
إن في المهد للرضاعة عهدًا طُويت في أيامه اللذات
حركات هي المنى وأناشيد د أجادت إيقاعها المنشدات
هزة المهد هزةً تتناهى عندها من أوصالي الحركات
وإذا ما ظمئت للبن الطا هر سالت إلى فمي درات
لا عناء ولا جهاد ولا حز ن ولا لوعة ولا إعنات

* * *

سهل الأمر أولًا ثم لاحت من خلال الآمال لي عقبات

^١ ملوخ: هو إله قرطاجنة الأكبر كانوا يُقدِّمون له الأطفال قرابين تحترق بناره الموقدة في جوفه.

يا دليلي متى الوصول؟ وأين الـ
أنت حيران والطريق رشيد
أرجوعاً إلى القديم فلا رجـ
أنهكتك الطريق في أول السـ
ما تزودت من متاع كثير
إن في السير شدة فليكن للـ
منتهى؟ فيم هذه الوقفات؟
أين طاحت بقلبك الغفلات
ع ولكن تقدّم وثبات
ر فكيف المراحل القاصيات!
قبل أن يأخذ الجميع شتات
قلوب حيناً تجلّد وأناة
فقليل من الزمان كثير
والبقايا من المنى صالحات

الذئب والحمل، أو القوة والضعف

اسمع ففي القول تذكير وموعظةٌ
أصابه يومَ قيظٍ صائفٍ ظمأً
حتى أتى جدولاً تجري مناهله
فجاءه فروى بالماء غلته
رأه أطحل^٢ عن بُعد فخاتله
طاو لواه الطوى من سبعة زهبت^٤
ما ذاق فيها من اللحم العبيط^٥ ولا
ولم يشق بها بطناً ولا كرشاً
إن كان للذئب أن يلقي فريسته
حكاية الذئب ذي العدوان والحمل
فانصاع يطلب ماءً وهو ذو ملل
في السهل نازلة من قمتي جبل
بعد العناء وبعد السير والكلل
فمر يعسل^٣ بين الريث والعجل
عليه بالجوع في الإبكار والأصل
من القديد ولا من سائر الأكل
وطالما اعتس^٦ بين اليأس والأمل
فما الرعاء عن الخرفان في شغل

* * *

^٢ الأطحل هنا الذئب، من الطحلة وهي لون بين الغبرة والسواد ببياض قليل.

^٣ من العسلان وهو الاضطراب وهز الرأس في العدو.

^٤ طاو: جائع. لواه: ماطله. سبعة: أي سبعة أيام.

^٥ الطري.

^٦ طاف ليلاً.

وإلى إليه على حرص وقال له وفي السريرة معنى السوء والدغل
ماذا أتى بك في أرضي لتفسدها؟ كدّرت صفوي خلطت الماء بالوحد

* * *

فقال للذئب: يا مولاي موردكم عالٍ وإني شربت الماء من سفلى
أين اليفاع من الأرض التي انحدرت وأين ماؤك من عليّ ومن نهلي
الماء من نحوكم أت فمن عجب مولاي أن تحسب التكرير من قبلي
وكنت ظمآن من حرٍّ ومن تعب قضى علينا به الراعي بلا مهل
قد ساقنا في حرور الشمس فافتقرت ثلالنا^٧ بين مفقود ومنعزل
لم أدر أين قطيعي، أين مرتعه؟ وكنت أتبعه في آخر الرّسل^٨
فاسمح! فإنّي ضيف في منازلكم والضيف يُكرم في حل ومرتحل

* * *

أبدى له الذئب أنياباً وقال له بلى لقد جئتني بالحدث الجلل
كدّرت مائي ولم تقصد بذاك سوى إهانتي وأردت الشر بالعمل
هذا وإنك يوماً كنت تشتمني من قبل عامين من أيامك الأوّل

* * *

فطأطأ الحمل المسكين هامته أمامه قائلاً من غير ما خطل
مولاي هذا مُحال إنما عُمري شهران إنّي لم أكبر ولم أحلّ^٩
ما زلت مُرتضِعاً أُمي فترضعني مولاي من لبنٍ في الثدي محتفل

* * *

تنمّر الذئب من لؤمٍ وقال له بلى لقد نلت من عرضي فلا تسل
إن لم تكن أنت فالجاني عليّ إذن أخوك، لا تنتحل عذراً ولا تطل
فقال يا سيدي والله لم يك لي أخٌ فقد رعنتني باللوم والعذل

^٧ جمع ثلة: جماعة الغنم.

^٨ القطيع.

^٩ من أحال: أتى عليه الحول.

* * *

فقال إن لم تكن هذا وذاك فقد
أو ابن عمك أو نذلاً علمت به
أهانني وهو محشور بثلته
يكون جارك في المرعى وفي النزل
من الأقارب أهل الجبن والكسل
ونال من شرفي جهلاً ولم يبذل

* * *

... مولاي إني بريء غير مقترفٍ
أنا الضعيف وليس الحق ينفعني
لو كان ذاك فما بالي وبال أخي؟
غيري المسيء وألقى عن إساءته
للقوة الحق فافعل ما تشاء فما
إن الضعيف الذي يحمي جوانبه
إثمًا أمنٌ أجلٌ غيري أنت مختلي^{١٠}
تُرِيدُ أَكْلِي فافعل غير ما وجل
لا الذنب ذنبي ولا عذري بمنتحل
جزاء لا عاجز عني ولا وكل
تجدي الحقيقة إن ضاقت على الحيل
مستمسك بعري مفصومة الوصل^{١١}

* * *

أجابه الذئب يا مسكين إن لنا
فأنتم معشر الخرفان كلكم
كم من خروفٍ يُعادينا ويشتمنا
وغير هذا نُقاسي من رُعَاتِكُمْ
وهم يقولون فينا كل منقصة
قد قَبَّحوا بين كل الناس سيرتنا
هم الكلاب أعادينا اللئام وهم
الآن أخذ ثاري منك مُنتقمًا
حقداً متى هجته كالنار يشتعل
أعداؤنا اللد في ليلاتنا الطول
ونحنُ نكظم غيظًا غير محتمل
ومن كلابكم مُستنكر الوجل
شراً من الصلب أو شراً من الهبل^{١٢}
بين الثعالب والغزلان والوعل
حماتكم والدجى مُغمٍ على المقل
عن البعيدين من أهلٍ ومن خول

* * *

^{١٠} اختلته: تَسَمَّع سره.

^{١١} جمع وصلة (بالضم): كل ما اتصل بشيء فما بينهما.

^{١٢} الثكل.

تَحَفَّرَ الذُّئْبُ مَشْتَدًّا بُوْثْبَتَهُ وشق ما بين رجلي ذلك الحمل
لم يُغْنِهِ العذر لما كان مُعْتَذِرًا ولا أفادته شيئًا صحة الجدل

* * *

إِنَّ الضَّعِيفَ وَإِنْ حُقِّقَتْ مَقَاصِدُهُ فريسة للقويِّ الفاتك البطل
وَأَغْلَبَ الأَمْرَ أَقْوَاهُ وَأَكْثَرُهُ وكل شيءٍ فمقدور على العلل

* * *

لما رأيت عن التصريح مُتَّسِعًا في القول جئت ألوم القوم بالمثل
من يفهم اللغز يُدرِكُ ما تَضَمَّنَهُ وفي الإشارات سر ليس في الجمل
إذا أردت جعلت الشعر فاغرة^{١٣} رقطاع تكشف عن أنيابها العصل^{١٤}
وإن أردت قلبت الشعر شادية ورقاء تخلب لب العاشق الثمل
وتارة أنا أبكي السامعين إذا وقفت أنشدتهم إنشاد محتفل
سكتُ لما رأيتُ الشُّعْرَ مُبْتَدِلًا وأحسن القول شعر غير مبتذل
لقد سئمت من الأقوال أسمعها على المنابر من فخرٍ ومن غزل
فَتَى وشعري فتَى نالت عواطفه من القلوب مكان الحزن والجدل

* * *

يا قوم فليتعظ من كان مُتَّخِذًا من الأمانِيِّ حبلاً غير منفتل
يا قوم نلَّ ضعيفٌ عاجزٌ ونجا من الهوان قويٌّ غير مختذل
إن قلتُم فاعملوا أو تعملوا فخذوا مناهج الصدق والإخلاص في العمل
لقد بنيتم من الأوهام شامخة عمياء تخفي علينا لاحب السبل
ملت نفوس من الغوغاء صاخبة على فلان كثير ظلمه وفل^{١٥}

* * *

^{١٣} فاتحة فاهما، يعني الحية.

^{١٤} واحدها أعصل، وهو الأعوج.

^{١٥} لغة في فلان.

ويا شبببتنا ماذا يكون لكم
دعوا السباب فما تُجدي قوارعه
وبالحقائق فأتونا فما ربحت
خلوا لغيركمُ الأقوال واشتغلوا
والياس فاجتنبوا اليأس الذي لعبت
الشعب يرجو لكم مُستقبلاً حسناً
داء السياسة داء لم يُصب جسداً
غداً من الفضل والعلياء والنبيل؟
إنَّ السباب سلاح الجبن والفشل
شبيبة تتحدَّى باطل الأمل
بالعلم كم لكم بالعلم من شغل
بكم وساوس منه لعب مختبل
والوقت فاقتبلوه أيّ مقتبل
إلا رماه عن الأعمال بالشلل

آلام الحياة

نَمَّ، في الصحراء، في القفر الجديب
فوق غصنٍ شائكٍ غير رطيب
أخذت منه شَمال وجنوب
يتباكى بلبل الوادي الغريب

* * *

كان من قبلُ مُحبباً مُغرماً
عَلِمْتُهُ الحُبَّ أملك السما
فلماذا لا يُرى مُبتسما
بعدُ إلا بِسماتٍ بقطوب

* * *

أي قلبٍ للمُحِبِّ المبتلى
ضيع الماضي والمستقبلا
ناهل عن كل شيء ما خلا
نزعة من ذلك الحب الكئيب

* * *

يا غريباً ضاع في أوطانه
يملاً الصحراء من أحنانه

نغمًا تكشف عن أحزانه
كلنا مثلك مهجور قريب

* * *

اسأل الأسحار عن أعلامنا
واسأل الظلماء عن آلامنا
قد نفتنا السم من أعلامنا
هو سم لا يُداويه طبيب

* * *

قذفتك الرِّيحُ من ريف فريف
مثلما تقذف أوراق الخريف
أصغ، تسمع من أغانينا حفيف
ادن مِنَّا أعد الصوت الطروب

* * *

ههنا حيثُ يفيض الرافدان
يرويان الزرع في كل مكان
فلماذا تاركُ هذي الجنان
ومقيم أنت في السهل الجديد؟

* * *

ادن منا وبأنغام السماء
غنَّنا إنَّ تراجيع الغناء
تملأ الأنفس عزماً ورجاء
وتُهيج الحب في نفس الحبيب

* * *

نفحة الفجر وأنفاس الغسق
قلبت نفسك تقليب الورق
ألفكر أم لشأن قد سبق؟

تشغل الآلام قلب العندليب

* * *

أنت يا بلبل مثلي أو أنا
مثلك اسمح واقترب إن هنا
عبراتٍ من فرادى وثني
هي والله دمع من قلوب

* * *

اعبَسَ أو أقبلُ بثغر يضحك
بك لا يعبأ هذا الفلك
لا، ولا النور، ولا ذا الحلك
لا كما قدرتها تأتي الخطوب

* * *

اصطبر واسخر بآلام الحياة
وامحُ بالبسمة هذه العبرات
هي إن تعبس فكن ذا بسمات
خالِي القلب ودع عنك النحيب

* * *

صدت آلامنا مثل الضباب
فغدت في الأفق الصافي سحاب
كل ما يرفعه هذا التراب
خالد يُعرض في يومٍ عصيب

* * *

هي دنيا كل ما فيها شجون
فاغض عن كل مساويها الجفون
إنما سخطك فيها كالجنون
والتغابي سلوة الصب الأريب

* * *

نادِ أَفلاكِ السَّمواتِ العُلَى
واندبِ الفَجْرَ إذا الفَجْرُ انجلى
واملاً السَّهْلَ بكاءً والجَبْلا
نادِ هل من سامعٍ أو من مجيبِ

* * *

آهٍ من صمّتِ على الأرضِ عميقِ
خرسِ الكونِ، فهلا تستفيقِ
هذه الألامِ تذكو كالحرّيقِ
في فؤادِ دِنْفِ كادِ يذوبِ

القبر والزهرة: مُترجم بتصرف عن فيكتور هوكو

القبر قال لزهرة مخضلةً ما تعملين بطلك الرقراق؟
الفجر يرشحه عليك كلؤلؤٍ مُتناثر يا زهرة العشاق

* * *

مالت إليه وساءلته مُعيدة ماذا تُريد بهذه الأجسام؟
توري بلحدك وهو مفتوح لها أبداً مدى الأيام والأعوام

* * *

قالت له يا أيُّها القبر الذي هو مُظلم كالليل لا يتقشع
هذا الندى عَرَفَ يَضوعِ شميمه في الظل، أو عسل لذيذ يجمع

* * *

القبر قال لها ألا يا زهرة يا من أراك كثيرة الخيلاء
من كل جسمٍ هالكٍ أنا صانعٌ ملكاً يطير إلى سماءِ علاء

النحلة والجلنارة

وروضة من رياض الشام ناضرة
تعطرت نفحات الريح حاملة
كأنما مَدَّ في ساحاتها ملك
كل الطبيعة من ماءٍ ومن شجرٍ
كأنما الفجر قد أوحى الظلام له
طرقتها وضياء الفجر قد لاحا
عن زهرها حشرات عَرَفَهَا فاحا
جناحه وسرى في الفجر مرتاحا
أصغت إلى الشعر إيماءً وإفصاحا
أمرًا فأرشح بالأنداء إرشاحا

* * *

ونحلة من بنات النحل قد وقعت
تشكو إليها سهادًا طول ليلتها
عطشى على زهرةٍ فيها ندى ساحا
والليل يُظهر للأبصار أشباحا

* * *

قالت لها الزهرة الحمراء باسمه
أسقيك ما شئت من مائي ومن عسلي
لكن رأيتك — وا لهفاه — عاملة
تعطين غيرك من شمعٍ ومن عسلٍ
لا تبأسي وانعمي يا أخت إصباحا
ما دام في الأفق ماء الفجر نضاحا
من أجل غيرك لا تجنين أرباحا
وتشربين من الأزهار أمذاحاً^{١٦}

* * *

قالت لها نحن كلتانا على شبه
فإنما أنتِ يا أختاه صائرة
يشريك غير الذي يجنيك منهمكاً
من شأننا فخذي علمًا وإيضاحا
رمانه أتعبت بالسقي فلاحا
وتُحرمين الذي يسقيك ممتاحا

* * *

الجلنارة قالت وهي ضاحكة
كلُّ على أمره يا أخت منغلِبُ
ولو تَفَكَّرَ مَخْلُوقٌ بعيشته
يا أخت لا تُكثري بالقول إلحاحا
ولو غدا بسداد الرأْيِ أو راحا
لما تمنى لها يا أخت إصلاحا

^{١٦} جمع مذح، وهو عسل الجلنارة.

ليلة عاشق

أيها الساهر ما هذا الأرق
غرق النوام في ليلهم
ظلمة تأتي وأخرى بعدها
أنا في الليل غريقٌ وأرى
طال حتى مله نوامه
هادئ لكنني أزعجته
طلع النجم ولولا نوره
وعلى عيني من ظلمائه
فيك يا ليل مواعيد الهوى
يكشف العاشق فيه سره
يلتقي فيه المحبون ولا

* * *

رقد الورد وأغضى طرفه
ملّ طول الليل حتى أننا
تحمل الريح أريجاً طيباً
شاكه الغصن فأدمى خده
يجد العاشق فيه سلوة
مائلًا بين غصون وورق
لو سأله بياثاً لنطق
عنه والبرعم ساهٍ منطبق
فهو مُحمرُّ كما احمرَّ الشفق
كُلُّما شم شذاه أو نشق

* * *

ساهر ما نمت إلا سنة
عرض الطيف عليها عاجلاً
كلما أغمضت جفني رده
فكرة تبدو وأخرى تنتهي
تتغشاني وتمضي في الحدق
ما شفى النفس خيال منطلق
أدمع تهطل كالغيث الغدق
هي لولا الحبُّ قد عدت حمق

* * *

طفق الحيوان فيه كله
تفعل الأوهام فيه فعلها
وأرى العاشق فيه ما طفق
وتريه كاذب الآمال حق

وحده تؤنسه عزلته رُبِّمَا واصله طيف رهق
كتب البؤس عليه والهوى لو جنى الحبُّ عليه لم يفق

* * *

أين محبوبِي؟ لا أين فقد سئم الليل أنيني فشهبق
ظهر الفجر على أرجائه وغزا الظلماء بالخيال البلق
كيف أرضى بجفاء قاتل وهم يرضون بالعيش الأنق
ويقولون غريبٌ عاشق ما رأوا قبلي غريبًا قد عشق
سوف لا أكتم أسرار الهوى أقيم الماء في الحوض الفهق؟

تحية الشهداء^{١٧}

لا تدفنوا الدم بالتراب فإنه يجري لنصر الحق فهو مطهر
بل فاكتبوا منه على أعلامكم كلُّمًا كنيران الغضا تتسعّر
هذا دم الشهداء يهدر فيكم لا تتركوه على البسيطة يهدر
قُتِلوا بلا ذنبٍ فجاء إليهم جبريل يبكي والملائك حُضِر
فخذوه ذكرى في الثياب فربُّمَا ينسى وفاء عهوده المتذكر
أو فالطخوا بنجيعة جبهاتكم فالمسك في قطراته والعنبر
لا تغسوا بالماء أرضًا دُنست بالظالمين فكل ماءٍ أكرد
بل فاغسلوها بالدماء فإنها تنفي الأذى فيطيب منها العنصر
ظلت دماء الأبرياء رخيصة ذنب الزمان عليهم لا يُغفر
شيب وشبانٌ وأطفال لهم في السعي للعلياء فعلٌ يُشكر
يتطلبون الحقَّ من مُستعبدٍ ملك البلاد فظلمه مستنكر
عُزِّلٌ ولكن الثبات سلاحهم عقدوا الرجاء بذمة لا تخفر
الصدق عهد والوفاء عزيمة والحق دين والرجاء مقدر

^{١٧} نظمها في القاهرة يوم وقعت حادثة سيدنا الحسين المحزنة، ورأى القتل تتخبط بدمائها على قارعة الطريق سنة ١٩١٩.

أصواتهم بلغ السماء رنينها
 وليخسر الطاغون غير أعزة
 في الأفق أصواتُ التضرع قد علت
 ليست كأصوات المدافع إنها
 وقفت حيال العرش تدعو ربها
 قالت تركت الظالمين بأرضنا
 سفكوا الدماء وأفسدوا فيها فما
 يا رب ما فرعون أظلم منهم
 يا رب خذ بحقوقنا من أمة
 ظلم تُهز له السماء ومن بها
 لم لا تَميدُ الأرض في أبنائها
 فمدامع الأيتام تَسفك فوقها
 الله يشهدُ والملائك أنهم
 طلبوا الحقوق وكلهم مُستهلك
 يا لرجال ويا لظلم حكومة

* * *

النيل يجري في البلاد وماؤه
 فخريره ألم وجيع صوته
 مستثقل ظلم الحكومة نادب
 يرجو الحماية من بنيه وكلهم
 من كل بر بالعهود مُقدم
 في كل أرض خصبية يتفجر
 وهدوءه حزن خفي مضمّر
 عهد الهناء مضت عليه الأعصر
 سهل عليه المطلب المتوعر
 لا ينثنى جنباً ولا يتغير

* * *

فتيان مصر إلى الدفاع تقدّموا
 لكم البلاد وأنتم أبنائها
 فتطلبوا الشرف الرفيع لأمة
 فالمجد في أيامكم والمفخر
 ولكم بشعبكم العديد الأكثر
 مظلومة ودعوا الخلاف وشمروا

صوت من الإنسانية

نفوس لها في الأرض مبكى ومجزع
تخفف عنها بعض ما تتوجع
فإنَّ حياة البائسين تفجع
لها في الثرى بين المقابر مضجع
فتفنى ولا تبلى النفوس وتصدع
وقد حسبوا أن ليس للناس مرجع
تضاع؟ وأنا بعد هذا نضيع
لكل ضعيف يستهين ويخضع
ذليلٌ على أعماله ومرفع

أفي الأرض تبقى أم إلى النجم ترفع؟
لعل لها بعد المنية رقدة
وتنسى بها بؤس الحياة وشرها
لقد ساءها ما في الحياة وسرها
ستردى جسوم طال فيها ثاؤها
وقد زعموا أن سوف تفنى نفوسنا
أمن سنن الإنصاف أن حقوقنا
ومن ذا الذي يقتص من كل ظالم
فلا بد من يوم يجازى بمثله

* * *

لك الله ما هذا الذي أتمتع
وما لي إليها سلم فيه أطلع
ويخفق قلبي كلما هي تلمع
لمثلي أن يثوى بمثلك مطمع
إليك وأني في بلادك أرتع
كواكب في داج من الليل شرع
وقلتُ ألا ليت المنية تسرع
وفي أهلها بالشر والسوء مقنع
تُزيّن فيه المنكرات وتُصنع
به الظالم المستكبر المترفع
ولا لي أطلالٌ ولا لي أربع
وتسقيك أيضاً للأرامل أدمع
وفي كل بحر منك للدم موقع
فأوزعها بالبغض والحقد موزع
من العدل يرعى الحق فيها ويتبع
فيأمر بالمعروف فيكم ويصدع

تمتعت من نجم الثريا بنظرة
أحاول أن أرقى إليها بجثتي
أهيم إذا لاحت لها وبحسنها
فيا أيها النجم المَطْلُ على الورى
فيا ليت أني قبل موتي صاعدُ
وكنت إذا ما جنَّ ليلٌ وأشرقَت
نظرت الثريا ثم أغضيت ناظري
لأنجو من أرض بها الفضل ضائع
فقد سئمت نفسي الثواء بمجمع
يذل به المستضعفون ويعتلي
فيا أرض ما لي في بلادك موطن
سقتك دماء الناس وهي بريئة
ففي كل برٍّ منك للحرب وقعة
أما حنانٌ في النفوس ورأفة؟
بني الأرض هل في الأرض مثقالُ ذرة
ألا مرشد منكم إلى سُبُل الهدى

لذاك ترابُّ الأرض أسود أسفح
شياطين جاءت من جهنم قُمع
فلم تكُ تدري كيف تمضي وتُهرع
ومن فوقها تأتي صواقع تصقع
أمامهمُ جند من الموت مهطع
مِنَ الطَّيرِ مَيَّسُور لها الشر مجمع
فِيُحرقهم غيث من النار مترع
على أرضهم فالأرض قفراء بلقع
لهم مصرع فيه وللترب مصرع
وتخضع منها الراسيات وتخشع
بها زمن فيه ثمود وتُبَّع

هُرِقت دماء يملأ الأرض سيلها
دماء جيوشٍ هاجمين كأنهم
ترى النَّار من كل النواحي تجيئها
فمن تحتها الأغام تصدع أرضها
فيا ويل جند مهطعين إلى الوغى
رمتهم بنار من سماء عصائب
كأنَّ سحاباً يُمطر النار فوقهم
أنتهم أعاصير الرِّياح بنارها
وفي الترب مخبوء لهم كل خاسف
مشاهد تستبكي الجمادَ خطوبها
أتانا بها عصر الفضيلة ما أتى

* * *

إليكم فما هذا الأنين المرجع
وتضطرب الأحلام منه وتفزع
فهم بعدها قتلى وجرحى وجُوع
شفيعٌ إلى الإنصاف والعدل يشفع
إلى أحدٍ إلا إلى الله مفزع

سمعت أنيناً في البلاد مرجعاً
تُعل له الأكباد وهي صحيحة
فقليل بلاد تُهلك الحربُ أهلها
أبيحت دماء الأبرياء وما لها
أبيحت دماء الناس فيها وما لها

* * *

وتُفطم في حب الشقاق وترضع
فمنزلها بين العوالم أوضع
على أنه لم يئق في القوس منزع
وفيه لأنوار الفضيلة مطلع
فكل امرئٍ بالحب والرفق مولع
فهل مقلع منهم عن الشر يقلع
تكاد بمطوي الأذى تنهوع
وأموالنا من غير ذنب تُضيع
بلاداً بها نور من العلم يسطع

تُرَبَّى على سفك الدماء نفوسكم
لقد ولدت حواءً أظلم نطفة
متى يرعوي الإنسان عن بعض غيِّه
يقولون إنَّ العصرَ عصرٌ هداية
يهدب فيه الناس بالعلم والحجى
قد اقترفوا إثماً يُهدم ما بنوا
سَقُوا أكْوَسا من حقدهم فنفوسهم
فيا زُعماء الحرب إنَّ نفوسنا
على رسلكم إنَّ المطامع دَمَّرت

على رسلكم إن اليتامى دموعهم
فإن تجنحوا للحرب فهي فظاعة
دعوها دعوها سبة إن نكرها
إلى الله تهمني في العيون وتهمع
وإن تستحبوا الجهل فالأمر أفضح
يُقبَّح من أعمالكم ويُشنع

دجلة والنيل

آن يوم من الرّحيل قريبُ
ما بقاء الغريب في البلد النا
كيف بالنيل إن زهبت إلى دج
قد تحيرت بين هذا وهذا
فتمتع قبل الفراق ففي مص
فيه يدمى قلب وتبكي عيون
زح إلا صباية وحنين
للة؟ أني بالواديين ضنين
وانتحتني قبل الرحيل شجون
ر زمان غصّ وعيشُ ثمين

عبد الحسين الأزري



عبد الحسين الأزري.

كاتب وناظم، جال جولة في ميدان الصحافة بـ «مصباحه» قبل الحرب الكبرى، فظهر كاتبًا فاضلاً، وحام حول الشعر بعد الحرب، فأسمعنا شعراً مُعجِباً أنساناً أن نأظمه كاتبٌ مُجيد. ونرى لقصائده التي ينظمها وينشدها في محافل العراق اليوم رنة

استحسان، لما تضمَّنته من العواطف الرقيقة والإحساسات الطيبة، فضلاً عن سلاستها واتساق معانيها.

بيت الأزري بيتُ علم وأدب معروف، اشتهر منه في القرن الماضي علّمان؛ هما الشيخ كاظم والشيخ محمد رضا أخوه.

وُلد عبد الحسين الأزري في بغداد في ربيع الأول سنة ١٢٩٨هـ، ونشأ فيها وقد تخرج في حدائته في المدارس الابتدائية، ثم درس على الشيخ شكر قاضي الجعفرية شياً كثيراً من علوم الأدب والدين، وقال الشعر وعمره أقل من ١٥ سنة.

ودخل حزب الائتلاف بعد إعلان الدستور العثماني، واشتغل بإنشاء الصحف، وأنشأ سنة ١٩١١ جريدة «المصباح»، ظلت تصدر نحو ثلاث سنوات ثم قضت عليها الحرب العامة الكبرى؛ إذ نُفي المترجم إلى قيسري في بلاد الأناضول مع من نُفي من الأحرار والمنورين، لاشتغاله في القضية العربية وانضمامه إلى فرع حزب اللامركزية الذي كان مركزه بيروت.

وهو يحسن اللغة الفرنسية.

ويُحب في شعره الخيال الجميل، والأسلوب القصصي. أما في كتابته فأحسن ما يعجبه النقد الأخلاقي. لا ينظم إلا في الخلوات، وأفضل أوقات النظم عنده الليل؛ سمير العشاق والشعراء والمنشدين.

(١) مؤلفاته

اشتغل الأزري بتأليف بضعة مؤلفات لا تزال خطية، منها:

- (١) تاريخ العراق قديماً وحديثاً: في جزأين كبيرين على أهبة الإكمال.
- (٢) قصرالتاج.
- (٣) بوران: روايتان من رواياته التاريخية الأدبية الغرامية التي ألفها، وبلغ بها الاثنتي عشرة رواية.
- (٤) بطل الحلة: رواية وصف فيها ما أنزل الأتراك بالحلة من الفجائع.
- (٥) مجموعة الأزري: مجموعة مقالاته في السياسة والأخلاق والاجتماع.
- (٦) ديوان الأزري: اجتمع من منظوماته القديمة والحديثة مجموعة صالحة تُمثّل ديوانه.

وقد انتقينا من شعره الحديث النخبة التالية:

نفس مُعذِّبة وقلب خافق

فلكم تذرّع بالوداد ممانق
لعرفت منه سرّاً ما هو عاشق
ما كل نبتٍ في الحقول شقائق
فارجع فليس وراء فجرِك شارِق
ما دام يطربك الغراب الناعق
فتتبع الآثار فهّي حقائق
فمن الحماسة أن يهكم حانق

صدق الهوى ما كل ودّ صادق
ومكابِر بالعشق لو كاشفته
لا تخدعنك يا بليد حشائش
وأراك مفتوناً بفجرِ كاذب
من أين تعرف ما الهزار وشدوه
وإذا طلبت من الرجال حقيقة
أو كنت في طلب الحقائق مغرماً

* * *

لا ينظرون وراء ما هو ناطق
ويوحدة الآراء وهو مشاقق
فكأنما تلك الثياب خنادق
مُتخيلاً أن العقول غرائق
لو كان يفحصه الطبيب الحانق
لكنما للمرء فيه طرائق
ظلمًا ويوصف بالخلاق منافق

وغبي قوم راح يحسب أنّهم
متظاهر بالسلم وهو مُحارب
كمنت له خلف الثياب مآرب
يصطاد في مزق اللسان ولينه
هو رأس دائهم الخفي وأصله
الخدع في نظر الحقيقة واحد
ومن المصائب أن يُعاب مهذب

* * *

قبض البريء به وفرّ السارق
يجلو الظلام وما هنالك بارق
فاللس مدّرع وليلك غاسق
من حيثُ يبعثها الضمير الصادق
لولا فمي بالماء دونك شارِق
نفس مُعذِّبة وقلب خافق

يا معولاً في جنح ليلٍ حالك
متطلعاً في الأفق لمحة بارق
هيهات لا تتكلفن طلابه
إني لتطربني الصرامة بالهوى
أحمامة الوادي سبقتك بالغنا
ولربما سكت الحزين وفي الحشا

عشت دهرًا فلم أجد غير ما بتُّ
غصص لو حسبتها لتلاشت
أُقاسيه من نوائب دهري
دون إحصائها دقائق عمري

سلب النوى نومي فأيقن عاذلي
لم يدِرْ أنك نُصب عيني والهوى
أن لا لقاء ولو بطيف منام
قد صيّر اليقظات كالأحلام

غنى فأطمعه السقا
كالعود تملأ جوفه
ة وعجلوا بسباته
فيكف عن نغماته

الكتاب والحجاب

نظمها الأزري مُعارضًا لقصيدة «المرأة في الشرق» التي أنشدها الأستاذ معروف الرصافي على أحد مسارح بغداد، وقد أثبتناها في مُختاراته من هذا الكتاب، وأثبتنا هذه هنا من باب المناسبة ليس إلا.

أمنازل الخفرات بالزوراء
قَرِّي فإنك للفتاة أريكة
لا تحزني مما رماك به الهوى
أين الإسارة في عفافٍ طاهر
لا زعزعتك عواصف الأهواء
ضربت سرادقها على النجباء
ظلمًا وظنك معقل الإسرائ
أين المعازل من كناس ظباء

* * *

أكريمة الزوراء لا يذهب بك النَّ
أو يخدعنك شاعر بخياله
حصروا علاجك بالسفور وما درُوا
أولم يروا أن الفتاة بطبعها
من يكفل الفتيات بعد ظهورها
ومن الذي ينهى الفتى بشبابه
ليس الحجاب بمانعٍ تهذيبها
هـج المُخالف بيئة الزوراء
إنَّ الخيال مطية الشعراء
أن الذي حصروه عين الداء
كالماء لم يحفظ بغير إناء
مما يجيش بخاطر السفهاء
عن خدع كل خريدة حسناء
فالعلم لم يُرفع على الأزياء

يملأن بالأعطاف عين الرائي
بتجاذب الأرداف والأثداء
إلا إذا برزت بدون غطاء
ما لم يُشيد مسرح بنساء
من كُلفت برعاية الأبناء
تغنيك عن تمثيل دور إباء
كي لا تفوتك حكمة الحكماء

أولم يسغ تعليمهن بدون أن
ويجلن ما بين الرجال سوافراً
فكأنما التهذيب ليس بممكن
وكأنما الإصلاح عزّ بناؤه
إنّ المسارح لا تدير شئونها
مثل بها دور الفضيلة إنها
وانظر إلى شأن المحيط وأهله

* * *

للمسلمين تبرج العذراء
نزهتهم من سيرة الجهلاء
جيد المهابة وطلعة الذلفاء
وزر الفؤاد وضلة الأهواء
هذيب أن يهتك ستر حياء
لو أصدقك ضمائر الجلساء
أخلاقهن لصالح الأبناء
أوما سمعت بطائر العنقاء
لو كنت تأمن عفة الضعفاء
بالقعر لا يغرك سطح الماء
عبث اللصوص بليلة ليلاء

نص الكتاب على الحجاب ولم يُبَحْ
قل لي فماذا يصنع العلماء لو
ماذا يريبك من حجاب ساتر
ماذا يريبك من إزار مانع
ما في الحجاب سوى الحياء فهل من التّـ
هل من مجالسة الفتاة سوى الهوى
شيّد مدارسهنّ وارفع مستوى
وافحص عن الأخلاق قبل حجابها
هلا اختبرت الأقوياء خلاقهم
أسفينة الوطن العزيز تبصّري
وحديقة الثمر الجني ترصدي

يا وطن الرشيد

وسئمت فيك حياة هذي الدار
وهواجسي في جنبها سُمّاري
حتى أكر نسمّة الأسحار
كلّاً وإن ملك الزمان خياري
وبها درست غوامض الأسرار
ممن تغافل عن دبيب النار

وطني لأجلك قد عدت قراري
أحيي الليالي والعيون هواجع
أتنفس الصعداء ما بقي الدُّجى
أنا لم يُخيرني الزّمان بصرفه
فلقد سبرت من الحوادث غورها
وعلمت أن النّائبات بمرصدي

فأنا المقصّرُ والزَّمانُ موكل
ومَن الألى أرجوهم لأقلتي؟
ليلي وإن أرخى عليَّ سجوفه
كان الخيار بقبضتي فأضعته
بعقاب كل مقصّر خوار
إن لم أُقل أنا في الحياة عثاري
فالقلب ينظر من وراء ستار
وبقيت مُتكلاً على الأعذار

* * *

وحمامة غنّت فقلتُ لها اقصري
غنيتِ والأوراق ذابلة وقد
لا تحسبي شرعاً أحاديث الهوى
نوحى على غصن الفضيلة لا الغضا
فهي التي هام الكرام بحُبِّها
تنعين إلفك للظلام وإنني
غابت كواكبه كما شاء القضا
أمعاهد العلم ارفعي فوق الحمى
رحماك حار المدلجون وها هم
وقف الزَّمان بهم على جرف الردى
وإليك يا دار الشقاء تفقدي
فلقد تضاعفت الشجون بمثلها
فالصمتُ أجدر في فم المهذار
ذهب الخريف بنضرة الأشجار
ما كل مورقة بذات ثمار
ومحاسن الأخلاق لا الأزهار
وبنوا عليها لا على الأبرار
أنعى لإلفي مُشرق الأنوار
ما حيلة الإنسان في الأقدار
منك المنار بحيث يهدي الساري
ملأوا من الأنجاد والأغوار
والجرفُ لو تدرين رملُ هار
مرض البصائر فيك لا الإبصار
كتضاعف الأعداد بالأصفار

* * *

ناديت أوطاني وما أعني بما
النائرات فضائلي ومفاخري
والناظرات إليَّ نظرة أمل
والباعثات بنفسي الشمم الذي
أصغى بكل جوارحي لحديثها الـ
وأحنُّ ما حن الحمام كأنني
من ذاك يا وطني ملكت عواطفني
مضت القرون ولا تزال معانيًا
وظلام جهل لو تصاعد بالفضا
ناديت غير دوارس الآثار
والشاهدات بعزتي ونجاري
إحياء مجد دارس وفخار
يأبى الحياة بذلة وصغار
مقرون بالإعجاب والإكبار
عود يردد نغمة الأوتار
وشعوري المطبوع في أشعاري
سقم العقول وضلة الأفكار
لن تُدرِك الأبصارُ ضوءَ نهار

إني لأشعر في هواك بنشوةٍ
أشدو وأرفع كالهزار عقيرتي
وإذا الفؤاد تحركت أوتاره
سل عن هوايَ الريم حول كناسها
وضمائر الأغيار نحو ديارهم
أهلوك هم أهلي وسلمي سلمهم
من عزهم عزي ومن في وردهم
وُلدوا على لغتي وفطرتي التي
أنا منهم وهم على بُعد المدى

* * *

قد كنت أول منزل أبصرته
والنفس ما زالت تُمثل لي الصبا
كنا كماء المُنزن رِقَّ صفاؤه
تلك المناظر لم تزل محفوظة
تالله يا وطن الرشيد ونجله
لم تلهني عنك الحسان ولا الطلى
أنت الذي غذيت غصن شبيبتي
ومن الوفاء إليك أن أدع الكرى
قل لي إذا لم أقض دون مقاصدي
وسكنت من واديك أول دار
وحديث صحب في حماك صغار
من قبل أن ينصاع للأكدار
عندي وإن خفيت عن الأنظار
ومعرس الطائي والمهبار
هيئات تلك سجية الأعرار
وسقته دجلة بالمعين الجاري
حتى تفوز بسابق المضمار
عمري فما هي قيمة الأعمار؟

العيش نغم

أعد أيها الورق فالليل جن
وغنّ فدونك وادٍ أغن

* * *

ألِفْتُكُ لما اعتزلتُ البشر
وكابدت مثلك طول السهر
أنوح بنوحك فوق الشجر
كعود يردد نغم الوتر

لو العود يدرك مثلي الشجن

حبّتك الغصون بعريشٍ رفيع وصاغت لك التاج زهر الربيع
فأنت المليك بوايدٍ بديع وما أنا إلا كعبد مطيع
تولى هواك وفيك افتتن
شدوت فأبطلت فن الأساة وصرت تعالج بالبينات
فما أنت إلا من المعجزات ومنك بدا لي سر الحياة
فطوراً سرور وطوراً حزن
ليبتسم الصبح للبلبل ليحتفل الجو بالأجدل
لتصف الحياة لقلب الخلي ليحتمل السهد من يبتي
ليخف الكئيب وراء الدجن
فما العيش يا ورق إلا نغم بكى منه ذاك وهذا ابتسم
تنافى الشعور به فانقسم سروراً لقوم وقوم ألم
فتطرب روح وأخرى تئن
دع الليل يسحب ذيل الغسق علينا ويكحل جفن الشفق
وعد نتعاطى كئوس الأرق لكيلا يفوتك باقي الرmq
فبعد الحياة يطول الوسن
دع الليل يملأ أرجاءها هدوءاً ويطرد ضوضاءها
ولا تسأل النفس ما ساءها فلا فم تشكو به داءها
ولا في زمانك من يؤتمن
إذا البدر أشرق فوق الأديم وصافحت البان كف النسيم
وربع السكون بصوت رخيم فنوحك بهجة ذاك النعيم
ونضرة ذاك الجمال الحسن
كشفت بنوحك ستر الخفاء وطارت به الروح قبل الهواء
كأنني الكلیم حظي بالنداء وذو النون منتبذاً بالعراء
ضعيف القوي ونحيف البدن
تذكرت يا ورق عصر الشباب وكيف انخدعت بلمع السراب
وما كنت أعلم خلف الحجاب زماناً يناقشني بالحساب
وينتابني بضروب المحن
ذكرت رفاقي عند الصغر وتجوالنا تحت ضوء القمر

فما هي نفسي برغم الكبر أراها تمثل تلك الصور
وإن غيرتها صروف الزمن
أراني أحنُّ لتلك الليالي وترتاح نفسي بذاك الخيال
هوَى لا لحسن عديم المثال ولكنَّ للنفس حبل اتصال
شعرت به في رضاع اللبن
تمر البساطة في خاطري فيطمحُ شزراً لها ناظري
دعتني أمدُّ يد الخاسر وأستمح الرفق من أسري
ولولا البساطة لم أرتهن
عليَّ الهوى سد باب الرِّجاء ومثل لي الداء نفس الدواء
فمن أين أحظى إذن بالشفاء وما أسرع السير نحو الفناء
إذا أنا ضيعت نهج السنن
تمر الليالي على وحدتي ولم أخطُ بالقرب من جيرتي
فإن أعدم البرء من علتي فيا حافر القبر للميت
رويدك حتى نعدَّ الكفن

المجد مكتسب

دُمَ ذاكراً فيك يا شعبان من وثبوا
واحفظ لهم عهد صدقٍ عند نهضتهم
واسعد بقومٍ على ورد الردى عقدوا
ولا يصدون عن إظهار ما قصدوا
من الآباء لهم حصن إذا نزلوا
إن أنكر الدهر ما من أجله نهضوا
وإن تلاعب في أقصى رغائبهم
يا وثبة جدِّ الشعب العريق بها
وراح ينقذ في أرواحه وطنًا
قل للمطامع والأيام صافحة
لنا الخفاء تجلَّى في حوادثه

فسوف يحفل في تمجيدك العرب
بنوده الشرف الموروث والحسب
راياتهم أو ينالوا كل ما طلبوا
مهما تكاثفت الأستار والحجب
ومن عزائمهم جرد إذا ركبوا
فلن يضيع لهم حق ولا طلب
فسوف يجنح مضطراً لما رغبوا
رفيع مجدٍ تهاوت دونه الشهب
مرت عليه عصور وهو مغتصب
عن طولها اليوم لا نكر ولا عجب
كما تجلَّى ليعقوب الدم الكذب

وَيَرْجِعُ الْحَقُّ إِنْ صَدُوا وَإِنْ صَخَبُوا
جَدَّ الضَّلَالِ وَحَالَتْ دُونَهُ السَّحْبُ
مَهْلًا سِيحْمِيكَ شَعْبٌ لَيْسَ يَنْشَعِبُ
بِالْحَقِّ مُنْتَصِبٌ لِلذُّودِ مُنْتَخِبُ
مَعْنَى بِأَسْفَارِ قَوْمِي غَيْرَ مَا كَتَبُوا
كَنْارِ فَارِسٍ لَمْ يَخْمَدْ لَهَا لَهَبُ
فَمَا لَهَا مِنْ سَوَى سَكَانِهَا الْحَطْبُ
كَالْمَاءِ إِنْ حَلَمُوا وَالنَّارِ إِنْ غَضِبُوا
ضَجَّتْ بِذِكْرِهِمُ الْأَعْصَارُ وَالْكَتَبُ
سَعَى يُلَبِّيهِ مِنْهُمْ جَحْفَلُ لَجِبُ
بِكُلِّ وَانٍ وَإِنْ الْمَجْدُ مَكْتَسَبُ
لَهَا الْمَعَارِفُ أُمَّ وَالْوَفَاقُ أَبُ

سَيَمْنَعُ الشَّعْبُ عَنْهُ كُلَّ عَادِيَةٍ
وَالْحَقُّ أْبْلَجُ لَا يَخْفَى سَنَاةُ وَإِنْ
يَا أَيُّهَا الْوَطْنُ الْمَرْعُوبُ جَانِبُهُ
رَقَى عَلَى عَرْشِهِ مِنْ هَاشِمٍ مَلِكُ
لَا تَذْهَبَنَّ بِكَ الْأَحْلَامُ إِنَّ لَهَا
مَا لِلجَزِيرَةِ لَا تُطْفَى ضَغَائِنُهَا
يَا مَوْقِدَ النَّارِ أَخْفِضْ مِنْ حَرَارَتِهَا
إِنْ يَخْدَعْنِكَ حِلْمُ السَّاكِنِينَ فَهَمُ
تَوَارَثُوا سَنَنَ الْعُلِيَاءِ عَنْ سَلْفِ
هُمْ الَّذِينَ إِذَا نَادَى الصَّرِيخُ بِهِمْ
يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ إِنَّ الدَّهْرَ مُحْتَكِمُ
لَمْ تَقْتَرِبْ نَكْبَاتِ الدَّهْرِ مِنْ فِئَةِ

أيها البان

فَأَذَنْتُ بِذُبُولٍ مِنْكَ أَغْصَانُ
تَسَلَّلَتْ مِنْهُ أَشْجَانُ وَأَحْزَانُ
لَهَا حَمَى سُوْرُهُ أَثْلُ وَكُتْبَانُ
إِذْ لَمْ يَرْعُهَا بِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانُ
وَالْعَيْشُ نَضْرَتُهُ أَهْلُ وَأَوْطَانُ
مِنْ فَوْقِهَا وَالنَّسِيمُ الْغَضُّ نَشْوَانُ
كَأَنَّهَا هُوَ رُوحٌ وَهِيَ أَبْدَانُ
تَعَوَّدُ الْهَمْسُ وَالْأَوْرَاقُ آذَانُ
أَيْدٍ تَجَسُّسُ وَأَوْتَارُ وَالْحَنَانُ
أَكْنَافُ دَجَلَةٍ أَمْثَالُ وَأَقْرَانُ

هَلْ مَسَّكَ الْوَجْدُ مِثْلِي أَيُّهَا الْبَانُ
وَهَلْ رَوَتْ لَكَ وَرَقَاءُ حَدِيثُ هَوَى
عَهْدِي بِسَرْبِ ظِبْيَاءٍ عِنْدَكَ اتَّخَذْتُ
كَانَتْ مِنَ الْبَيْنِ فِي وَادِيكَ أَمْنَةٌ
لَهَا حَمَامُكَ أَهْلُ وَالْحَمَى وَطْنُ
تَرَعَى بِظِلِّكَ وَالْأَغْصَانُ حَانِيَةٌ
وَقَدْ عَرَاهَا اهْتِزَازٌ مِنْ تَنْفَسِهِ
أَوْ أَنَّهُ فَمٌ وَاشٍ مِنْ تَحْدُرِهِ
مَعْنَى بَدَأَ لِي مِنْ رَقْصِ الْغُصُونِ بِهِ
طَوْتُ صَحَائِفِهِ الْبَلْوَى وَكَمْ لَهُ فِي

* * *

لَا الْأَهْلُ أَهْلُ وَلَا الْجِيرَانُ جِيرَانُ
مِنْكَ الظُّبْيَاءُ وَبَانَتْ مِثْلُ مَا بَانُوا

أَمْسِيَّتِي يَا شَجَرَاتِ الْبَانِ مَوْحِشَةٌ
وَاسِيَّتِي بَنُو الْأَحْبَابِ حَيْثُ خَلْتُ

تؤم بالجزع ظلًا وهو عريان
من حيث لاح لها بالغرور إنسان
رنت بطرف كليل وهو حيران
عذرًا وثق أن بعض اللوم بهتان
باسم الخيانة إن الدهر خوان
فقلبه من خفايا اللطف ملآن
من الغصون لها الأوراق أردان
غصت فيه وصم الصخر أسنان

لم أنسها حين لانت بالفرار ضحى
فرت على الرغم منها بعد إلفتها
حتى إذا بعت عن عين قانصها
دع لومها أيها الوادي فإن لها
ولا تسم طاهرات الذيل إن نفرت
هذا نسيمك سله عن شمائلها
كأن سيلك دمغ كفكفته يد
كأن فيك الفضا زاد وأنت فم

اليتم

ووداع بائسة به لكفيل
أن يدفع الآلام بالتعليل
قد شابوه برقة ونحول
غصصًا وراء حجابها المسدول
ولرب صبر لم يكن بجميل
معها على جسد هناك نحيل
كبصيص نور في الظلام ضئيل
منه إشارة مؤذن برحيل
صدمات سيف في فؤاد قتيل
مرعوبة من قانص أو غول
ومصاب كوكب سعدا بأقول
بحياة صببتها من التبديل
عما دهاها ليس بالمسئول
آلام تعبت في حشا المكفول
وفراخها في عشا المجهول
كوقوف ركب في رسوم طول
ما بين معتل وبين هزيل

هدأ الدجى لولا أنين علي
طال السقام عليه حتى اضطره
وتزيده ألمًا كآبة صبية
وحليلة كم كابدت في بؤسه
تتكلف الصبر الجميل فلم تطق
وتدير عينيها فلم تر مسعفا
لم يبق منه غير طرف فاطر
حتى إذا قرب السرى وبدت لها
هتفت وللزفرات في أحشائها
ورنت كما ترنو المهاة لخشفها
وكأنها شعرت بسوء مصيرها
وتيقنت فيما سيحدث بعده
فنتهدت جزعًا هنالك والقضا
أودى بكافلها ولكن أودع الـ
كحمامة وقعت بقبضة صائد
وقفت بجانبه تكفكف دمعا
تخفي الشجا وهنًا وتنظر حولها

يتضوَّرون بمسمعٍ من جارهم
يحيي الدجى طرباً وخلف جداره
ودت تشاطره الردى حذر الشقا
وسرى الخيالُ بها لماضي عيشهم
كانوا بحيثُ الخطب يخشى قربهم
حتى أحال الدهر ساحة دارهم
ولكل شيء في الزَّمان نهاية
ومن المصائب ما يهون إزاءها
ما للألى حملوا سرير فقيدهم
بقيت تُعالج بؤسهم في صبرها
ولربما أنفَ العزيزة نفسه
قلَّ للمعين لها على الزمن الذي
وترى إذا ما الفقر حل بمنزلٍ
ومن البلية أنهم لم يعهدوا الـ
سئمت على الذلَّ الحياةً وهكذا
فدعتهم كظعائن في قفرة
لو تنطق الأجداث عن حال الألى
لبكيت من ألم المصيبة رحمة
إنني لأشعر في اليتيم إذا بكى
والله أوصى باليتيم عباده
يا ملجأ الأيتام كم لك منة
أنقذت من أيدي الخطوب بقية
سيسجل التاريخ برك بعدنا
جدد لهم أمل الحياة فرُّبما
وارُجُ المعونة من إلهك والألى

فكأنَّ بينهم مسافةٌ ميل
غرثى تبيت بزفرة وعويل
لو كان يقنع منهم ببديل
ونعيم ظل في ذراه ظليل
فكأنهم أسد الشرى في غيل
كهف الحطوب ومسرح التمثيل
وكذا الصعود معقب بنزول
ورد الردى بمُهَنَّد مصقول
لم يعبئوا بوديعة المحمول
سراً وظهر الصبر غير ذلول
من أن يمد إليك كف ذليل
كثرت به عقبات كل نبيل
يوماً تباعد عنه كل خليل
بلوى ولا اعتادوا على التطفيل
وردت حياض الموت بعد قليل
راحت مشتتة بغير دليل
ذهبوا ضحايا ذلة وخمول
وكفكف مجملها عن التفصيل
خوف الأسير وذلة المغلول
في مُحكم القرآن والتنزيل
في جيد كل مضيع موكول
سلكت بهم لولاك شر سبيل
والبر فيه أحق بالتسجيل
نال المؤمِّل غاية المأمول
بهر الفرات بهم عيون النيل

فعدى لم يرعَ للشرق نماما
أزعج الغازون في الليل النياما
كل نفس منك بغياً وانتقاما
فلقد أصبح مرعك حراما
نرَ من آثارها إلا ظلاما
ودواء أولدوا منه سقاما
بالذي عن شرف العلم تعامى
جعلتني أنظر الماء ضراما
فلماذا اخترت في الغرب المقاما
يوردوا غيرهم إلا جماما
قاذفات تنفث الموت الزؤاما
طيها للناس برداً وسلاما
كرم الأنفس والقوم الكراما
ارج طبق يا علم الأناما
ولها باسمك قد سلوا الحساما

نال فيك الغرب يا علم المراما
أيها العلم ولولاك لما
إن تكن غاية ما تطلبه
فابتعد يا علم واتركنا سدًى
أشرقت شمسك في الغرب ولم
رُبَّ شرٍّ سنج الخير به
لست ممن حبذوا الجهل ولا
إنما قد ساورتني ريبة
أنت إن لم ترضَ فيما فعلوا
وردوا منهلك العذب ولم
ملئوا باسمك أرجاء الثرى
ودعوها رحمة تحمل في
عد إلى الشرق لتبدي لهم
وأت قومًا لك في تاريخهم
وتنصل من دماء أهرقت

* * *

تجعلوا منه إلى الظلم دعاما
فهو العروة لا تخشى انفصاما
لم تكذبُ تبصر في الصبح الإماما
وأماطت عن مَحياها اللثاما
كيفما شئتم عراقًا أو شامًا
فاحذروا أن يملك الغير الزماما
فأعيروها التفاتًا واهتماما
يحرز النصر من اسطاع الخصاما
يغمُ العجماء والصقرُ الحماما
إنما الدارع لا يخشى السهاما

يا بني الشرق خذوا العلم ولا
واتقوا عادية الدهر به
واكشفوا فيه القذى عن أعين
هذه الشمس تجلت لكم
ومضى الليل فسيروا خبيبًا
جعل الله لكم أوطانكم
ودعتكم للعلی آثارها
إنما العيشُ خصام وبه
وقضى الدهر بأن يختطف الضُّ
فاجعلوا الوحدة درعًا لكم

وخذوا العبرة من تاريخكم كيف آل الأمر بالملك اقتساما
لا يسوس الملك شعبٌ لم يكن من رضاع العلم قد جاز الفطاما

* * *

يا نداماي وما قيمة من ترك اليقظة للدهر وناما
أنا لا أعرف إلا بطلاً صارع الباطل أو بالحق قاما
حمل العفة في أثوابه ورأى الإخلاص فرضاً فاستقاما
أبت الحرمة نفسي لامرئٍ يحسب العيش شراً وطعاما
هيكل ألبسه الدهر من الـ وشى برداً ومن التبر وساما
فاحرفوا الأقداح عناً فرغاً واحفلوا بالأكؤس الملائى مُداما
نحن في عصر يرى الغرب به ضعفاء الرأي في الأرض سواما
دولة الأضنام زالت ومضى عصر من أحنى لها الرأس احتراما
لا تلوموا الدهر في أعماله إنما العاجز من أبدى الملاما
أيُّها القطر الذي في مجده ضارع النجم علواً ومقاما
كُلُّما رمتُ أناجيك بما في فؤادي قطع الدمع الكلاما
لك في عهد حمورابي على سائر الأقطار فضل لا يُسامي
وعلى آثاره قد شهدوا أنك المبدع في الأرض النظاما
ودعاك العلم من أشياخه فلماذا صرت يا شيخ غلاما
هل أعت الشيب أيام الصبا أم تراجعت إلى دور اليتامى
بدأ العلم بمغناك فهل فيه تحظى اليوم بدءاً وختاماً

أنا في سورة من الأحلام

خطأ كان ... فاذهبي بسلام واغفري ما اقترفت من آثامي
وتناسي بحرمة العهد ما كـ تـ تقاسين في سبيل غرامي
من عتاب مرٍّ وآلام شكوى فيهما قد تصرّمت أيامي
غرني طيفك الملم بجفني حينما كنتُ غارقاً في منامي
وتخيلت أنني فزت بالقر ب وأدركتُ منك بعض مرامي

* * *

لستُ أدري وليتني كنتُ أدري أنا في سورةٍ من الأحلام
هكذا يغلب الخيال على النفس س ويسري الكرى بقوم نيام
ويضل الهوى العقول فتقتنا د سراعًا له بغير زمام
بينما أمزج التحية بالعتد ب كمزج الأرواح بالأجسام
إن سبقت النجوم في فلق الصب ح فرد الصدى عليّ كلامي

* * *

ثاب رشدي بعد الضلال فعذرًا لك مني وأنتِ بنت الكرام
وانجلي الليل ضاحكًا من خداعي حين شقَّ الصباح ستر الظلام
وبدا لي كيف الحقائق تخفى في مطاوي الأهواء والأوهام
ها أنا واهم على الرغم مني في عتابي على رفات رمام
وعجيب من أن أبيت بك اليوم م طروبًا وأنتِ رهن الحمام

* * *

في عداد الموتى ولكنَّ شوقي وحناني قد مثلاك أمامي
أنعمي الطرف في قوامك فالأج داث أودت بحسن ذاك القوام
وأطيلي الحديث عن ريقك العذ ب وقد جفَّ في طباق الرغام
خادعتني بالقرب منك الأمانى مثلما خادع السراب أوامي
هذه قصتي، ورُبَّ بريء خطأً قد أصابه سهم رامي

* * *

أيُّها الليلُ أنتِ أضللت فكري وأمرت الخيال باستخدامي
أنتِ صورت لي بساط سليما ن ووطأ السماك في أقدامي
وجعلت الرِّياح تجري بأمرى فوصلت الأنجاد بالإتهام
ونقلت الصرح المُعد لبلقيد س فأنزلته بدار السلام
منزلي إن أتيتَ فرق الثريا أو أتى الصبح فالحضيض مقامي

* * *

فدع الخدع أيها الليل واترك لعيوني سذاجة النوام
أنا لولاك ما طلبت حراگًا من رميم أو رشفة من جهام

الأدب العصري في العراق العربي

كم سَمِعْنَا نغمًا ولم نَرَ عودًا ورأينا عودًا بلا أنغام
ضاع عمري ولم أجد فيك إلا موج بحرٍ من الهواجس طامي
رُبَّ رأسٍ تكلل الشيب فيه وتراه يقل عقل غلام

محمد الحسين كاشف الغطاء

اطلب ترجمته ورسمة ونخبة من نثره في قسم المنثور من هذا الكتاب.

وقفه عند تدمر^١

عبر لو وراءهن اعتبار
أيي آي يتلو لنا غابر الدهـ
كل يوم يتلو علينا عظام
كم على هذه البسيطة من
دمرته الأيام حتى على تد
وهي تلك العصماء طال لعين الشـ
دمرت تدمر عجائب كل الـ
للنبيين معجزات وإعجا
لأبيه لان الحديد ولانت
وقفت طوع أمره كنسور
وسوار تُناطح الفلك الأعـ
لو بشم الجبال قد وزنوها
بنقوش كأنما هندسي

وأدكار لو ينفع الإدكار
ر ولكن على العقول غبار
قدمت في حدوثها الأعصار
حر صنع فيه العقول تحار
مر يأتي الفنا ويقضي الدمار
مس عن نيل شأوها الأقصار
كون حتى في الكون منها انبهار
ز سليمان هذه الآثار
لعلاه الصخور والأحجار
وقفت حيث ما لهن مطار
لى وتعلو منها له أسوار
رجحت كفة وخف العيار
خطها في يمينه الفرجار

^١ من الرحلة الموسومة بنهزة المسافر ونزهة المسامر.

تتلاقك في صفا الصخر منها
وطيور قد سُرِّي الريش منها
ناشرات قوادماً وخوافي
هكذا تعظم العقول وتعلو الذُّ
هكذا تبلغ النفوس مناها
قيل قد كان للأجنة ما بيـ
قُلت كلا فأين للجن لولا
«لو سعت بقعة لتعظيم أخرى
لا يظن الجهول ذلك لهواً
حاشا لله بل لتعتبر النا

* * *

ت طويلاً وتذهب الأعمار
أين تلك الأعمار والعمار
ها وبعضٌ من السكوت حوار
ر فتُبني قصوره والديار
لك في غير هذه الدارِ دار
لو يُفيد الإعذار والإنذار
قائمت وغُيبٌ حُضار
ذب أو خف سكرنا والخمار
ر علينا إلا الفلا والقفار
صامتات وكلها تذكار
ض فُمت أو يعيش لك التسيار
ر فقالوا لبعضهن قرار
كل نجمٍ في فلكه سيار
جو هذي الصخور والأحجار
عرفته الرموز والأسرار
للألباء تسفر الأسفار

عمر ك الله تبقى العمارا
بقيت هذه العمارات لكن
سل سليمان أين بلقيس أو سلـ
أفمن بعد تدمر يخدع السحـ
خلُّ دار الفنا ودعها لتُبني
هي من بعض منذري الله فينا
ناطقات صوامت وسواري
لو أفقنا من سكرة الأمل الكا
ما بنينا في الأرض دارًا ولا دا
حكّم في عظاتها بالغات
تلك إحدى فوائد السير في الأر
أخطأ الباحثون في الأتجم الزهـ
لا تَحَلُّ في السماء ثابت نجم
إنما الثابتات في كريات الـ
لا ولكن لهن سير خفي
لو علمنا عن أي باهر علم

لاتخذنا الأوطان كالقبر والأحد
سافروا تغنموا وما الغنم إلا الـ
وكفكاف الذكر الحكيم فكم فيـه
سياء لا ينبغي لها الأقباب
علم لا درهم ولا دينار
سه على الأمر بالسرى إصرار

* * *

حَلَّ عني يا خِلُّ نكرك للأو
وطني ما أصير بعدُ إليه
لا الذي قد خرجت منه وكلي
لوثت جوهرى الشريف به الأثـ
بعض هذا وحب ذاك من الإيـ
فتخير له من البرِّ زادًا
فسيأتى عليك يوم عصيب
طان أين الأوطان والأوطار
وإليه المأوى وفيه القرار
فيه جهل وخسة وخسار
ذار منه وزادت الأكدار
مان ما يظنه الأغمار
لك ما دمت أنت والإختيار
ليس فيه عن العثار اعتذار

عزمات العرب

يا عزمات العرب البواسلِ
قومي فلا موضعٌ للقعود أو
أنتِ رعيتِ الملكِ في شبابهِ
فكيف لم تحتلميه كاهلاً
هذي الذئابِ اعترضت لغابكم
ما الملكِ إلا صارمٌ وأنتمُ
أين الحميات التي تسعّرت
دكدكتمُ أمسِ عروش قيصر
فيا بقايا يعربٍ حسبكمُ
عودوا لأصلِ عنصرِ العربِ الذي
أنتم فروع دوحة واحدة
ما فرقتم أديانكم بينكمُ
ألا مساعير يثورون لها
ترقص عند الحرب مهما سجعت

هَبِّي لحل هذه المشاكلِ
يسكن غلي هذه المراحل
حتى احتملتِ على الكواهل
مهدد الحوزة بالغوائل
تعرض البغاث للأجادل
من صدره بموضع الحمائل
منكم بتلك الأعصر الأوائل
وطاق كسرى وصروح بابل
من رقدة الجهل أو التجاهل
كنتم به من أشرف السلائل
فكيف قطعتم عرى التواصل
لكنها سياسة من خاتل
بسلة البيض وهز الذابل
من الحديد سجة العنادل

على الإخاء العربي اجتمعوا
 إن كان لا بُدَّ من الموت فمت
 تموت كي تحيا وتحيا أُمَّةٌ
 تطامننت للذلِّ بعد عزة
 واليوم عادت فضلة من بعدما
 يا دارهم أين بَنُوكِ والألى
 وقفتُ في آثار آبائي الألى
 أسألها عن باهر المجد الذي
 أسألها عن قاهر العز الذي
 فكيف أضحي خاملاً من بعد ما
 أضاءت الشرق مصابيح له

فيا لها أخوة لعاقل
 بالفرِّ تحت عُثِير القساطل
 أودت بها سخيمة التواكل
 هُزَّت رواسي الأرض بالزلازل
 كانت لها سابقة الفواضل
 بَنُوكِ بالعلوم والفضائل
 أسأل الدمع كنهر سائل
 قطوفه دانية العثاكل
 أغنى عن الحصون والمعازل
 زهى كزهرو الروض في الخمائل
 واستشرق الغرب من الفتائل

* * *

دونكها هدية من واقف
 تزف من مصر إلى نيويورك
 من خالص الإخاء لا مداهن
 نفثة صدرٍ يستطير شرراً

بين رجاء آيسٍ وآمل
 من نجفياً بهواك حافل
 وصادق الولاء لا مصاقل
 تطاير النار من الجنادل

ألا هذه مصر؟

هواي إلى مصرٍ ألا هذه مصرُ
 تمطى عليَّ البرُّ والبحر دونها
 وقلت لها يا نفس عزمك والسرى
 أجشمها أخطار كل مهولة
 أقول اصبري إن رمت نصرًا فإنما
 وإن أظلمت سود الخطوب مكامني
 فخضت أجاج البحر والبحر كالح
 وقد سار في ابن البخار كأنه

أعود الرجاء ذاي وعود الهوى نضراً
 فما عاق عزمي البرُّ عنها ولا البحر
 وصبرك والجلى وسعيك والعمر
 تماوت فيها الموت وانذعر الذعر
 هو الصبر معقود بوفرتة النصر
 فبعد ظلام الليل ينبثق الفجر
 وجُبت فجاج البر والبر مغبر
 خيال ولكنني بأحشائه سر

قمن بطيِّ الأرض حتى كأنه
يسابق سير البرق والفكر جاهد
إلى أن أنالتني ابنة النيل باعه
وقد غرني في الليل حسن ابتسامها
وأعجبني في وطنها لين الثرى

بجو السما يهوي على أجم صقر
فيسبقه فوتاً وقد أجهد الفكر
ومدت لترحيب أصابعه الحمر
ويا رُبَّ ليث للفريسة يفتُرُّ
ورُبَّ رماد كامن تحته جمر

* * *

فها أنا ملقى في حنايا ربوعها
نزيل ولا وجه يروق ولا روى
وواسعة لم ينفسح بي صدرها

كأنِّي فيها قد تناساني الدهر
وضيف ولا ماء يرق ولا خمر
ولم ينشرح لي قط يوماً بها صدر

لامية العرب الجديدة

إلى كم ترامى بي المنى والمنازلُ
وما لي لا أنفكُ إلا مقسمًا
وما لك يا قلبي كأنك طائرُ
فلست براءٍ ما حييتُ ابن نجدة
تعالج أمراس الحياة وإنها
أكلك يا عمري هموم وهمة
وكلكم يا قوم في القول فارس
فحتى متى هذا الخمول ورُبِّما
يناضلني دهري ولا حول لي به
فيا ثعلبي الرمي لحظك رائش
إذا شئت إن ترمي فهذي حشاشتي
ألا لا تُغالطني فإنِّي عالم
أعاذلتني إن أبصر المرء قصده
تقولين هذا النجم حتامَ غائب
وهذا النمير العذب خلَّى سبيله
تعطل جيد كان بالأمس حليه

وتقذف بي لَجِّ المنايا المناهلُ
مُقيم لبانات وجسمي راحل
وما لك في الدنيا سوى الهم طائل
ولا ابن عطاءٍ في زمانك واصل
حبالٌ ولكن للمنايا حبال
وكُلِّك يا أيام لهو وباطل
ولا رجلٌ إلا وفي الفعل راجل
ذوت فرهت بعد الخمول الخمائل
وكيف وسهمي أفوق وهو ناصل
وقدك عسال وعطفك ذابل
وإن شئت أن تصمي فهذي المقاتل
بأنِّي مقتول وأنك قاتل
فأهون شيء ما تقول العوائل
ونير هذا الأفق حتامَ أقل
وكانت ضفافاً من جداه الجداول
وأقوت ربوع أمس فيه أوائل

فقلت دعيه إنما العمر رحلة
وتلك الأماني سائقات لغاية
علمت ولما عاد علمي ضائري
أعاذلتي إن كنتُ بالفضل حاليًا
فلا تحسبني ضارغًا عند نكبة
ولا أن عزمي مثل نبري واهن
دعي اللوم إنني ما توانيت كاسلاً
لقد قام مني السعي والحظ قاعد
وقد بلغت نفسي من الجد عذرها
لطفتم فلم يشعر زمني بموقفي
وقد قيدت عزمي الهموم بغلها
فصبرًا لها يا نفس وهي كثيرة
وهذي سطور الشيب خُطت بعارضي

* * *

أذات اللمى المعسول ريقك منهل
ردي دمع عيني فالربيع مصوح
ولا تعجلي عمًا يجيء به غد
وخيل لي في مصر لمحة بارق
وما أنا فيها واغل بمذلة
وكم مُحيت فيها حقوق كريمة
ودورك فيها يا أبا الطيب ارتمي
فأفلتُ منها ناكصًا وعزائمي
أقول لها لو يُصبح الأيكُ عالمًا
أمصر ربوع العيش منك زواهرُ
تناهيت في طول التمدن فاقصري
أيا مصر لا واديك بالنجح نافح
لئن ضقت عني فالبلاد فسيحة

شعري وشعوري، وعواظي ولطايفي (على رسم له)

بني آدمٍ إنا جميعاً بنو أبٍ لحفظ التآخي بيننا وبنو أمٍّ
رأيتكم شتى الحزازات بينكم وما بينكم غير التضارب بالوهم
فلا حجبٌ فيكم تمد على حجي ولا حزمٌ منكم تشد على حزم

* * *

وقد عطفتني باللطايف نحوكم عواطف جنسٍ لم تزل علة الضم
فأهديتكم بالود نصحي قائلًا عليكم سلامي دايبا ولك سلامي
وألفت بين اسمي ورسمي راجيًا حياتهما إن بات تحت الثرى جسمي
عساني إذا أبلى أنال بذكركم حياةً وحسبي من حياتي ذكر اسمي
أروم بقاء اسمي ورسمي بينكم ولا نافعي إسمي الغداة ولا رسمي
خذوا ظاهرًا من صورتني فضميرها تصور من روح التحنن والرحم
يود لو أنّ الأرض تصبح جنة تفيئكم ظلّ السلامة والسلم
وأنتم كأملك السماء محبةً تذود شياطين العداوات بالرجم

* * *

بني آدم رحماكم في قبيلكم فقد جزتم برّي العظام إلى الهشم
حناناً على هذي النفوس فإنها سَمَاوِيَّةٌ من رشح ذياك اليم

* * *

وما أكثر الداعي بنا لهداية وما للهدى منّا سوى الهد والهدم
تصدع في أهوائنا جمع شملنا ونسعى وكلُّ نحو غايته يرمي
أيا صدع هذا الجمع هل من تلايم ويا شعث هذا الشعب هل لك من لم
هلمّ نعيش بالسلم عصرًا فإننا قضينا عصورًا بالتضارب والدم

* * *

تخارس إذا الأذان صمّت عن الدعا فأضيع شيءٍ دعوة الصم والبكم
يقولون للإصلاح نسعى ورُبّما طلبت الشفا فازددت سقمًا على سقم
إذا كانت الأفعال نثرًا نظامها فلا خير في نثر المقالات والنظم
وكل فتى يبغي العلى غير أننا كمقتنص صيدًا يروم ولا يرمي

أبتك يا ابن الأرض في الليل لوعتي
سعدت هنا لما بعدت مسافة
تباعدت عن هذي الشرور فليت من
وإني وما في السعد والنَّحس فكرتي
يرحب صدري بالهموم لأنني
وما عزمتي نارًا بزعمي وإنما

* * *

سئمت حياتي مذ شهدت حقيقتي
ولم أدر علمي نافعٍ أو جهالتي
أرى أممًا تدعو العلوم لها أبا
وما كل علم يجلب السعد للفتى
إليكم بني الأديان مني دعوة
إلى السلم فيكم والتساهل بينكم
لقطعتم رحم الإخاء وأصبحت
وما بينكم كم من حقوق شريفة
جرحتم شريفات العواطف بينكم
فدونكم «شعري» ولست بشاعر
نظمت لكم أفلاذ قلبي بدعوتي
أريد بكم خيرًا وتنحو لشرها
وكلُّ سعى نحو الحقيقة جاهدًا
يقولون إنَّ الدين فرَّق بيننا

* * *

وما أدعي في دعوتي فضل عصمة
ولكن بها أهديت نصحي قائلًا
ولا استنزلت لي الشاردات من العصم
«عليكم سلامي دائمًا ولكم سلامي»

الجمال عذاب

سئمت حياتي بهذا النَّفَقُ فكم ذا العناء وكم ذا القلقُ
يقلبني موج هذي الصرو ف فلا للنَّجاة ولا للغرق
أمرعى وما هو إلا الوبيل ووردُ وما هو إلى الرنق
ففيم التنافس ما بيننا وفيم تلهُفنا والحرق
إذا كان آخرنا للفنا ء ففيم الرياء وفيم الملق
وإن يكن المال حظ الزوا ل فما حنق المرء إلا حمق

* * *

أجلك يا نفس أن تقنعي بهذا الطعام وهذا الطبق
أعيدك من كون هذا الفسا د ومن باطل يتزيا بحق
تحدرت من عالم نيير تصبب بالقدس ماءً غدق

* * *

فكيف هبطت إلى سافلٍ وقد كنت شامخ علم سبق
وكنت سراحاً بروض النعيم فمن ذا رماك بهذا الوهق
ويا طائر القدس أنى وقعت بهذي القيود وهذي الحلق

* * *

وكيف اتحدت بهذا الكثيف وطبّعك أرقى سمًا بل أرق
وليس عليّ أبي قد جنى ولكن نفسي بلوم أحق
أتاح البلاء هوى قد طرى وما هو إلا عناء طرق

* * *

أغرّك زبرج هذا الجمال ولا تعلمين إذا ما اعتلق
تألق زخرفه مُعجِبًا ولم تدر ما خلف هذا الألق
أبيحك أني عنه رغبت إذا ما عشى نحوه من عشق

* * *

وخاطرت حُمره هذي الخدود فإنّ الظلام وراء الشفق

وعفت القوام على أنه لذيذ المُقَبَّل والمُعْتَنق

* * *

فكم حيَّة ليْنُ مَسُّهَا وكَم عُمر حيِّ بها قد زهق
ويا واو صدغيه والثغر منه بلائِي منك بعطف النسق

* * *

ويا مقلتيه وألحاظه أخاف سيوفك إذ تمتشق
أسرت فؤادي بتلك الجعود وقد خافها مدمعي فانطلق

* * *

ومحتكم في مزايا الجمال له كل ما راق منها ورق
حذارك من وجنتيه فقد تقحمها خاله فاحترق

* * *

وكم ضاع أبيض حظ على سواد الشعور وسود الحدق
فيا لائمي قد كُفيت الملام ويا مُقلتي قد أمنت الأرق
أريد جمالاً خلا من أدنى وأطلبُ عيشاً صفا من رنق

صحيفة الحب

خلياني ملازم الخلوات
خلياني أجوبُ قفر الفيافي
وأناجي النُّجوم في الليل رام
خائضاً في السماء لحي بحر
حيث تطفو الشموس فيه حباباً
حيث ساد السكون في الأرض حتى
حيث مرج الأثير يقدح ناراً
حيثُ كفَّ الظلام مدت رواقاً
حيث حُضن الظلام ضمَّ إليه
حيث ثغر السماء يُوحى لثغر الـ

حول درس الأكوان والكائنات
وأزور الوحوش في الفلوات
بشواظ النيران للنيرات
كم له في المجر من غمرات
وتهاوى النفوس كالثاقبات
ما لغير الأرواح من همسات
ترتمي للضمير في جذوات
وشمته النجوم باللمعات
كل حيِّ واستام كل حياة
أرض رمز الحياة بالنسمات

خلياني هناك جوهر فكر
سائلًا واللسان سائل دمعي
أين مثوى السلام والحُبِّ في الأر
ض وأين الهنا بغير هنات
أو كروح تطير في نفثاتي
شاكيًا والزَّفِير بث شكاتي

* * *

ظلمات يا حب أنت وحقًا
إن خلف الشهود غامض سر
لو تجلّى عرفت في الكون نفسي
هو معنى والحب أدمج فيه
هو معنى الجمال والحسن لفظ
إن ماء الحياة في الظلمات
من وراء الشكوك والشبهات
أو تبدّى علمت ما كنه ذاتي
كاندماج الحروف في الكلمات
والمُسَمَّى والحسن بعض السمات

* * *

أنا بعثُ الجمال بالحُبِّ روحي
يوم قال الجمال هاك وهات

حقيقة الجمال

ألكني إليك خفير الهوى
حبيبي رمت بك عني النوى
هنيئًا لك النوم أني سهر
يناجيك مني روح الخيال
وأبغي حديثك لي مع لقاك
فيا ظبية البان عني إليك
صبوت لكل أغر الطباع
وليس وزان جميل الخلاق
إذا ما المحاسن يعرضن لي
رأيتُ الجمال بغير الكمال
وغيداء ما أنا من همها
نحلتُ فصرت إذا ما بدت
فشوقي ولكنه لا لها
فهل من حديث وهل من خبر
فأين الثواء وأين المقر
ت وأنت سميري وفيك السمر
ويحضرك الشوق لي والفكر
فأرعى الثُريا معًا والقمر
فما لي عند الظبا من وطر
أهيمُ به لا بوجه أغر
لديّ وزان جميل البشر
طلبت حقايقها لا الصور
كعود زها وهو مُرُّ الثمر
زرعت محاسنها بالنظر
«أريها السهى وتريني القمر»
ووجدي وما الدل بي والخفر

يروق لي الحسن لكنه
أكاد أطيّر لحب الكمال
ويُعجبني كل سبط الشعور
ويملك ودي كل امرئ
ومن يأمن الناس من شره
حناناً بني آدم بينكم
وها نحن من شجرٍ واحدٍ
بخلق الفتى لا بخلق الغرر
تطور لا لملاح الطرر
وإن كان في العين جعد الشعر
يروق ويصفو على من كدر
أأمن في ربه أم كفر
ورفقاً فإننا جميعاً بشر
فواعجبي لاختلاف الثمر

بعد حرب الطليان والبلقان

سلّ لدى الحرب ألسن النيران
أو سل الأرض ما جرى فسيول الدّ
أو سل الشرق ما لقيت من الغر
كم بريئات أنفُس أشبعتها
كم مصابيح أوجه أطفأتها
كم تذييق النفوس مران حتف
كم ثمار قد أينعت من رءوس
سل قذيف المكسيم كم من خراب
كم جريح مُلقى وآخر شلواً
كم رءوس أودى بها حمم القلب
كل أن تهمي القنابل كالمز
كم نساء أضحت أيامي تعاني
تعقد الراحتين بالقلب مهما
كم ثكول تشجي الحمامم بالنو
ولكم أم واحد ذات رزء
أفهذا وضع السلام على الأر
أيها المسلمون هبوا فليس الـ
قد دهاكم ويل فماذا التماذي

عن صنيع الإنسان بالإنسان
م فيها هدّارة بالبيان
ب وعدد غرايب العدوان
غصص الموت جاشعات الأمانى
واغرات الصدور بالشنآن
وخزات المراء لا المران
فجنتها بالظلم كف الجاني
سيم خسفاً فيه على العمران
وصريع مضئى وآخر عاني
ع فسالت غازاً على الجثمان
ن عليها من الحميم الآن
من يتامى فقيدها ما تعاني
نثرت بالدموع عقد جمان
ح فتبدي غرائب الألحان
ما لها عن عويلها من ثاني
ض وهذا تمدن الإنسان
موتٌ إلا حياتكم بهوان
وأتاكم سيل فما ذا التواني

جاءكم جارف من الغرب تيا ر يهدُّ البنا وأس المباني

* * *

يستغيث الإسلام فيكم فيلقى
 صارخًا فيكم فهل من سميع
 أفيرجو الإسلام لقيان سلم
 إنَّ بيض الوجوه سود إذا لم
 إنَّ لبس الثياب خزيُّ إذا لم
 إنكم والنساء — ما لو تذودوا
 إنكم — والأوطان فيها الأعادي
 إن عز الملوك في حفظها الأمـ
 حبذا موتنا على مورد العزِّ
 كشر الشر عن عواطف سوء
 بينات تبين نيات بغي
 أظهر الغرب ما أجنَّ من الغد
 وأحاطت بالمسلمين علوج الـ
 يتشكى «المراكشي» اعتصابًا
 وإذا ولولت «طرابلس» في الغر
 غير أنَّ الزمان يبدي صنوفًا
 فانتظر في صحيفة الكون ماذا
 إنما الدهر منجنون جنون
 ولكل شأن من الأمر والكو
 يصرع البغي أهله مُستثيرًا
 غير أنَّ الإسلام ضلوا عن الحز
 أنذرتهم وقائع الدهر فيهم
 فتعاموا عن العظات وهاموا
 استلنا نعومة الغرب حتى
 تركوا دينهم لدُنيا سواهم

عنه منكم تصامم الآذان
 صرخات الإسلام والقرآن
 «بعد حرب الطليان والبلقان»
 تغدُّ حمراء من النجيع القاني
 تجعلوها لكم من الأكفان
 عن حماها عدوكم — سيان
 تتهادى — عارٌ على الأوطان
 لآك لا في العروش والتيجان
 وبئست حياتنا بهوان
 ليس تبقى رسمًا من الإحسان
 أنضجتها تقلبات الزمان
 ر وأبدي كوامن الأضغان
 بغي من كل جانبٍ ومكان
 وكشكواه يشتكي «العثماني»
 ب أتاه العويل من «إيران»
 من حروف غريبة الألوان
 سوف يملي عليهم الملوان
 ما على حالة به من أمان
 ن يرى كل ساعة في شأن
 وعلى نفسه سيجني الجاني
 م وناموا على غرور الأماني
 ناطقات لهم بكل لسان
 بزخاريف نعمة وليان
 راعهم منه نهشة الأفعوان
 رُبَّ ربح يكون من خسران

وإذا القلب كان أعمى عن الرشـ سد فماذا تفيده العينان
وإذا ما اليدان لا تدفع الضيـ سم فأولى بالقطع تلك اليدان
ليت من لا يكون ذا حرٍّ دين في البرايا يكون ذا وجدان

بين الغرام والسياسة

حاكم جار واستبد لا يفي بالذي وعد
يشرب الماء بالروا ء ويسقيني الثمد
كم سبح لحظ عينه وفؤادي له سجد
قد أعان العدى عليَّ ولم يبق لي عدد
فهو ظبي على العدى وعلى أهله أسد

* * *

رمت جهلاً به الصلا ح وقد فاتني الرشد
كيف أرجو صلاحه وصلاحه به فسد
أيها الوالد المقدِّ س رحماك بالولد
أنت غصن الخلاف لم أجن منه سوى الكمد
قائد غير أنه للردى حينما ورد
أين وجدانك الشريـ ف وما ذا الذي وجد

* * *

يا ملك الجمال جنـ دك فيه بدا البدد
أفماء الحياء في خدك الأحمر انعقد
أم دم الحياة في وجنة منك قد جمد
ثغرك اللؤلئي من عقرب الصدغ في رصد
فندوني على هوا ك وأولى لي الفند
صيرونا طرائقًا حول أطماعهم قدد

* * *

قال صبرًا وما درى كنز صبري به نفد

لا تخلني مُحاجيًا أو أعمّي على أحد
أنت قصدي بما أقو ل «وحر وما قصد»

إلى صديق

عدال عَنَّا قَلْبٌ من الشوق مشبوب
ولوعة ناءٍ باعدته نوائب
تذكر من أحبابه كل غيرة
وكل أخ حلو الطَّبَاع تخاله
تباعد فإزداد اقترباً به الهوى
ونائين أفنوا مُهجتِي واصطبارها
فلو بقيت لي مُهجة لافتديتهم
فدت أوجهاً لم تعرف الأتس بعدها
وعين بها ابن الماء والنَّار قد جرى
تُدفعه نيران وجدي فيرتمي
وعندي لكم يا عرب نجد علائق
وفي البدويات الأعراب منكم
وكم مدّع صدق الوفاء بحبكم
فقلتُ له مذ غض منكم محاسناً
هل الحُسن إلا للحسان الأعراب

ومنها في وصف العرب:

يحنون إما للغواني أو الوغى
بَوادي لا يَأوون إلا إلى الفلا
فمن لي بقرب مُسعف من خيامهم
إذا هبت الأرواح منهم تباشرت
تعيد بنشر الشيخ والعود والكبا
لُسمر كعاب أو لسمر أكاعيب
فهم بين تعريج عليها وتأويب
وهم بين تقويض لهن وتطنيب
بنفحتها الأرواح من أرج الطيب
لهم نشر ذيل في ثرى الحي مسحوب

عشقت من الأعراب كل مصونة
كريمة أحساب بخيلة نائل
أصائل لا تنمي لأم هجينة
إذا اجتلب الحسن اقتسارًا تظاهرت

برمحين في أعطافها والأنابيب
رفيعة أنساب بديعة أسلوب
ولا لأب غير الفحول المناجيب
بحسنين مجلوب إلى غير مجلوب

نيران الحرب العظمى

خليها تشب في الأرض نارا
يتوقى الجماد لفح لظاها
خليها تُبِيد قَوْمًا فقومًا
وتدك العمران دارًا فدارا

تستحيل الأكوان فيها أوارا
ويخوضُ الإنسانُ منها غمارا
وتدك العمران دارًا فدارا

* * *

يا كرات الأفلاك ذي كرة الأر
فخذي يا سماءً بأسكٍ منها
فالمناطيد تستطير فضاءً
وقذيف المكسيم يلهب قطرًا
فهناك الأشباح تهوي رمادا
تصبغ الأرض بالدماء فتبدي

ض استحالت بالاصطدام شرارا
واحذريها إن استطعت حذارا
والأساطيل تستشيط بحارا
ومكين الرشاش يهمي قطارا
ولطيف الأرواح يعلو بخارا
خجلًا وجنة السماء احمرارا

محمد مهدي البصير



محمد مهدي البصير.

البصير: شعلة نكاء وشعلة وطنية، حرمته الطبيعة البصر الذي يكل، ولم تحرمه البصيرة الوقادة التي لا تخبو ولا تكل، فأحسن استعمالها، ووافق ذلك حدة في طبعه، وخير في نفسه، وهمة بين جنبيه، فقام يؤدّي واجب الخدمة لبني وطنه مما قصر عنه كثير من المبصرين.

سمعت شعر البصير من بعيد، يوم كان في معتكفه في مسقط رأسه، فشعرت بالشعور الذي فيه، وسمعته من فم الناظم، فزاد في عيني ما هو عليه الرجل من الغيرة الوطنية، والإحساس الدقيق، وكرم الطباع.

ومع أن الشيخ البصير وُلد وعاش شبابه في الحلة الفيحاء بعيداً عن بيئة العلم والأدب، ولم يمنعه ذلك من النظر — بعين الفكر عن طريق السمع — في أسفار الأدب وكتب العلم، فَحَصَّلَ منها شيئاً لا يُستهان به، ثم غزرت مادته العلمية بعد قدومه بغداد واستيطانه إياها زمناً، فوقف على الكُتُب الحديثة من مطبوعات مصر والشام، كما أن دخوله معترك السياسة بالخطابة، وإنشاد القصائد الحماسية الاستنهاضية في المحافل، رفعه إلى المنزلة التي يتمتع بها اليوم.

في شعر المهدي كثير من طباعه وأخلاقه، تعجبك معانيه البديعة، ويستفزك أحياناً أسلوبه المُبتكر، يحلي كل ذلك وطنية صحيحة، وشمم عربي طُبع عليهما هذا النَّابغة العراقي المحبوب.

وُلد محمد مهدي في الحلة الفيحاء سنة ١٣١٣ هجرية، وتتصل أسرته بقبيلة كلاب، وهي أسرة دينية تتبادل المقام المنبري على سبيل الإرث، اشتهر منها بضعة رجال في العلم والأدب قديماً.

نشأ في مسقط رأسه، وبعد أن تعلم المبادئ قرأ على جملة مدرسين قديرين شيئاً من النحو والصرف والمنطق، وقد حصَّل بالمطالعة نصيباً ليس بالقليل من العلوم العصرية، مع أنه فاقد البصر.

وأول شعر قاله سنة ١٣٢٧:

سلسال ثغرك يا رشا لم يُرَوَ منه العاشقون
وبريقك المعسول فلـ يتنافس المتنافسون

بارح الحلة سنة ١٩٢٠ وجاء عاصمة العراق، وظل فيها يخدم أمته بإلقاء الخطب والقصائد الاستنهاضية، ولقد كان من عمله تأثير كبير في بث الحماسة الوطنية، وتحبيب الاستقلال إلى أبناء الأمة في عهد عصيب، هو عهد ثورة ١٩٢٠ في العراق وبعده، فسُجِن في بغداد مرة، ونُفي إلى هنجام مرةً ثانيةً لاشتراكه في التدابير السياسية التي قام بها جمهور من العراقيين في بغداد وخارجها.

للمترجم قريحة وقادة وذكاء فوّار؛ فلا تقرأ عليه شيئاً إلا ووعاه، ولا تبادلته بالكلام حتى يجيبك على الفور بجواب فيه النكتة، وفيه الروعة مع السداد.
وليس للشيخ البصير مذهب خاص في شعره أو كتابته، إنما هو مطبوع على محبة الجديد، فيحاول أن يسير في هذه الطريق في منظومه غير أن تحصيله من ذلك أقل من جهده الذي يحمد عليه.
وهو مثال الجلد وقوة الإرادة، وقد انضمَّ إلى طلبة مدرسة الحقوق ليستمع الدروس الحقوقية ويستفيد.

واجتمع للمترجم مما نَظَمَه ديوانٌ ضخم، لم يسلم من نكبات الدهر مرتين؛ الأولى في واقعة الحلة الشهيرة، ففقدت مجموعته التي كانت تحوي ثلاثة آلاف بيت، والثانية اختلست منه في ٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٦ مجموعة تضم نحو ألفي بيت.

(١) آثاره

البابليات: وقد أخذ في جمع ما يتذكر، وما هو محفوظ من أشعاره في مجموعة حديثة، أسماها «البابليات»، فيها الشيء الكثير من سحر بابل، وكنوز الأدب والوطنية (لا تزال مخطوطة).

ديوان الشذرات: ديوان صغير يضمُّ مقطعات شعرية يتراوح عدد كلِّ منها بين السبعة أبيات والبيت الواحد. طبعه سنة ١٣٤٠هـ في بغداد.

المختصر: وطبع في بغداد مجموعاً ثانياً صغيراً من آثاره سنة ١٣٤٠هـ بعنوان «المختصر» حوى بدائع النظم ونفائس النثر.

(٢) لبيك أيها الوطن

إن ضاق يا وطني عليّ فضاكا	فلتتسع بي للأمام خطاكا
بعثت ثراك دمي فإن أنا خنتها	فلتنبذني إن ثويت ثراكا
بك همتُ أو بالموت دونك في الوغى	روحي فداك متى أكون فداكا
ومتى بحبِّك للمشائق أرتقي	كي ترتقي بعدي عروس علاكا

يا موطني أولست من أبنائك
فلتقترن زكريا في ذكراكا
أو لم يمنَّ به عليَّ هواكا
هي كل ما عندي وبعض جداكا
ما دام جفнк طافحًا بكراكا
تقضي عليَّ بأنني أركاكا
فيه أبيت مجاورًا صرعاكا
فاشرب دمي وأظن فيه شفاكا
وبفضل تجربتي أصبت دواكا
في جسمي الدامي وإن أبكاكا
متموج طربًا وإن أشجاكا
ألا تشخَّ منيتي بمناكا
ما كان أحلاه إذا حلَّاكا
فلقد وفيت وما عدمت وفاكا
أني أموتُ لكي أصون حماكا
فإذا قُتلت فقد سكنتُ حشاكا
كدر الحمام فلا وردت صفاكا
رُوحِي لأرخصها فما أغلاكا
أقصى رجاي بأن أنالَ رضاكا

هَبْ لي بربك موة تختارها
إن يندمج جسدي بتربك باليًا
أو يقتضب نفسي فما لي منة
أو جُدت في نفسي عليك فإنما
هجعات جفني لا يَمُرُّ به الكرى
لك قد خُلقت ومنك فيك فنسبتي
أتراك تضمن لي كرامة مصرع
كم أورثتك يد السياسة علة
ولقد علمت بأن داءك معضل
ويروقني أن الجراح تضاحكت
ولعلَّ صوتي حين أُخرج أنتي
خفِّض رثاءك لي فإني واثق
واحمل وسامًا فوق صدرك من دمي
ولئن مزجت دمي بدمعك سائلًا
ماذا عليَّ وما خسرت مكانة
قد كان حجرك ما حييت يضمني
إن لم أذُق لأذود عنك مُشَمَّرًا
ثق أنني سأذب دونك باذلاً
فليسخط الغربي أنني ناهض

* * *

فلتضمنن لك الحياة طبابا
ما كان أقصرهم وما أحجاكا
ما كان أفقرهم وما أغناكا
ربحوا قضيتهم بظل لواكا
من أجلها عُقدت فهم أعداكا
وسع المجال إذا استطعت حراكا
إن يجحدوك فهل تُطيق عراقا

كذبتك أقطاب السياسة عهدا
أفيطلبون لك الرعاية ضلة
ويؤملون لك المعونة باللها
لو أنصفوك لحرروك لأنهم
نقضت مطامعهم سياستك التي
أقم السكنية حيثُ يحسن وقعها
والمعرك الأدبي يعقب غيره

فيها يُجيب المشرقي نداكا
حصناً أشم به ترد رداكا
يغدون منها بالرقاب رُباكا
أخذته حتى صار من قتلاكا
ولغير أسرك لا يريد فكاكا
بحنينه ناغاك أو ناجاكا

لبيك يا وطني بكل ملمة
فلتبنينَّ لك الأسنة والظبي
ما أولع الأحرار منك بتربة
يصبو قتيالهمُ بكل صفيحة
وأسيرهم يهفو إليك جناه
يزجي الحنين إليك إلا أنه

(٣) يا علم

لتعيد شمس الشرق للإشراق
فملأت فيه مطالع الآفاق
أوداً وأنت مهذب الأخلاق
أيام دور مرٍّ منك عراقي
ورحلت عنا مؤذناً بفراق
قد أتبعك لك ضمهم بعناق
وتسابقوا قصبات كل سباق
لك فوق هذي الأرض أي رواق
سلكوا سبيل تضامن ووفاق
عيشاً فأنت مقسم الأرزاق
بالعسكرية وهي أحرز واق
حكم السيوف بها على الأعناق
لكنهم جُبلوا على استرقاق
لكن قلوب القوم غير رفاق
نزعات أقطارٍ هناك دفاق
بحماية الإرعاد والإبراق
فالجور آيسهم من الإعتاق
يد أسري يوماً تحل وثاقي
أولستُ أحمل منة الإطلاق

يا علم عش وأعش فعصرك راق
أرسلت نُورك في الفضا مُتدققاً
فمثقّف الآراء أنت إذا شكت
إن عدت غربياً فععلك ذاكر
نظروا إليك وقد قصدت ديارهم
فاستقبلوك وللنشاط مخائل
حتى وقفنا عاجزين وراءهم
وصلوا السماء فطنبوا بنجومها
أصلحت أمر الإجتماع لو أنهم
ورسمت نهج الإقتصاد لينعموا
وقضيت أن الأمن يُحفظ بينهم
فتوسعوا فيها إلى أن قرروا
علمتهم أن ينقذوا ويحرروا
أما العقول فقد رقت وتهذبت
ووسائل التدمير ها هي مثلت
هدموا السّلام فوطدوا آمالهم
ليحطم المستعبدون قيودهم
وأشقُّ من أسري عليّ بأن أرى
هب أن رحمة أسري ستفكنني

ولسوف أكرس غلَّ عنقي في يدي كي لا أسلمها إلى الأطواق

* * *

أنا يا رفاقي لا أريد سلامتي
إن لم تعش نفسي العزيزة حُرَّة
لأجَاهرنَّ بما تُكنُّ ضمائري
ولأصُعدنَّ إلى المشانق نازلًا
سُدوا أمام مقاصدي عرض الفضا
وغلى الدم العربي فيَّ فواجبي
غضبت لي الأجداد في أجداتها
فحلفتُ إما العز أو غصص الردى
أكثرت يا زمني مصائبك التي
والطامع المغرور دون مُخاتل
ماذا الذي يترصدون رقابة
صوتُ في رأيي فضح مُصَفَّقًا
يا غاية الشعب النبيلة قرري
إن تذهب الحسرات في أرقامنا
لتُوطننَّ لك المدارس حرة
ليُطبِقنَّ العلم عرض بلادنا
ولنقبسنَّ من المعارف شعلة
إن المدارس في البلاد حدائق
وإذا طما الإصلاح بحرًا مُفعمًا
غرس النهى أزهاره فهبوا لها
فتعلموا طب السخاء فقد شكت
لا يعقب الإمساك غير مَذَمَّة

فتذكروني إن هلكت رفاقي
فلأسعينَّ بها إلى الإزهاق
وليكنُّرنَّ وسائل الإزهاق
لثراي أو أطأ السها ببراق
فبذلت وسعي عند ضيق خناقي
تضميخ مجدي بالدم المهراق
لما شربت الهون مرَّ مذاق
أو لا فما أنا طيب الأعراق
ما كان مجهد عبثها بمطاق
من أمتي متسلح بنفقا
وعزائمي كشفت لهم عن ساق
شعبي: لموت أو لعز باق
للقاك كيف تسابق العُشاق
فردى وهاك بقية الإرماق
ليتم ما نبغيك باستحقاق
فالجهلُ أطبق أيما إطباق
ما إن يهدد ضوءها بمحاق
شجر العلوم بهن ذو إيراق
سقت المحيط من العقول سواق
يا قوم ثرة نائل دفاق
هذي المعاهد علة الإملاق
والحمدُ كل الحمد في الإنفاق

(٤) حول الأدب وخصائله

ردي إلينا رقيّ الشرق والعرب
وهل لديك سوى الأفكار من شهب
«وهل تدور الرحي إلا على القطب»
فلينهال الشعب من سلسالك العذب
لنا شرائع تنهاننا عن الكذب
فقد وجدنا بك العرفان خير أب
لا تنكر الزهر يوماً منة السحب
لقد نجحت وهذا منتهى أربي
مما تلابست الأشعار بالخطب
ففي المكاتب ما ترجو وفي الكتب
والرأي لم يعلّ والأخلاق لم تطب
فإنما الفوز كل الفوز في الطلب
ما أحسنَ الثغر إما حفّ في شنب
قوم يفوزون بالأسمى من الرتب
فإنها ذات شمل غير منشعب
إن بات يعضها ناب من النوب
أبناءها والعلا منهم على كذب
أم يحجمون وهذا أكبر العجب
ولا فخر إذا ألوّوا على رهب
من الذئاب لو أنّ الليث لم يثب
إنّ قال لا حكم إلا في يد الغلب
ظنّ المسبب أن يعطي بلا سبب
وللضعينة حبلٌ غير مقتضب
وكيف يخفى لهيب النار في العشب
حتى يُفرق بين الجد واللعب
إلى الحماسة يوماً باعث الغضب

يا مطلع الأزهرين العلم والأدب
ما أنت إلا سماء أطلعت شهباً
ما أنت والله إلا قطب نهضتنا
نحن الظماء وحوض العلم مشرعنا
يا أم نحن بنوك الصدق فانتهجي
يا أم إنّ يسقنا الإصلاح درته
ليشكرنك من هذبت فكرته
كان افتتاحك أقصى ما أوّمله
جاءت بك الحفلة الغراء شائقة
إن أمّلت أمة إدراك بغيتها
لولا المدارس لم تصلح مداركهم
إن يطلب المجد جدا في معارفهم
ما أفضل العلم إما زين في أدب
أواه من لي بأراءٍ يُوحدها
إن البلاد إذا آراؤها التأمّت
وكيف تحيا البلاد لا وثام لها
يا صاحبي وهذي الضاد قد جمعت
أيقدمون وهم أحمى الرّجال حمى
فلا صغار إذا هم دونها ثبتوا
ولن يُصان بليث الغاب مريضه
ولا ألوم قوياً في إرادته
لكنما كل دَمّي للضعيف إذا
لقد بليت بأقوام تكاشرنى
إني تبينتُ ما تخفي ضمائرهم
لا ألعبنّ لهم أدوار مُنتبه
لا كهرباء بنفسي لا يُحركها

وإنما كل هذا الكون معترك
 إن كنت يا صاح ألقيت السلاح به
 لا حقَّ للمرء في مجد يُحاوله
 لا تبخلي اليوم يا بغداد في ذهب
 جلت مواهب شعبي غير أنَّ له
 والحرب تسلمنا فيه إلى الحرب
 عجزًا فما أنت إلا عرضة العطب
 إن شَحَّ بالنفس أو إن ضَنَّ بالنشب
 على معاهد تحيي عصرك الذهبي
 عتبًا على كل ذي مالٍ ولم يهب

(٥) لِيُحْيِ الْعِلْمَ مَجْدُهُ

وطني والحق سينجده
 سيصوغ العدل لدولته
 ليعشَّ أبطال سياستنا
 ليهزَّ الرمح مُثقفه
 ولنطوِّ الجهل وندفنه
 ولنرفع راية نهضتنا
 سنثير الشعب وندقده
 سنعيد الشرق لسلطته
 أشقته سياسة مضطهد
 ستثير شמוש معارفه
 ستدرُّ منابع ثروته
 سنقيم صروح سياسته
 ونبث النور وننشره
 وظلام الجهل نمزقه
 أرشيد الشرق أعد نظرًا
 أبقيت العز له فعفا
 ولتشرف نفسك حيث رقت
 وابتعث عن طرق أشعته
 أين الزوراء ومَنعته
 أم أين معاهد حكمتها
 ما زلت بحبي أعبده
 تاجًا والله سيعقده
 ليفزَّ بالملك مؤيده
 وليُدِّم السيف مجرده
 وليُحي العلم مخلده
 فنذود الجهل ونطرده
 ونُقيم الكون ونُقعه
 وبحد السيف نحدده
 ستقلُّص عنه فنسعه
 والسعد سيزهر فرقه
 والعيش سيعذب مورده
 ودعام العدل نوطده
 ونراعي الحق ونعضده
 وشباب الحكمة نرصده
 في الشرق فإنك مرشده
 فأطلَّ عسى تتفقدده
 من فوق النجم فتشهدده
 صوتًا ستظل تردده
 ورقى الشعب وسؤدده
 والعلم ومن يتعهدده

أم أين معاقل قوتها
أم أين براعة ساستها
أم أين تناصح قادتها
أم أين نفوذ حكومتها
أم أين لوائٍ وحامله
أم أين الملك وشوكته
تاريخ كنت أبيضه
إن أخلق ثوب كرامتنا
فعلى اسم الله أعد شرفاً
وألعب أدوارك مقتفياً
وسلام الله عليك فثق

والجند معاً ومجنده
في أمر عز معقده
إن شب الزحف فتحمده
أو مطلقه ومقيده
والسيف ومن يتقلده
وطريف المجد ومقلده
لا عاش اليوم مسوؤه
يا «فيصل» أنت مجده
كنا للعرب نُشيدَه
خطواتي فيما تقصده
بالنصر فسوف تزوده

(٦) غيرة النعمان

يا علم أنت مُحرر الأوطان
وأقم بهم أود البلاد ليُصلحوا
أثر الحمية فهني ملء صدورهم
يا علم أنت أبو الصواب أخو النهي
بالله إن هدّبت عقل مُفكر
إن لم تمثل فيه جرأة باسل
علم رجال الشّرق أن يتكاتفوا
لتزف مصر إلى العراق وداها
علم فتى قحطان أن تسمو به
فإذا رأى غلواء كسرى عصره
حيثُ الوقود تناظرت وتساجلت
جالت هناك الرُّوم والهند التي
وتذكر النعمان سؤدد قومه
فأصاخ كسرى ثم قال بلهجة

فانشر لوك لنا على الشبان
ما أفسدته طوارئ الحدّثان
ودع الحفاظ يهز كل جنان
حقل السعادة زهرة العمران
منا فهبه نزاهة الوجدان
فليفضحك عنه عجز جبان
بقضية القاصي معاً والداني
وليرفق السوري باللبناني
همم الملوك الصيد من قحطان
فلينهضن بغيرة النعمان
بعلو قدر أو برفعة شان
أخذت تجاري الصين في ميدان
فأحلهم في الفخر أي مكان
تشدد فيها سورة الغضبان

حولي وأنتم بينها جيرانني
 بالجد من علم ومن عرفان
 آرائها والروم في الأديان
 خالٍ من الحسنى أو الإحسان
 حتى خسرتم أيّما خسران
 فهما بحمد الله مجتمعان
 ما نظمت ورقّت برأي يمانني
 فالفخر في تأسيسها للبانني
 شقيت لعمر الله بالسكان
 زمراً بلا ملك ولا سلطان
 بين العروش ترف والتيجان
 عند البيان وجاش كالبركان
 للعرب موهبة بكل زمان
 وتسابقوا في كل يوم طعان
 طوراً وتخضب بالنجيع الفاني
 بمخائل الفتيات والفتيان
 إن خفّ يوماً جانباً شهلان
 فاطلبه في خبر لهم وعيان
 ما لا يرد عليه من برهان
 شفّع الحنين رقيقه بحنان
 ليلذ فيه الحدو للركبان
 خدم ببيت المجد للضيغان
 مُتفئّين أسنة الممران
 يابّون دار الذل والإذعان
 ذنباً وصاحبها المُسيء الجاني
 عنه لبغي فيه أو طغيان
 سيفاً يعز به حمى غمدان
 لم أدّر أين مواضع النقصان

فكرتُ يا نعمان في الأمم التي
 فرأيت أنّ الناس تأخذ حظها
 فالصين في آلتها والهند في
 ورأيت حقاً أنّ شعبك خامل
 الجهل والإملاق قد حكما بكم
 أبذاك قل لي أم بهذا فخركم
 لا همّ إلا دولة اليمن التي
 لكن بنى جدي وأسس ملكها
 هيموا بأقطار الجزيرة إنها
 وأدوا البنات لفقرهم وتشتتوا
 فدعوا الفخار فما لكم من رايةٍ
 فتربيع النعمان ينصب عنقه
 قال: المآثر والمفاخر كلها
 فهم الألى ألفو السّماحة والقرى
 تنهلّ أنملهم بأمواء الجدى
 جمعوا الصبابة والعفاف إلى الحيا
 ورسّ حلوهمهم فهن رواجح
 ومن السجيا البيض عندهم الوفا
 أمّا الذكاء فإنّ في قرع العصا
 وتنافسوا بالشعر وهو مُهذب
 ضربوا به الأمثال وهي بديعة
 يعتادهم كبر الملوك وإنهم
 ركبوا منون الخيل وهي حصونهم
 بادين لا تحضرون لأنّهم
 لكنما اليمن العظيمة قد جنت
 وتر القبائل حوله فتنافرت
 ولو اتقى بهم الخطوب لسلمهم
 تمّ النهى في العرب حتى أنني

فيهم وإن رجالهم أعواني
فيهم فتنصرها يدي ولساني
لتنير بالإفصاح والتبيان
خلق الكريم وشيمة الغيران
يطوي الضلوع على حشاشة عاني
متوافدين له بغير توان
موصولة بمقالة الرنان
يخشى دسائس صاحب الإيوان
ما قد أسرَّ لهم من الشنآن
حُكماء أو ببسالة الشجعان
كالسلسبيل يروق للظمآن
ولرُبِّما نثروا عقود جمان
في ذكر مجد العرب متفقان
وهما بدفع الظلم متحدان
تغنيه من وخزات كل سنان
شُكرًا عليه أخو بني ساسان
ولوى من الجبروت فضل عنان
أحياء ننشرهم من الأكفان
فالفضل للأرواح لا الأبدان
تركتُ بأندلس لكل هوان
عمًّا جنته معارك الإسبان
نجري القلوب لها من الأجان
فقضوا بهدم دعائم البنيان
عادت برغمك طعمة النيران
بمجامر الأحقاد والأضغان
بَعْدَاوة الإنسان للإنسان
مُهَج الشيوخ وأنفس الصبيان

أنا لا أُقدِّسهم لأتني حاكم
لكنني أجد الفضيلة كلها
فأقر كسرى بالحقيقة إنها
وأجل صدق العزم فيه لأنه
ثم انبرى النُعمان نحو بلاده
ودعا أكابر قومه فتواردوا
فروى لهم أقوال كسرى كلها
وجزَّوه إطرأء فصرَّح أنَّه
وهناك سرَّحهم إليه ليعلموا
وأتوا إليه فناضلوا ببلاغة الـ
وتفننوا في القول حتى إنه
وقفوا وقد نثروا الصواعق حوله
يتلو الخطيب زميله وكلاهما
يتباريان سياسةً وحماسةً
كلُّ يريك صرامة بلسانه
حتى إذا اختتموا الكلام أثابهم
وغدا يبثهم النصيحة والثنا
فهلم ننشر ذكرهم لنعيدهم
هيا نمثل للملا أرواحهم
ولنعرضنَّ بقية العرب التي
أبقىة العرب الأمجدِ خبري
قُصِّي لنا تلك الوقائع إننا
كم قد بنينا للمعارف معهدًا
جمعت به الأسفار إلا أنها
شبوها بها النيران حين تأججت
يا ليت شعري والمصائب جَمَّة
ماذا رأى الإسبان حين تناهبوا

أبقيّة العرب الكرام أليّةً
لنجدنّ لك الحياة شريفة
برعاية العلم الحديث فإنّه
يا علم عدنا للنهوض فعد لنا
يا علم إنا سائرون إلى العلى

بعلي نزار بمجدك العدناني
بحماية الأقلام والخرصان
لك أو لنا يبني أعز كيان
«يا علم أنت محرر الأوطان»
«فانشر لوك لنا على الشبان»

(٧) نجوى الشمس

لك يا شمس دولة في الفضاء
فوق سطح الغبراء مجدك عالٍ
تبعتك الكرات فاجتذبيها
أنت ألفتها فكانت كشعب
فتوسطتها كأنك ملك
في فم الجوّ من سناك لسان
كم وكم آية له بهرتنا
طفح النور من جبينك لكن
فابعثي في عقولنا كل نور
إنّ فعل القوى ليعلو ظهورًا
لست إلا كما روى العلم نازًا

يصل الأرض حكمها بالسماء
وهو أعلى في القبة الزرقاء
تحت تيار قوة الكهرباء
يطلب المجد عن طريق الإخاء
حفّ فيه جمع من الكبراء
لا تباريه ألسن الخطباء
في بيان الطبيعة الخرساء
صقلته لنا مجاري الهواء
ولّدي يا زكا كل ذكاء
بك مهما تبرقعت بالخفاء
هددتها الأيام بالإنطفاء

شمس بعد شمس

إن تلاشت بك القوى لفناء
فإذا ما تجزأت في فضاها
فستستأنف اضطرًا جديدًا
ثم ترقى بسلم النشاء مهما
وعلى ذاك فهي تنشأ شمسًا

فستجري بطبعها للبقاء
وتولت منثورة كالهباء
تبتديه من موضع الإنهاء
ساعدها عوامل الإرتقاء
تتجلّى بمثل هذا الضياء

مثال الأموات في الأحياء

وكذاك الإنسان يبلى ويحيا
وقوى كل أمة هلكت قب
حللتها وركبتها من اليو
إنما هذه البسيطة قبر
غيرته يد التطور حتى
فبنا الأرض مثلت كل جيل
مثلما تنقض البناء وبالأند
أو كحب الحصيد ينبت زرعاً
كل ما في أسلافنا فهو فينا
من نشاط أو قُدرة أو خمول
إن جراثومة الحياة لتنمو
أنعشتها لنا كما أصلحتها
فارتقت سنة الحياة وفزنا

فمثال الأموات في الأحياء
لُ بأحشاء هذه الغبراء
م فروح الآباء في الأبناء
ضم بين الراقين والبسطاء
صار مهذا للبله والنُبغاء
كان فيها مفرق الأشلاء
ققاض منه تعيد نفس البناء
إن تَرَبَّى ما بين ترب وماء
من خيالٍ أو حكمة أو دهاء
أو نبوغ أو غدرة أو وفاء
ببنيها في الأخذ والإعطاء
صلة الأبعدين بالقرباء
بصلاح الآراء والأعضاء

النور والظلماء

ونعم إننا خطونا إلى النو
وسعينا وقد تأصل فينا
فأضاءت عقولنا ثم درت
وانصرفنا إلى النعيم ولكن
نطلب العلم كي ننظم فيه
نبتغي المال كي نعذب فيه
ما فتحنا معاهد العلم إلا

ر فملنا تيتها إلى الظلماء
طلب العلم وارتياح الفناء
ديم الرزق من سماء الرخاء
من شقاء مصيرنا لشقاء
أو لتحمى مصالح الأقوياء
لا لنبقى براحة وهناء
وخططنا مصارع الشهداء

الابتكار والنار

عن طريق الخيال والخيلاء
وعلى ذاك جملة الآراء
ر فقد جار حكمها في الفضاء
عرضوها بأسرها للعفاء
بثراها ممزوجة بدماء
أوجبته مقاصد الزعماء
أكلتهم بساحة الهيجاء
حق يا قوم كلكم أعدائي
ما لنوع الإنسان غير الفناء
ل سوى قتله بها من جزاء
فهو أولى بها من الأبرياء
ما لهم غير قتله من شفاء
جاء يمشي به على استحياء
طوع رأبي ومن يلبي ندائي
يغلبُ الظن أن يخيب رجائي
تقتضيه مبادئ الحكماء
أعدنا من قسوة الرحماء
ق وهذي صداقة الأمناء

أيها الساسة الأعظام ميلوا
ليس في الكون من يسود عليه
أنصفونا منكم ومن سلطة النا
خلصوا الأرض من معارف قوم
انظروها فكم جرت من دموع
فاعصموها ونزهوا العلم مما
نشطوا النار في المصانع حتى
سلطوها على العدو فقال الـ
فامنعوا الابتكار فيها وإلا
ما لمستحدث الوسائط للقتـ
جربوا فعلها به وامحقوها
ذاك صلُّ يستأصل الناس نهشاً
جال في خاطري اليراع ولكن
عنَّ لي واجبٌ فناديت فيه
أتمنى إحراز قصدي ولكن
أين أين الروح السياسي مما
ربُّ من للضعيف رحماك يا ربُّ
ليت شعري من أين يلتمس الصّدُّ

يا غرب

نزغات الغرور والكبرياء
من هناء نروده أو صفاء
ما نرى من تغطرس العظماء
بانقسام الأعراض والأهواء
شرع الشرق بانتجاع الدواء

لك يا غرب خطة رسمتها
آيستنا من كل ما نتمنى
فتمهّل فما يضيرك إلا
فيك يا غرب علة الشرق عادت
ولماذا سرى بك الداء لما

كنت في مثل عجزه وسيني
قضت الحرب أن يهذب لكن
وسينهي تهذيبه بكفاح
فيدير استقلاله المطلق الحر
أيقظونا لغاية ثم قالوا
ذهب الليل أسوداً فانتبهنا
فسيشقى شعب ويسعد شعب
قيل أين السلام قلت لهم ما
رسمته صحيفة الكون سطرًا
أتسير البلاد إلا لحرب
سوف لا تترك الزوابع زهرًا
وستروي منابت الزهرة الخض
طال ما غنت العنادل فيها

مثل ما شدته من العلياء
بمساعي رجاله الخبراء
فيه يعطي شهادة الإنتهاء
بأيدي أبنائه القدراء
راقبهم فالقوم في إغفاء
إذ أتى الصبح باليد البيضاء
بانتهال السراء والضراء
ت وهاكم له شجي رثائي
فأزالته سلطة الرقباء
بعد حرب مرت بها شعواء
في رُبوع الحديقة الغناء
راء لكن بالدمعة الحمراء
وستملي الرثا بعيد الفناء

الحق والرئيس ولسن

قلت للحق هل وجدت نصيرًا
قلت قد شدّ ولسن لك أزرًا
قلت كان الرئيس ذاك خطيرًا
قلت ماضٍ حسامه قال لكن
قلت هل شفى بقلبك جرحًا
قلت هلا حزنت يوم تولى
قلت فادرأ عنك الخصوم جدًّا

قال أعدائي كلهم نصرائي
قال إني بليت بالضعفاء
قال لكن يدين للحلفاء
هو لا شك حاضر الإمضاء
قال كلاً فالجرح في أحشائي
قال منه ضحكي معاً وبكائي
قال أواه جلُّهم أصدقائي

(٨) بقدر ما نرتقي تعلق بنا الرتب

معاهد العلم إن ينهض بك العرب
عرفتهم قبل أجيالٍ بما وهبوا

فسوف يزهر فيك الفضل والأدب
من النهى ومن الجدوى بما وهبوا

وصمموا أن يقوموا بالذي يجب
وإنما الكتب فيك الفيلق اللجب
بك العلى وإلى أحضانك انقلبوا
فكل أمرٍ له في بدئه سبب
بدفع ما رهبوا أو نيل ما رغبوا
في حفظ ما نظموا للشعب أو كتبوا
يرقى بها الأفضلان الشعر والخطب
كي لا يضاع بما لا ينفع التعب
أنال بعض الذي تقضي به الإرب
إمّا تكسرت الأقلام والقضب
حتى تغيب وجهي دونه الترب
مطروفة الطرف لا عز ولا نشب
فمن سما المعهد العلمي يرتقب
للباحثين وقد زينت بها الكتب
فلم تحم حولي الأوهام والريب
أيام للشرق كان العز والغلب
والعلم قال لنا يا مصلحون ثبوا
عرشاً عليه لواء العلم منتصب
في الناس لا الخوف يحميها ولا الرهب
لها الحضارة أم والسلام أب
لذاك باهت بها أمثالها الحقب
فنحن للعلم قبل السيف ننتسب
بجهلهم قبل أسياف العدى ضربوا
وصار للشرق منه اللهو واللعب
كانت وراء ظلام الجهل تحتجب
فجددوه ونالوا كل ما طلبوا
فالرفق إن شاء أو فالويل والعطب
حقاً لنا إن جهلنا فهو مغتصب

فاستبشري فلقد جاشت حَمِيَّتُهُمْ
وأنت في رأيهم أقوى حصونهم
لذاك ألقوا لك الآمال وانتجعوا
كوني لإصلاحهم أو فخرهم سبباً
وقربِيهم إلى العلياء كافلة
ونظمي شمل أهل الفضل واجتهدي
وأنزليهم من التقدير منزلة
فما يجد أديب غير محترم
أما أنا فبأعمالي وإن صغرت
بعزمة أنتضيتها وهي مرهفة
ومبدأ أنا ترب الحادثات به
هي الفضيلة في بغداد بئسة
لكنها إن رأَت سعدًا يطالعها
هذي الحقائق والتأريخ أثبتها
درستها وتحرّيت الصواب بها
قد نبأتني أن العلم غلبنا
فالجهل خدر أعصاب الشعوب لنا
حتى رفعنا على الدنيا لنحكمها
هناك دولتنا جاءت مُحِبَّة
وَعُذِيَّت بلبان الفضل ناشئة
تلك المبادئ شدت أزر نهضتنا
لم نعرف الحكم إلا في معارفنا
ومذ أضع حماة الضاد حكمتهم
وعاد للغرب جد الشرق منتقلاً
وأزهرت في سماء الغرب شمس نهى
وجدأ أبناؤه علماء وتجربة
وقدموه إلى أن صار يحكمنا
وليس ينزع إلا العلم من يده

«بقدر ما نرتقي تعلق بنا الرتب»
قوم سوانا وإن جدوا وإن دأبوا
سيُصلح الشرقُ أبناءُ له نُجُب
ففيك فيك يسان المجد والحسب
فهل يعز لدى تعزيزها الذهب
لشعبنا في سبيل المجد محتسب
فالأمر منصدع والشعب منشعب
فليس يُجدي إذا ما أُعطي اللقب
إن الحياة بوجه الشمس تلتهب
بريها فهناك السلسل العذب
مُرحبًا ببنيه صدره الرحب
شمسًا فأحرارنا من حوله شهب
وكلنا أنجمٌ للشمس تنجذب
لأنه في رحي إصلاحها القطب

فنحن والحق بادٍ لا مرء به
لكننا نبتغي أن لا يهذبنا
فالعرب أصلحه أبناءه وكذا
فُديت بالمال، بالأرواح يا وطني
هانت علينا دمانا في مبادئنا
وكل ما قد بذلناه ونبذله
يا قوم إن لم تقم بالعلم دولتنا
هيا لناخذ أقصى ما نؤمله
لتحينا شعلة للفضل نقبسها
لننهلن كُئوس العلم طافحة
ليشرق المعهد العلمي مفتتحًا
لئن تجلَّى به وجه المليك لنا
نعم هو الشمس لاحت ملء مطلعها
فلتحى أمتنا وليحي منقذها

(٩) أه على وطني

وكان عهدي فيهِ جد في سعد
أدعوه جهدك فيما أنت فيه زد
لمذودي عن غريب النصح لم أزد
حيرت هاروتها النفاث في العقد
أراه في غير أرض غير مطرد

أه على وطني قد لج في صعب
كأنني كُلمًا أبغي الرقي له
إني وإن يتهم أهلوه ناصحهم
يا عقدة الجهل في أرجاء بابل قد
أكاد والجهل ملء الشرق مطرد

(١٠) الصمت والنصيحة

فأب ولم يعقب تجارته ربح
ليحفظ ممن ليس يحفظه النصح
ولكنهم من سكرة الهون لم يصحوا

ومُتَّجر بالنصح تَرَّب كفه
رأى النصح لم يقبل فلأزم صمته
دعا برجالٍ أن يهبوا إلى العلى

أراد ليأسو من حشى الشعب جرحه
تحاربه في الرأي كل بلاده
وكيف التداوي والحشى كله جرح
فبينهما لم ينعقد أبداً صلح

(١١) مقر التاج

هبي إلى المجد يا بغداد ناهضة
وأنت أنت إذا ما زاغ منقلب
لا صوت يعلو على صوت تصاعد من
لا أوترت بك قوس الاختلاف يد
غداة أعمل فيك البغي شفرته
فهده للعدل صرحاً فيك ثم بنى
عودي بتاج بني العباس منتظماً
وليتبع خطط الآباء أبنائك
فواصلني لسرير المجد مسراك
صميم قلبك أو أعماق أحشاك
فإن سهم هلاكٍ عنه أصماك
وما الحضارة إلا بعض قتلاك
للجود صرحاً على أجساد صرعاك
فلا مقر لذاك التاج إلاك

(١٢) مؤتمر باريز

للبرق فينا يد بيضاء نشكرها
سيقت إلى الناس أنباء الحياة به
ترن إن حركت أسلحه ولقد
فقد روت أن في باريس مؤتمراً
تباشرت طرباً فيه الشعوب كمن
نادٍ تضم إليه الأرض ساستها
وكل ما نتمناه ونطلبه
يروق في الكون منها العين والأثر
فصار يحمد منه الورد والصدر
يفدى لرناتها إن حرك الوتر
السلم منه لكل الأرض منتظر
بشّرتة بحياة وهو محتضر
كي لا يحيق بها من بعده خطر
أن لا يغير يوماً صفوه الكدر

(١٣) حوض أم سراب

تمنيت أن يمتد ذكري في الملا
وقد عدت أرجو أن أضعاف سؤدي
ولو لم أذق من حوض مجدي نهلة
وها أنا مذكور بكل لسان
لذاك عدتني فترة المتواني
لما خلته إلا سراب أمان

سأسعى وراء العلم مُلتمسًا له
خشيت العدى يا علم حقًا ولم أكن
لأحرس فيه ما حييت كياني
لأخذ إلا منك نص أمان

(١٤) العقل

ما العقل إلا كتاب
لم ينظر الغرب فيه
وما بنا الشرق عنه
فالنقص في حيث يُطوى
في الشرق والغرب يسطر
حتى وعى فتدبر
حتى انثنى فتدهور
والفضل في حيث يُنشر

(١٥) بين الشرقي والغربي

تطول يدُ الشرقي عند نهوضه
ولا ينكر الغربي أن رقيه
وما نبغت في الشرق كالعرب أمة
فيا وطني شمر إلى الجد ناهضًا
ولا بد من أن تستقل وترتقي
إذا مر دور الجد وهو قصير
يروق إذا مرت عليه عصور
فليس لها في من رأيت نظير
فأنت على ما قد أردت قدير
وإن دب في الأعصار منك فتور

(١٦) الانشقاق

أنا لا أرى أن المصا
فالإنشقاق محكم
فالشرق لو حفظ الوفا
والغرب لو نبذ التنا
لح تقتضي دعة البشر
فيهم كما روت العبر
ق عدته عادية الغير
زع لم يهددهُ خطر

(١٧) ضيعة الوجدان

أبت الحياة فحاربت أوطانها
ورأت بأن الغرب ملك أمرها
ماذا الذي باعت به أخلاقها
أدرهم وأمامها الوطن الذي
ليس المُحارب للبلاد عدوها
فئة تهدد بالخطوب كيانها
فتطامنت تلقي إليه عنانها
ولحفظ ماذا ضيعت وجدانها
في الصدق يغنيها ويرفع شأنها
لكن من قد أنجبته فخانها

(١٨) الدمع والابتسام

همت بلبنايَ فيا ناصحي
دعني إنّي لا أخون الهوى
إن زدت نُصحي زدت فيها هيام
والدمع أولى بي من الإبتسام

(١٩) حكم الجمال

حكمت يا لبنايَ في مهجتي
إن لم أمت فيك شهيد الهوى
فقلت ما أجمل حكم الجمال
فليتني لا نلت منك الوصال

(٢٠) هي عنوان نزعة مضرية

كلماتي كمبدئي جوهريه
وسميتها الأقلام بالنور لما
لقبوها بالبابلية لكن
لم أناطح بها المشانق إلا
علمتني بها الصراحة أني
ولعلي أحيأ بموتة حر
إن تسلحت في شعوري وشعري
محكمات غاياتها حكميه
أفرغت في قوالب زهبيه
هي عنوان نزعة مضرية
دون مجد الجنسية العربية
أتحرى الحرية الأدبيه
عوذت فيه روحه الوطنيه
فدفاعي عن حوزة الحره

(٢١) قالت سعاد

قالت سعاد وقد شكوت لها الهوى
أمن الخصور قد انتحلت نُحُولها
مما بروحي برحت ألامِي
ومن الجفون سرقت كل سقامِي

(٢٢) أيها الحبيب

حبيبي قد ملكت رقي فرق لي
أحبك فارفق بي أحبك فارعني
فما الصبر عندي يا جميل جميل
أحبك لكن ما إليك سبيل

(٢٣) لوعتي والصبر

ولقد صبرت وفي فؤادي لوعة
لا يقضين الصبر قبلي نخبه
تطوي على جذواتها أضلاعي
كي لا أعيش فأشتكي أوجاعي

(٢٤) خذ قبلة

قالت وقد أكثرت عتبي لها
أنعقد الصلح؟ فقلت اعقدي
لغلطة في الهجر أو زله
صلحاً فقلت لي: خذ قبله

(٢٥) خذها ولا تخف

قال خذ ما ترومه
قلت جد لي بقبلة
فعدولي قد انصرف
قال خذها ولا تخف

(٢٦) رنات الأئين

نزفت سقيط دمعك يا جفوني
أروم على الصبابة لي معيناً
وها أنا قد حفظتهم ولكن
على نغمات رنات الأئين
وما لأخ الصبابة من معين
كما ضيعت قلبي ضيعوني

فكم لي من دموعٍ راقصات
وفي سهري تُشاركني الدراري
وكم تحت الدجى أسهرت عيني
ولست على احتمال الهجر أقوى

إذا شَدَّتِ السواجعُ في الغصون
كأنَّ النجم أَرَّقَه حنيني
لحور قاصرات الطرفِ عين
فرفقًا يا ضعيفات الجفون

(٢٧) قيامة الهوى

أمقيماً قيامتي بهواه
وإلى نار وجنتيك مصيري

هاك قلبي فليصلَ فيها سعيرا
غير أن لا أقول ساءت مصيرا

(٢٨) الجمال والدلال

لك يا قاتلي لحاظ غزال
لم تحرك عواطف الحب إلا
أسكرتني شمائل لك رقت
آه كم قد سحرتني بحديث
فتبسم مع الحديث بثغر
أقرأتني بك الطبيعة شعراً
من جمالٍ إلى دلالٍ بغنج

بعثت فيَّ نزعة غزليه
هيجتني فحركت لي رويه
هي والله خمرة بابليه
صورت فيه روحك الأدبيه
أشبهته ألفاظك اللؤلئيه
رسمته أقلامها المعنويه
في حياءٍ بعفةٍ مريميه

(٢٩) نعمة البلبل

أطربني البلبل لماً شدا
يكفيك من نعمته أنها

فرقص القلب بألحانه
أسلمت الصب لأشجانه

(٣٠) يا رشا

سلسال تُعرك يا رشا
وبريقك المعسول فلـ

لم يُرَو منه العاشقونا
ييتنافس المتنافسوننا

(٣١) العيون النجل

العيون النجل أوجت لي آيات الغرام
فروى شعري عن الدم مع حديث الإنسجام

باقر الشبيبي

اطلب ترجمته ورسمه ونخبة من نثره في قسم المنثور من هذا الكتاب.

الصحف

تجري بهم للمجد إن وقفوا
وبأي وصفٍ مثلها أصفُ
ولأهلها العلياء والشرفُ
والحاكمات وحكمها النصف
كلا ولا برجالها الجنف
رجزاً بما ظلموا وما اعتسفوا
تأتي عليهم أينما ثقفوا
وهم على مرضاتها عكفوا
كالدر أطلع وجهه الصدف
سيراً ولا المتباعد القذف
وبهن نور «العلم» «مقتطف»
في مجتلاها روضة أنف
إلا تلاقى الصبح والسدف
فالناس من أجليها ائتلفوا
فيها ولولاها لما عرفوا

صوت الشعوب وصيتها الصحفُ
ماذا أقول وكيف أذكرها
إن قلتُ داعية العلى فلها
الناطقات ونطقها حكمُ
والعادلات فلا يلم بها
والمنزلات على الألى ظلموا
فهي اللواتي أينما ثقفت
عكفت تندد بالذي فعلوا
من كل سائرة مغلفة
لا البخرُ يمنع أن تخب به
منهن نور الفضل «مقتبس»
المورقات فكل زاهرة
بيضاء ما وشيت بأسودها
فإذا ترى لونيها اختلفا
عرفوا الحقوق وكل عارفة

ولمنكري آياتها كشفت
كم سددت بالحق أسهمها
الداعيات لكل سالفة
أخلاق علامين إن وعدوا
قوم إذا ما الضَّيْمُ أوترهم
لا يتلف المعروف بينهم
لا يأسفون على فنائهم
لهم إلى العلياء متجه
لم يتبعوا بالحلف قولهم
ترفت ضمائرهم فما بطروا
كم مفخر أبدوه مُخترعًا

عن حجة كالصبح فاعترفوا
لكن قلب الباطل الهدف
غراء أبقاها لنا السلف
لم يخلفوا حاشاهم الخلف
نهضوا له بالعزم فانصفوا
هيهات بل يحمى ولو تلفوا
فيه وحق عليهم الأسف
وبهم عن الفحشاء منصرف
فإذا دعوا فالصدق إن حلفوا
فيها ولا أغواهم الترف
لله ما اخترعوا وما اكتشفوا

آلام الاجتماع

يا شقاء الكون في أوضاعه
أين من يشفيه من أوجاعه
واعتلال النوع في المجتمع
إنها تعيي الطبيب الألمي

* * *

فتكت في جسمه أسوأؤه
فغدت مزمنة أدوأؤه
كم تراءت قبل في أطباعه
فأراعته قوى رواعه
فتكة ساءت وقد ساء المزاج
واستمرت فيه حالات الهياج
سمة في غيره لم تطبع
وأرته عرضة للصرع

* * *

ليت هذا الجيل لما يخلق
إنه جيل جنون مطبق
أثر الخبط وبادي القلق
ومتى نسعى إلى إرجاعه
ونماشيه إلى استرجاعه
باديًا بالسوء من أخلاقه
ولكم دل على إطباقه
في مناخيه وفي آفاقه
لمعالیه بحسن المرجع
شكله الراقي بنظم مبدع

* * *

أيتها الإنسان في أكنافه أين أنصارك من بين الملا
هتفوا باسمك في إسعافه خدعة منهم فضلوا السبلا
إنما يسعى إلى إتلافه أذعياء الاشتراك الجهلا
ولقد بالغن في إيجاعه ألسن هيجن شجو الموجع
ضل من ينصف لاستتماعه كلمًا ينبو بكل مسمع

* * *

أسقط النُّوع خصام الدول أوما تنظره بادي السقوط
أترى نجم هُداه يعتلي أم تراه سائرًا نحو الهبوط
قد أنيط الحكم بالمُستقبل فنرى إما رجاء أو قنوط
ومتى عاد إلى إشعاعه نجم عليها فقم وانتجع
وإذا ما زاد في استتماعه فلذيد العيش للمخترع

* * *

يا دُعاة السلم في قصر السلام أين مسعاكم إلى تأييده
أنتجت أتعايبكم هذا الخصام أفلا نقوي على تبديده
فهلما اسعوا إلى رَدِّ النظام واعملوا حقًا على توطيده
وأذيعوا لدى أشياعه كم له بين الورى من شيع
وإذا فتشت عن أتباعه لم تجد أنت سوى متبع

* * *

قسمًا لولا احتدام الأمم لرقى الإنسان أعلى مرتقى
ولسارت للعلى عن أمم خببًا أو رملاً أو عنقا
ولظل النسل في أنواعه طالعًا في الأفق أعلى مطلع
قائلًا للشهب في إيضاعه أيها الشهب أغربي لا تطلعي

* * *

اتئد ويحك يا ظلامه فإلى كم أنت ذا تظلمه
لا تزدد إن لم تزل آلامه فكفى هذا الذي يؤلمه

وانتزع من جسمه أسقامه رحمة منك أما ترحمه
وترفّق أنت في إفزاعه فلقد ترحته بالفزع
حسبك الهيكل من أضلاعه ناتئاً يُشبه ناتّي أضلعي

* * *

أترى سير التعدي يقفُ أم تراه مُستمرّاً في السرى
ما لنا إمّا قويننا نضعف فكأنّ النوع يمشي القهقري
كلّما قلنا تناهى الجنف وانطوت ذكراه فينا نشرا
ولها الإنسان عن إبداعه وتفانى باختلاق البدع
وإذا ما شط عن إنفاعه عاد لم ينفع ولم ينتفع

دواء الربيع

نفض الربيع جماله ونضارهُ وكسى الأديم المكفهر بهارهُ
وشّى مطارفه الحيا مُتهللاً فيه وطرزّ بالزهور إطاره
النهر مُطرِدُ المياه تدفقت في ضفتيه ولاعبت زخاره
والطل تسقط في الرّياض دُموعه والغيث يُرسل هطلاً أمطاره
والصّبح أطلع للعيون شموسه بيضاء تلمع والدجى أقماره
هذا الربيع فما أحلى ليله للساهرين وما ألدّ نهاره
يعطيك أبداع ما يروك نوره ويريك أجمل ما ترى نواره
صنعت يداه من الورود حدائقاً غنّاء فوق نورها وأناره
الشعر ما نثر النّسيم وروده في الرّوض أو نظم الحيا أزهاره
والوحي ما نفح الشذى مُتعبقاً أو ما شممت ندية أعطاره
والسحر ما نفض الأصيل شعاعه أو ما أذاب على الشطوط نضاره
واللطف ما ملأ الحيا أحواضه أو ما أسال على الرّبى أنهاره
والحسن ما لبس الأديم ملاءةً خضراء أو خلع الربيع عذاره
إنّي أحب من الربيع شميمه وأحبّ فيه خزامه وعراره
وأحبّ نضرتّه، أحبّ دواءه وأحبّ خفته أحبّ وقاره
وأحبّ وكّاف السحاب إذا بكى في الرّيف أضحك دمعته أشجاره

والشمس تجنح للمغيب أحبها
وأحب من هذا النهار أصليه
والبحر إن ركد النسيم سكونه
كل الطيور الصادحات أحبها
أحببت بلبله المتيم حائماً
أثرت بنضرتة الشعاب فهل ترى
والبدْرُ يُرسل في الدجى أقماره
وأحب من ذاك الدجى أسحاره
وأحب من حركاته تياره
وأحب من صدّاحها أطيّاره
وعشقت وهو على الأراك هزاره
أحدًا يقدر في الثرى آثاره

* * *

بُشرى الربيع المستقل فإنه
حر تبسم للعراق بوجهه
حملت عواصفه رسالة ثائر
شتان بينهما فذا مستسلم
هيهات ينتفض العراق من الكرى
ليت العراق وقد تطور أهله
سر النجاح إذا أراد نجاحه
قد فك من شرك الشتاء أساره
كي يستفز ببشره أحراره
للمعرقين فهيجت ثواره
للحادثات وذاك أدرك ثاره
حتى يهز بكفه بتّاره
يقضي ولو تحت الخفا أطواره
أن لا يُبيح لغيره أساره

أغرودة مستلذة

حمامة هذا الغصن بالله رجعي
خذيني إلى الدوح الذي تعتلينه
خذيني إلى الوكر الذي تألفينه
خذيني إلى الجوّ البعيد لعلني
حمامة هذا الدوح في الدوح مهجتي
تربعت ذاك الأيك عرشاً فليته
دعيني فلي تحت الغصون مناخة
كلانا مُحِبٌّ مستهام مودع
تعلمت منك الشعر والشعر نغمة
تعلمته أغرودة مُستلذة
فقد سكنت نفسي إليك ومسمعي
وإلا فخير العيش أن تنزلي معي
فتمّ كرى عيني وتمّة مضجعي
أجاور موجات الأثير المشعشع
وفي المشرف العالي فؤادي وأضلعي
أريكتي العلياء أو متربعي
ولي فوقها تغريدة المتفجع
حبيباً فيا وجد المحب المودع
تحرك أوتار الفؤاد المقطع
تذاب بأنفاسي وتجري بأدمعي

* * *

على النَّاسِ أُرْعَاهُمْ بَعِينٍ تَطْلُعِي
بلى وقفت نفسي على متسرع
وتزهديني في صحبة المتورع
بسم كما شاءت يد الدهر منقح
كأنِّي في غاب من الأرض مسبع
وأنكرتُ من عين الحمية متبعي
وكم من ذراع كان من دون إصبعي
لزايلت قومي في العراق وموضعي

تطلعت من كوات كوخِي مشرقاً
فما وقعت عيني على متشرع
لديّ من الدنيا عظمات تريبني
فأنكرت سلسال الفرات فهل جرى
وأصبحت في أوطان قومي مروغاً
تناسيت واديّ الذي هو منبتي
وأضحى زراعي لا يُقاوم إصبغاً
ولو كان في إمكان نفسي نزوعها

هي النفس

فليس سِوَاهَا بين جنبيك من نفس
فإنك لا تدري أتصبح أم تمسي
لنفسك وارك دائر الشرف المنسي
وإنك ميت ما انتسبت إلى الرسم
ويرخص من باع الحمية بالبخس
فلم تملك الآتي ولم تغنِ بالأمس
خلائق تغني عن مطالعة الدرس
فشتان ما بين التصور والحس
وتمتاز في فصل الخطاب على الجنس
تخالفن نبئاً والفضيلة للغرس
كأن به روحاً يهب من القدس
«يبين هباء الذر في ألق الشمس»
ولا ضاحك في نعت أخلاقكم طرسي
بما جاء منسويًا لأقلامِي الخرس
فصول خطاب لابن ساعدة قس
رقيك يا أرض العراق به أنسي
فهل حسنٌ أني لك الفضل أستكسي
إذا باعك الأغيار في ثمن بخس

هي النفس هذَّبها بما تستطيعه
وصبح بها الأخلاق فهي غنائم
وجدد من الذكر الجميل مراسماً
فإنك حي ما نسبت لها الإبا
يغالي الفتى من سوقه المجد غالياً
وأنت ابن هذا اليوم فاعمل لوقته
وليس يُفقد الدرس ما لم تضيف له
وخذ بعيان الأمر لا بخياله
قل الفصل تملك سره الفضل منزلاً
كأن حياة الخلق في الأرض بقعة
تُرَوِّحني الأخلاق ألقى نسيمها
أَبْنَتُكُمْ يا خاملين وإنما
فلا قلمي باكِ برسم صنيعكم
كم اعتضت عنكم ناطقين خواطئاً
فوائد قس فيها الكواكب أو فقل
وما أنست نفسي بلهو وإنما
لألبيت أقطار البلاد معارفاً
سأفديك في أغلى من المال غيرة

المدارس في العراق

عِـقِـمْتُ أن تجيئنا بنتاج
شرب الغرب ماءهن نَمِيرًا
كم على سُوقها ازدحام نفوس
صيرت سوقها العلوم عكاظًا
فتحت للراقي مرتج ملك
نشأت فتية الفضائل فيها
تخرج الطفل حائرًا للمعالي
كل من يدخل المدارس عامًا
هي برج من المعارف أرسى

* * *

كل يوم أمسي وأصبح فيما
حال ما بيننا الزمان كأن قد
صَحَّ جسم العلى وعاد سقيمًا
قد فقدنا لنبضه حركات
يصدع القلب كانصداع الزجاج
سد ما بيننا رتاجة ساج
تشتكي روحه اعتلال المزاج
وعذرنا طبيبه بالعلاج

* * *

كم عرضنا مُقَدِّمات الأمانى
وطوينا أرض العراق ونجد
ما رأينا للعلم قبضة كف
أزمات الحروب قد أثقلتنا
نحو قوم فلم نفز بنتاج
وقطعنا فلاة تلك الفجاج
بسطة فيهما بساط ابتهاج
فعساها تجيئنا بانفراج

محمد حسن أبو المحاسن



محمد حسن أبو المحاسن.

أبو المحاسن — كما وصفته في غير هذا المكان: شيخ كثير الحسنات في الأدب والوطنية، له غرام خاص بالنظم، وقد أبدع في قصائد لا تُحصى ضمَّنها عواطفه الوطنية

وغيرته القومية، يستعيد بها ذكر المجد العربي السالف، ويبشر قومه بعودة ذلك المجد إليهم، مهيباً بهم إلى شدِّ العزائم والنهوض إلى العلى.
ومع أن الشيخ محمد حسن يعيش في كربلاء المشرفة منعزلاً عن عالم الأدب والصحافة، فله منزلته العلية بين الأدباء المعدودين في ديار العراق.

وهو محمد الحسن ابن المرحوم الشيخ حمادي آل محسن، و«آل محسن» أسرته ورهطه يسكنون قرية «جناجة» على مسافة ثلاث ساعات شرقي كربلاء المشرفة، وهم بطن من «آل علي» قبيلة كبيرة تسكن الشامية، ومنهم فريقٌ في الحجاز ينتمون إلى مالك الأشتر النخعي، وجناجة هذه موطن عدد عديد من كبار العلماء والشعراء والفضلاء.
وُلد المترجم في كربلاء المشرفة سنة ١٢٩٣ هجرية، نشأ في مسقط رأسه ثم طلب العلم وجدَّ حتى وعى الكثير من آداب العربية وفنونها من معانٍ وبيانٍ ومنطق، ودرس الأصول والفقه والتفسير وأدب اللغة والتاريخ والجغرافية وتضلع في كثيرٍ من هذه العلوم، ووقف وقوفاً تاماً على اللغة وفوائدها ودقائقها بالحفظ والضبط.

يمتاز شعر أبي المحاسن بالجودة والانسجام والرقعة مع الجزالة، يجيد في كل باب، ويتفنن في الأساليب تفنُّن أديب عارف، نمطه في نظمه أقرب إلى العصري، وبالجملة تجد فكرته تمثل صوراً من الإحسان والإبداع تختلف أسلوباً وتأثلاً حسناً.
ومما كاد أن يتفرد به بين نظرائه من أهل هذه الصناعة في بيئته أنه يصون مُخدرات أفكاره فلا يبتذلها لغير أهلها، ولا يُهدبها إلا إلى كل سيد أبي، وغطريف حر، وجل شعره نظمه لصالح الأمة، فلم يمدح يوماً رجلاً لم يصب الأمة من عمله نفع أو من جهوده سعي، ولا تغنى إلا بفضل دعاة «الوحدة القومية»، فغايتة القصوى التي يتوخاها في تفكيره وكتابته ونظمه إنما هي خدمة العرب والإسلام، تلك هي الخاصية التي امتاز بها، والسنة التي مشى عليها.

ويغلب على نظمه التجنيس والاشتقاق وسائر أنواع البديع، يكسو كل ذلك ثوب من الفصاحة، ومطرف من البلاغة يجعل لشعره روعة.
وقد عرف بالبداهة والدِّكاء وسرعة الخاطر، يحدثك بما يعجب، وينظم ما يطرب من غير ما تعسّف أو تكلف.

وله رغبة في الشعر الفارسي ومُفرداته، فإذا أنشده جليسه بيتاً نادر المعنى نظمه بسرعة وأنشده الجليس، وكثيراً ما تجرّي له مناظرة فيُقال له ليس للعرب مثل هذا فيأتي على الفور بمثله كأنه استحضره، في حين أنه أنشأه على البديهة. وقد جرى له نادرة من هذا القبيل مع المرحوم الحاج عبد المهدي آل حافظ مبعوث كربلاء، يوم أنشده بيتاً تركياً في رثاء أحد السلاطين العثمانيين بعد أن بالغ في وصف معناه، وأنه لم يسبق إليه، فأجابه صاحب الترجمة أن هذا منظوم بالعربية فقال: ومن الناظم؟ أجاب لا أعلم، ولكنني أحفظه له من سنين، قال: أوردته سريعاً. وألح عليه في الطلب بدون إمهال خشية أن يكون له مجال للتفكير والنظم، فقال:

لقد كنت شمس العصر والعصر شمسه مديدة ظلّ والبقاء قصير

فجّل مناظره، فلما رآه الشيخ حسن على تلك الحالة قال له: لا تتأثر يا حضرة الحاج فالعنى كما قلت مبتكر لم يسبق إليه الشاعر التركي، وقد نظّمته الساعة.

أما أخلاقه وصناعاته فقد عرفه من عرفه حق المعرفة بأنه: شريف النفس، سامي الهمّة، يحلي أخلاقه الاتضاع وتزينها الدماثة، مع الشمم والإباء، واشتهر بالصدق والوفاء والثبات على المبادئ القديمة مهما كلفه الأمر، فقد خاطر بنفسه غير مرة، فلم يحنّ هامته، وله في الثورة التي حدثت سنة ١٩٢٠م يد محمودة، وكان المرحوم آية الله الشيخ محمد تقى الشيرازي طاب ثراه، يثني عليه ويثق به، وقد تعين في تلك الثورة مندوباً عن كربلاء المشرفة، ثم عينه الميراز قدس سره رئيساً للمجلس الملي والحكومة المؤقتة في كربلاء يومذاك فدبر أحسن تدبير وظهرت مقدرته.

يُعيد تاريخ العلى نفسه

يا أيّها الوطن العزيز لك الهنا
سُعيد تاريخ العلى لك نفسه
آساد غابٍ ليس يُنكر بأسهم
أبناء يعرب يطلبون تراثهم
قد نلت أشرف بغيّة ومراد
ويعود مجدّ رجّالك الأمجاد
وبَنوك نسل أولئك الآساد
إنّ البنين أحق بالأجداد

لا يقنعون من الفخار بتالد
يا ناطقًا بالضاد ما لفضيلة
فافخر فإنك من سُلالةٍ مَعْشَرٍ
أوليس عصر النور من آثارهم
والعلم من ثمرات غرسهم الذي
والعدل والإحسان من حسناتهم
وعلى مبادينا الحضارة أسست
من عنصر الدين الحنيف إذا انتموا

* * *

عرب تحنُّ إلى الفخار سيوفها
هم عودوها أن تسل فلم تمل
من أسرة لهم الأسرَّة والذرى
لهم السيوف ومثلهن مقال
سكانها فوق المغافر لقنت
تحوي المنابر منهمُ بظهورها
الصائنين عن الدنيا عرضهم
إن شئت تعرف نكتة من جودهم
أو شئت تعلم ما يُوازن في الحجا
كُرمت خلائقهم وتعرف منهم
والعز ينزل منهم مُتبوِّئًا
عللٌ بذكرهم الفؤاد فإنه

* * *

قومي الذين عرفتهم وبمجدهم
أبلوا شباب الدهر ثم نبا بهم
غير الليالي لم تغير منهمُ
لم يرضخوا للضيم إلا ريثما
لبيك يا داعي الرشاد شعارهم

تم اعتراف مُصادق ومُعادي
وعدت عليهم للزمان عوادي
شيم الكرام الذادة الأنجاد
ناداهمُ للعز خير منادي
قدست من داعي هدى ورشاد

أنت الذي أنعشت من أرواحنا
فمتى يؤلف وحدة عربية
ليس العراقُ بموطني هو وحده
ويسرنني أني على ضعف القوى
قالوا أما من باذل أو مفتدٍ
أرماقها فنهضن بالأجساد
وطنية الإصدار والإيراد
فبلاد قومي كلهن بلادي
كنت القويِّ بموقفي وجهادي
فبذلت نفسي حين عز الفادي

في السجن

أنا والنجم كلانا ساهر
لا أبالى والمعالي غاييتي
في سبيل المجد منا أنفس
ليس غير الشعب واستقلاله
نحنُ للعلياء والعليا لنا
عُرف المعروف والعدل بنا
من مواضينا سنا البرق ومن
مشرفيات دقاق رفعت
كسرت كسرى وردت قيصرًا
عرب شيدت مباني عزهم
عظموا الجرم وقالوا حاكم
هيح الشعب وأغراه بنا
إن أكن أحسبُ فيكم مجرمًا
سيئات وضعتني عندكم

غير أني مفرد بالشجنِ
وصل أشجاني وهجر الوسن
رخصت وهي غوالي الثمن
لي شغل فهو أضحي ديدني
لو أقالتنا صروف الزمن
ولنا تأسيس تلك السنن
جود أيدينا انسجام المزن
راية العدل بفتح المدن
قاصر الباع عديم الجنن
في الذرى من شاهقات القنن
وطني ثائر ذو لسنِ
لم يغب عن مشهدٍ أو موطن
فأنا المحسن عند الوطن
حسنتا عنده ترفعني

* * *

مقولي ماض وسيفي مثله
سالمُ الأخلاق من منتقد
وجناني ثابت لم يخن
في سرورٍ كنتُ أو في حزن

* * *

لست أشكو السجن بل أشكره
فهو بالإخوان قد عرّفني

من رجال نقضوا ميثاقهم
أظهروا ما أضمرنا من حقدهم
ويحهم ما نقموا من ناهض
إن يذم اليوم قوم غرسنا
ثورةً أصبح من آثارها
معشر في نعم قد أصبحوا
وجزوا بالسوء فعل الحسن
وبدت بغضاؤهم بالألسن
طيب السر كريم العطن
فلنا من بعدُ حمد المجتني
حظوة الخائن والمفتتن
من مساعي معشر في محن

* * *

أيها الساكن ظلًا قالصًا
في طريق السيل تبني منزلًا
إنما تسكن قصرًا شاده
تسحب الحلة والفضل لها
لست للظل ولا الورد الهني
هلك المسكين باني المسكن
لك سيف الموثق المرتهن
لقتيل مدرج في كفن

الربيع الناضر

بوركت يا زمن الربيع الناضر
ما زُرت ربيعًا شيقًا إلا وقد
أقبلت يا ملك البسيطة رافلاً
في راية خضراء صفت تحتها
ورجعت للأرض الموات حياتها
فتضوعت أزهار كل خميلة
نطق الحمام عن الرياض بشكرها
ورق دعت فوق الغصون سواجعاً
جاد السماء بها النجوم فأزهرت
ضحكت ثغور الأرض فهي بواسم
نثر اللالكى قطره فتنظمت
فلك اليد البيضاء يا قطر الندى
خطر النسيم الغض يحملُ نفحة
والشمس صاغت بالشعاع سبائكاً
ما أنت إلا بهجة للناظر
فرش المزور خدوده للزائر
بمطارف الحسن السني الباهر
من كل زاهرة صفوف عساكر
وكسوتها برد الشباب الزاهر
تجزيك بالنعماء حمد الشاكر
فاسمع ثناءك من غناء الطائر
فكأنها الخطباء فوق منابر
بنجوم أفق في السماء زواهر
مهما بكت عين السحاب الماطر
زهر الثرى تحكي عقود جواهر
كم قد سمحت بلؤلؤ متناثر
مسكية فيها ارتياح خاطر
يجلُو النَّضار بها جميل مناظر

أشجاره بمعاضِدٍ وأساور
ممن أحب فكن بذلك عاذري
يسبي ويفتن بالمحيا السافر
في النشر عن أرج الحبيب العاطر
فكأنه يرنو بطرف فاتر
ثغر يلذ به الطلا لمعاقر
أضحت تضاهي خده بنظائر
منه الغدير بأدرعٍ ومغافر
إن الغرائب للربيع الساحر
دون الطبيعة للمليك القادر
خلق البرية فاعتقد أو كابر

وجرى لجين الماء فيه فحليت
أهوى الربيع لأنَّ فيه شمائلًا
طلق عليه بهجة ونضارة
عطر النسيم تحدثت أنفاسه
والنرجس المطلول يرنو طرفه
ويرف فيه الأقحوان كأنه
وإذا الشقيق تضرجت وجناته
وإذا الوميض نضا صوارمه اتقى
ما سحر هاروت وفتنة بابل
قالوا الطبيعة قلت قد خضع الحجي
إن الذي رفع السماء هو الذي

في مدح النبي ﷺ

ففي المغاني معاني الحسن والكرم
في نشرها بشر قرب الركب من أضم
أراق فيض دم من دمعي السجم
يحكي السهاد نفاً في حب بدرهم
ودونها الأسد تسطو بالظبا الخدم
عقيق دمعي غناً عنه فلا ترم
وفي لواحظك الوسنى أبو هرم
فالجسم في مرض والقلب في ضرم
عليهم في الهوى إنني أبحت دمي
وصلًا ونليّ عزًا في وداهم
واهٍ نحيل غزير الدمع في ألم
إلا أسير جفون من ظبائهم
ما أودعوه فؤادي يوم بينهم
فالعذل أحسن في سمعي من النغم

حي المغاني بين البان والعلم
يهيج برح الصبا للمُستهام صبًا
أراق بعدي لهم عيش فبعدهم
إن السهاد نفى جسمي ضنًا فغدا
أتملك العين من عين الظبا نظرًا
ريمُ الصريم إذا رمت العقيق ففي
في وجهك ابن أبي سلمى وبهجته
ضل الفؤاد فظل الجسم حلف ضنى
إنني أبحت دمي عمدًا فلا قود
رأيت جورهمُ عدلاً وهجرهمُ
صبري وجسمي وطرفي والفؤاد أسًا
يفك كل أسير في بيوتهمُ
فليت شعري أوجد أم لهيب غضًا
يهيج لي عاذلي في ذكرهم طربًا

لو ذقتَ طعم الهوى يا صاح لم تلم
 كما تضيعت الأزهار بالنسم
 ولست عندي على رأي بمتهم
 من الحجى أفصح الألفاظ والكلم
 فكلُّ إذا شئت أمرينا إلى حكم
 نفس العذول الغبي الساقط الهمم
 وأنت من تعب العلياء في سلم
 في بحر عشق بموج العشق ملتطم
 مُرٌّ ولذته تفضي إلى ندم
 ما حلت عن عهدكم يا جيرة العلم
 بقيت لكن لطول الحزن والألم
 حكاه دمعي بمنهلٍ ومنسجم
 قلتُ الوصال شفاً من ذلك السقم
 قالوا ألفتَ فقلت النجم في الظلم
 سلك يلوح بدرٌ فيه منتظم
 أني من الصبر في فقر وفي عدم
 منهم وإن منعوني نيل عطفهم
 جنح الدجى ذكراً جيران بذي سلم
 من المسرة لي أيام وصلهم
 في الصُّبح لي راحة من لاعج الألم
 تضعف وصرف النوى أوهى قوى هممي
 حتى أريق بأسياف الجفون دمي
 غدرًا فكابدت أشجاني بغير حمي
 بمدح خير البرايا سيد الأمم
 ل الله صفوة عبد الله ذي الكرم
 بالجود والباس والعلياء والعظم
 من الباذخ الهمم ابن الباذخ الهمم
 قد هذبت واصطفهاها بارئ النسم

وصاحب لامني لما رأى كلفي
 يزيد طبع الفتى في الحب طيب شدّي
 مخضت رأيك واستجمت زبدته
 فجئت بالنقض والإبرام مُنتقياً
 وقد تبوأ مِنَّا واحدٌ رشداً
 حاشا الهوى وهو علق أن تفوز به
 إنني رأيتُ كرام الناس في تعب
 هم أسعروا مُهجتي ناراً فخضت لها
 والحب أوله حلو وآخره
 لا والهوى وليالينا التي سلفت
 إن أبق بعدكم حياً فلا عجب
 إن أومض الخال من شرقي كاظمة
 قالوا الصبابة سقم لا شفاء له
 قالوا سلوت فقلت العيش بعدكم
 كأن جسمي وقطر الدمع يغمره
 أغني بجوهر دمعي ناظري على
 دعني أرق نسقاً دمعي فلا بدل
 ورُبِّما شَبَّ في الأحشاء جمر غصاً
 طالت ليالي النوى حزناً كما قصرت
 فما لليل النوى صُبح يلوح وهل
 كم صابرت همتي صرف الزمان ولم
 يا نفسُ جرعتني مرَّ الغرام بهم
 والصبر كان حميماً لي فأسلمني
 يا قلب هل لك أن يمحو الضلال هدىً
 طه أبي القاسم الهادي البشير رسو
 زاكي النجار كريم الطبع متصف
 الباذخ الهمم ابن الباذخ الهمم اب
 منزه الذات عن نقص يلم بها

متمم كرم الأخلاق والشيم
 ـاء الحوائج غوث الناس في الأزم
 بالنور يهدي سبيل الرشـد كل عمي
 فالمصطفى آنس الأنوار من أمم
 فذكر أحمد يحيي بالي الرمـم
 براعة البالغين الحكم والحكم
 هادي الأنام سبيل الواضح اللقم
 وعمهم كرمًا بالنائل العمم
 وعلمه البحر يُلقى جوهـر الكلم
 سحًا فأزهرن بالآلاء والنعم
 يرجى مثيلٌ لذاك المفرد العلم
 مسترفد رافد مستمجد شهم
 بالحمد في أشرف الآيات والكلم
 يومًا وغير رضا باريه لم يرم
 ما خصّه الله بالمعراج والعظم
 ونال عفواً به عن زلة القدم
 بردًا فنال رغيد العيش في الضرم
 يخيب راجيه من لطف ومن كرم
 وللعُفاة لديه جود مبتسم
 من الجلالة تتلو أحرف القسم
 أُخرى فلذُ وتمسك فيه واعتصم
 وأصبحت تخضع التيجان للعمم
 عزًا تقاعس عنه كل معتزم
 في الحرب يردي بمر الباس ذا أضم
 ورفد أبلج طلق الوجه مبتسم
 غربًا وشرقًا فبادت دولة الصنم
 منه ببدر هدًى يجلو دجى الظلم
 إن الشمس سناها غير منكم

عظيم خلق به الخلق اهتدى رشداً
 سامي المعارج مهدي المناهج قضاً
 ونور قدس حباه النور من شرف
 إن كان آنس موسى النار من بُعد
 إن كان أحيى المسيح الميت معجزة
 الناطق الفصل في قول يُضمنه
 غيث المؤمل غوث المُستجير به
 فاق البرية في خَلق وفي خُلُق
 فجوده البحر في أسداد عارفة
 سقى رياض الأمانى جود راحته
 ومثله فليرجي المرتجون وهل
 مسترشد راشد مستنجد نجد
 محمد المصطفى أصفاه خالقه
 رسول صدق عن الإرشاد لم يرم
 لو كان في الرُّسل من الفضل يشركه
 فأدم قد حوى فضل السجود به
 وفيه قد رجعت نار الخليل له
 سمح يحقق آمال النفوس فما
 فللجُناة لديه عفو مقتدر
 أسماؤه وصفت أفعاله فغدت
 هو المؤمل في الدنيا المشفّع في الـ
 عزت به العرب وانقاد الزمان لها
 إذ قام مضطلعًا بالأمر مفترعًا
 في السلم يحيي بعذب الجود ذا أمل
 بعزم أروع سامي الهم منصلت
 واستلّ من عزمه غضب الغرار مضى
 وأشرقت أنجم التوحيد محدقة
 نبوة حاولوا إخفاءها فبدت

من الضلالة ليلاً حالك العتم
 جرى بصفو معين سائغ شبم
 في خير مُغتتم في خير مغتتم
 كنوزها رغبة عنها ولم يرم
 بؤساً أمنت وزال البؤس بالنعيم
 غلب الأسود أسود الحرب لا الأجم
 وظلمة العدل في تأديب مجترم
 إذا انتضاها فتكسى حمرة العتم
 فللصدر القنا والبيض للقمم
 وكفه للندى والسيف والقلم
 أوهام كل بليغٍ بارعٍ فهِم
 رزانةً وندى يربي على الديم
 دار الخلود نجت من سطوة العدم
 بل كان علة خلق الكون في القدم
 آيات فضل له في نون والقلم
 قد باهل المصطفى أعداءه بهم
 على الورى قبل خلق اللوح والقلم
 هم الأعظم فارصف در وصفهم
 خُضر وآمالنا بيض برفدهم
 حيثُ الحجى ومناط البيض واللمم
 ضوء البذور بغير الأوجه الوسم
 شذاهمُ وسناهم فانتشق وشم
 نشرًا به ضاع عرف المسك في الأمم
 أحلى وأعذب من تكدير ذكرهم
 عدلٌ ولمع هداهم ساطع العلم
 بالفضل والشرف الموفي بفخرهم
 مصالت خشن في ذات ربهم

كأنَّ شرعته ضوءُ النَّهار جلت
 من صفو أخلاقه سلسال كوثره
 فشكره والثنا والأجر مغتتم
 ما نال من عَرْض الدنيا وقد عرضت
 إذا لجأت إليه فاشتكيت له
 يغزو العدا بعوادي الخيل حاملة
 بالظلم يجزي العداة الظالمين له
 وتخجل البيض من ماضي عزائمه
 يقسم السمير والبيض الرقاق لهم
 وقلبه للثقى والذكر منقسم
 مآثر قصرت عن دركها ونبت
 حلم تخف الجبال الراسيات به
 لو شاء أن يَجْعَل الدنيا لساكنها
 فيومه الدهر وهو الخلق قاطبة
 صلى عليه إله العرش ما تُليت
 وآله الغُر أصحاب العباء ومن
 هم بعده خيرُ خلق الله شرفهم
 هم الخضارم فارشف در عرفهم
 سيوفهم في الوغى حُمر وأربعهم
 المغمدون الظبا في كل معترك
 بدور حسن إذا ما أشرقوا عكسوا
 فالزهر تشرق والأزهار تعبق عن
 تأرجوا فطوى الآفاق ذكرهم
 ما البارد العذب معلولاً لذي ظمأ
 أولو الكمال ملاك العلم حكمهم
 غطارفُ عرفوا بالعرف واتصفوا
 لا عيب فيهم سوى التقوى وأنهم

وكم جلوا حَزَنًا عنا ببشرهم
لسان صدق عليًا في عليهم
فكري وفي مجده قد رق منتظمي
سبطيه فخر به قد خص في القسم
وفي الإمامة فضل غير منقسم
بساعد ولسان ناطق وفم
وحكم مُلتزم بالعدل معتصم
روضًا سواه سوام الحتف لم تسم
أخدع بلمع سراب من أتاه ظمي
يدي فلاح فلاحِي وانجلت غممي

كم أوضحوا سُننًا كم أسبغوا مننًا
وقد بسطت وخير القول أصدقه
ففي علي أمير المؤمنين ذكا
وزيره وأخوه دونهم وأبو
قسيم طه علًا لولا نبوته
لم يأل شرعة طه جهد منتصر
مضاء ذي لبد مستبسل نجد
فسيفه جدول يَجْلُو الفرند به
وردت في حُبِّه العذب الزلال ولم
وبالإمام الهمام المرتضى علقت

* * *

إحياء نبت الرُّبى بالوابل الرزم
ففرعهم مُعرب عن طيب أصلهم
ضربًا وإن قصرت طالت بخطوهم
وفي النُّزال قري العقبان والرخم
صلت سيوفهم في أرؤس البهم
يرنو بأزرق مشغوف بكل كمي
ورُبِّما أخلفوا الميعاد بالنقم

وصحبه النجُب المحيين سنته
صيد جحاجة قد طاب فرعهم
تمضي الصوارم أيديهم إذا كهمت
معودين قري الأضياف إن نزلوا
هم المحارِبُ إن صالوا بيوم وغى
بكل أهيف لدن القدِّ منعطف
لا يخلفون لباعي الخير موعدة

* * *

بالمصطفى فاشكري النعماء واغتنمي
قد أبدعتها يد الألفاف والحكم
غر الملائك إذ يُدعى من الخدم
جنان خلد وما فيهن من نعم
بزورة فيحل الأتس بالحرم
وأنت أكرم مأمول وملتزم
إلى الكريم أصاب النجاح من أمم
لواء حمدك منشورًا على الأمم

يا أرض طيبة قد طلّت السماء علًا
قد ضم تريك وهو المسك جوهرة
دوح بها يشرف الروح الأمين على
كأنك الجنة الفردوس واصفة
فهل تنال مُناها النفس ثانية
يا سيدي لي حاجات عُنيّت بها
وسائل البر إن كانت وسائله
ومذ غدوت شفيعًا للأنام غدا

بجيش همّ على الأحشاء مزدحم
 نار الهموم فترقى بانخ الهمم
 فاقبل مديحي يا زخري ومعتصمي
 وسار مدحي المحلى واعتلت كلمي
 وفي مديحك ما تغلو به قيمي
 ورُبَّ قول يروع السمع بالصمم
 يا معدن اللطف والإحسان والكرم
 يدي بحبل رجاءٍ غير منفصم

قد كاثرتني ذنوبي فالتقيتُ بها
 والنفس كالتبر تستصفي شوائبها
 جعلت مدحك لي زخراً ومعتصماً
 فصار قدحي المُعلّى وانجلت غممي
 وقيمة المرء ما قد كان يُحسنه
 ورُبَّ قول يحلي السمع جوهره
 محمد بك أضحي ظنه حسناً
 حقق رجائي واشفع لي فقد علقت

السيف والقلم

ثم السياسة والتدبير للقلم
 مما تمج المواضي من نجيع دم
 فإن تكليمه يغني عن الكلم
 ولا أبيع حمى والمشرفي حمي
 ورد الحياة فلم يظماً ولم يضم
 مشيد كان مجداً غير منهدم
 والمرهف العضب يستغني عن القلم
 عبد الحميد من الأحكام والحكم
 فاستهزم العلم إيماءً من العلم
 فليس غير صليل السيف من حكم
 طلابه بلسان ناطق وفم
 أصغى لحجتها من كان ذا صمم
 معنّى بغير دويّ المدفع الضخم
 عن الضعيف الذي قد بات في ألم
 فلا يُقال لعا من ذلة القدم
 لكنّ للحرب سلطاناً على السلم
 لأهله عقبات ذات مصطلم

المجد أوله للصارم الخذم
 يقول فصلاً إذا كان المداد له
 ولا أرى حجة كالسيف بالغة
 ما ضاع حق يحوط السيف جانبه
 من زاد عن حوضه بالسيف طاب له
 إن أسس السيف مجداً واليراع له
 وليس مستغنياً عن مرهف قلم
 محا أبو مسلم ما كان نمّقه
 لم تنفع الكُتب إذا صالت كتائبه
 إذ القضية لم تحفل بساستها
 كم أمة طلبت حقاً فأعجزها
 حتى إذا نطقت صدقاً صوارمها
 أما ترى الحق لفظاً لا يوافقه
 أمّا القوي فمشغوف بلذته
 في فوز منتصر محو لمنكسر
 ما أسعد الأرض لو ساد السلام بها
 لو كان للحق نهج لا تُقام به

سادت على القضب الأتلام قائلة
لكن تنازعنا حب البقا خلق
عصر تروق به ألفاظ ساسته
نستعذب القول فيه والعذاب به
لا أجد القلم الأعلى فضيلته
كم ارتقى فيه شعب عند نهضته
إذا جرى فوق أطراف البنان جلا
إنَّ الحقائق ما شقت غياهبها
يمر طورًا وتحلو لي عواطفه

* * *

كلُّ يحرر أهليه وأسرته
من الأسار وكلُّ خير معتصم
فاعجب لزيدين قد حازت صفاتهما
تساويًا فهما صنوان من رحم

* * *

قد قلت حقًا على أني أخو قلم
لكنَّ ضميرِي وهو الحي متبع
إذا جرى فهو لم يقصر ولم يخم
حقيقة حبها من أفضل القسم

شجو الغرام

أجدك هل لي من هواك مجيرُ
أسامر في ليل التمام نجومه
وقد منعوا طيفَ الخيال فلا الكرى
وأخر عهدي يوم برقة عالج
حمائل يحملن الحسان كأنَّها
تهز غصون البان وهي معاطف
فلم أدِرِ والأشباه تشكل منظرًا

* * *

ولما وقفنا للوداع بذى النقى
نُعَرِّضُ بالشكوى لهم ونشير

وفي القلب من برح الصبابة لاعج
وقد أشرقت للناظرين طوالعًا
جرت لمراعاة النظير مدامعي
عشية أقصدن الحشا بنوافذٍ
فلم نرَ أمضى من سهام كليلية

له بين أثناء الضلوع سعي
بدور لها فوق الحدوج سفور
نجومًا فلاحت أنجم وبدور
من اللحظ في قلب الرمي ثغور
ينصلها سحر بها وفتور

* * *

وأقسم لولا أن ينم مراقب
جنى عاشق نوري أفاح ونرجس
وهل يسلم العيش الرغيد من الأذى
إذا ما حلا عيش أتى الدهر دونه
ومن شيمي أن لا أقر ظلامه
وأهجر عذب الماء إن هان ورده

ولوع بنا أو يستريب غيور
وما هو إلا أعين وثغور
ويصفو لأبناء الزمان سرور
فأصبح حلو العيش وهو مرير
وإن لم يكن إلا الحسام نصير
فأظماً أو يروي الغليل هجير

أيام الرسم

على اللوى رسم دار
إذا ضللت هداني
كأن دارين فضت

لزينب ونوار
لها شميم العرار
لها ذكي العطار

* * *

يا أيها الرسم حيي
أين الوجوه اللواتي
إننا جميعًا غدونا
سلبت نور جمال
غداة زمت ببين

ثراك صوب القطار
كأنهن الدراري
بعد النوى في أسار
كما سلبت اصطباري
أينقهم والمهاري

* * *

وفي الظعون مهاة
كأن في وجنتيها

تحمى بأسد الغوار
يوانع الجلنار

ساروا ولكن بصبري وسلوتي وقراري
وقد بقيت ولكن للوعة وأوار
والقلب سار جنيباً مع الظعون السواري
خالسها لحظ عين والقلب يصلى بنار
لولا الرقيب أرتنا أنساً بذاك النفار
وقد أشارت بكف وودعت بازورار

* * *

قد كان ليلى مُضيئاً فحال ضوء نهاري
فهل يعود إلينا عهد الليالي القصارِ

محمد السماوي



محمد السماوي.

ولد محمد بن الشيخ طاهر السماوي في السماوة^١ سنة ١٢٩٣هـ، ولما بلغ العاشرة من عمره أرسله والده إلى النجف الأشرف لطلب العلم، فبقي فيها يدرس العلوم النقلية والعقلية نحو اثنتي عشرة سنة، ثم بلغه وفاة والده، فظلَّ في النجف كذلك بعد وفاة أبيه ما يزيد على العشر سنين يطلب العلم، وما لبث أن رجع إلى السماوة وظل فيها ما يقرب من ثماني سنين، ثم سافر إلى بغداد ومكث فيها أربع سنوات عضواً في «انجمن الولاية» حتى سقطت بغداد بيد الجيش البريطاني، فعاد إلى النجف وسكنها إلى يومه هذا. وهو اليوم قاضي الشرع الشريف في النجف الأشرف.

وقد نظم المترجم الشعر في أيام الشباب، وأكثر منه في الغزل والإخوانيات، ثم تركه ولم يعد ينظم في غير مدائح النبي ﷺ والأئمة الاثني عشر، وقد طبع له من ذلك مجموعات قبل عشرة أعوام. وله في هذا النوع نحو عشرين ألف بيت غير مطبوعة.

(١) مؤلفاته

الشيخ محمد السماوي مصنفات في علوم شتى، أهمها:

- (١) الطليعة في شعراء الشيعة: سفر كبير يقع في ثلاثة مجلدات، بحث فيه مؤلفه عن شعراء الشيعة قديماً وحديثاً (مخطوط).
- (٢) أبصار العين في أنصار الحسين: يتضمن تراجم أصحاب الحسين بن علي الذين قُتلوا معه في الطف (مخطوط).
- (٣) ظرافة الأحلام فيما نظم في المنام: مجموعة الشعر الذي حفظه رائيه بعد انتباهه (مخطوط).
- (٤) الكواكب السماوية في شرح القصيدة الفرزدقية: كتاب أدب نحا فيه مؤلفه نحو شرح الصفدية على لامية العجم (لا يزال خطياً).
- (٥) شجرة الرياض في مدح النبي الفياض: مجموعة قصائد طبعت في مطبعة الآداب ببغداد سنة ١٣٣٠.

^١ بلده على الفرات شرقي الكوفة تبعد عنها بمقدار ٢٢ ساعة. بناؤها يقرب من مائتي سنة ليست بالقديمة. أما السماوة التي تذكر في شعر العرب فهي بين الكوفة والشام.

(٦) ثمرة الشجرة في مدح العترة المطهرة: مجموعة منظومات طبعت في مطبعة الآداب ببغداد كذلك سنة ١٣٣١.

وله غير هذه من الآثار النفيسة، وفيما يلي نماذج من نظمه:

في مدح النبي ﷺ

وفقت سل السيف بالإنصلات
فأبي شمل لم تدعه شتات
والله قد أنبت ذاك النبات
عجبت للؤلؤ وسط الفرات
فهاك يا ساقى كاسي وهات
قلبي وإلا مت فيها خفات
صحيفتي خديه أحلى نكات
عنها فأحياه ولولاه مات
يرون هبات له في هبات
تتلو علينا الزبر والبينات
يدعو إلى الله بطيب الزكاة
وأنبياه بجليل السمات
فنال كلُّ منه أهني حياة
منزه عن عارضات الشيات
قدسه الله بأسنى الصفات
الناصر الخالص نعتاً وذات
إليه أن جاءت إليه كفات
يكن له في يوم عز ثبات
في كفه إن راعت الحادثات
ليس ورا الحق سوى التُّرَّهات
من معجز حين تحدَّى الغواة
وقوله الصادر بالمحكّمات

أخجلت جيد الريم بالإلتفات
بسمت زهواً بشتيت اللمي
تقول الناس بتحقيقه
ثغر إذا لحن ثناياه لي
جلا علينا فمه خمرة
حرز بها عنقي وبرد بها
خط العذاران دقيقاً على
داويت قلبي بثنا «المصطفى»
زريعة الخلق إلى الحقِّ كم
راقت معاليه فأياتها
زاكية في مدح زكِّ أتى
سما على العالم أملاكه
شرى رضاء الله في نفسه
صوره الرَّحْمَنُ من جوهر
ضاء السنا منه على هيكل
طه البشيرُ المهتدي أحمد
ظل البرايا كهفها الملتجي
عز الهدى فيه ولولاه لم
غادره أثبت من سيفه
فقل لغاؤ لم يطع قوله
قد جاء بالقرآن أعظم به
كتابه المُنزل من ربّه

لله ما جاء به أحمد
ماز لنا ميلاده عن هدى
نار خبت فيه وماء جرى
وانشق إيوان فأبراجه
هل بعد هذا مُعجز معجز
يبقى حيوة الدهر إعجازه
ومعجز الرسل لحين الممات

وله في مدح النبي ﷺ كذلك

أجل الثنايا أملاً واقتراح
بالله واجعل نقلتي بعدها
تسارعت شمس الضحى خيفة
ثار لها الغيظُ فلاحت على
جلل بفرعيك على وجهها
حرمت يا شمس عناق الهوى
خرجت غيرى منه محمرة
دعاني اللاحي فقلنت أنته
ذرني فبالحب صلاحي فإن
راسي العلا شامخ طود الحجي
زيّن وجه الدهر ميلاده
سقى به الله عطاشى الفلا
شاد به عرش المعالي كما
صرّح شق وسطيح بما
ضاق بنو الكفر بما أخبرا
طاشت خطاهم ظهر النور من
ظاهره النصر فراياته
عرف بالمعجز إرساله

وأنعش بها روحي في وقت راخ
من ذلك الورد وذاك الأقاح
أن يقبس الطلعة منك الصباح
حال يد طوق وأخرى وشاح
فقد دهانا وجهها بافتضاح
لا خاب من سمّاك يوماً براح
أولى وأولى فهو زين الملاح
أرى الفلاح الحب لا ألف لاح
زال فمدح «المصطفى» لي صلاح
ظل الملا باب النجا والنجاح
وزّاده روحاً وفضل ارتياح
وأطعم الله غراثي البطاح
شَقَّ له إيوان كسرى فطاح
قد رأياه من خفايا وضاح
ظنوا بأن الأمر فيه انفساح
فاران واستولى النبي الصراح
تسير بالفتح مسير الرياح
من سور مخرسة للفصاح

غامرة الإعجاز حتى انثنوا
فأورق العود له والحصى
قسم بدر التم شقًا كما
كف أكف السوء عن يثرب
لأث على كشح هضيم الحشا
مناقب يعجز تعدادها
نال بها الإسلام تعزيه
وانتشر النور وبان الهدى
هاتيك في جابلق أطنابه

يشكر من جاء به مهديًا
صلاته العُليا غدوًا رواح

وله في مدح النبي ﷺ كذلك

أطلعة بازغة أم هلال
بدت فكم طرف لها شاخص
ترق للعين غروب اللمى
ثغر جلا الحُسن له أنجُمًا
جلى عليه باز غرنينه
حلا لماه للذي ذاقه
ختامه المسك عليه بدا
داو سقامي يا طبيبي به
ذوى قوام الجسم لو لم يكن
رسولنا الصادق بالوحي والصدِّ
زاكي الورى الآتي على فترة
سعد النبيين الألى فخرها
شبهه من شبه أفعاله
صوره الله تَعَالَى اسمه

ووفرة سابغة أم ليال
سال ولكن قلبه غير سال
منه كما ينصع عقد اللئال
دار بها الشارب دور الهلال
بجنحي الأصداع خوف المنال
طوبى لمن يشرب خمراً حلال
فخال بعض أنه كان خال
فإنه أصبح داءً عضال
له على مدح «النبي» اعتدال
ساع بالقول وصدق الفعال
من النبيين بحسن المقال
لو عقدت منه شراك النعال
أهل الحجى إذ كان فرد الرجال
من جوهر فرد عديم المثال

ضفى عليه القدس أستاره
 طه ومن طه عداك النهى
 ظلامه الرشد أتت عنده
 عال اليتامى والأيامى معاً
 غرق بالأفضال أنجى من الـ
 فرق بين الدين والكفر في
 قاد الورى للدين أولى ثرا الـ
 كف أكف الشرك في هديه
 لا تعجبوا أن أورقت عودة
 من على الأسرى وفك الورى
 نازل والموت على سيفه
 وصال حتى لم يدع مطمئاً
 هد بناء الشُّركِ مُستأصلاً

يرفعه العدل إلى غاية
 ليس وراها غاية وانتقال

في مدح الحسين الشهيد ابن علي عليهما السلام

أدهق ساقي الهوى له قدحه
 بات يجنُّ الهوى ويستره
 ترثي له الناس رقة وهم
 فل الجوى عزمه بحب رشاً
 جوذر رمل ومهر سابقة
 حاز من الزبرقان لمحته
 خطا قناة وما خطى كبدي
 دعاه قلبي للحزن لازمه
 ذاك لأنَّ الفؤاد هام به
 رِقٌّ لمن لم يرقُّ سواك له

فشب زند الجوى بما قدحه
 لكن صوت البكاء قد فضحه
 لم ينظروا قلبه ولا فرحه
 لو مر عذب الصباية جرحه
 ألا ترى جيده ومتشحه
 وباع من مشتري السما ملحه
 ومال صفحاً سبغاً وما صفحه
 فلم يزل همه ولا ترحه
 ولم يطع فيه قول من نصحه
 وأرث لمن لا تزال مقترحه

زايلى وصفيك ثم عدت إلى «الـ
سبط النبي الهادي وبهجته
شاد عماد الهدى وأطلعه
صرف في دين جده فكرا
ضاقى يد المسلمين عن رجل
طلاب حق ركاب مخرطة
ظلوا حيارى به فلم يجدوا
عاز به خائفاً فأمنه
غدا يشيد الهدى ويرفع ما
فكم دريس أعاد رونقه
قاتل عنه بصاحب خذم
كهم بيض الظبا بموقفه الـ
لما انثنى في الكفاح مبتسماً
ماز الهدى وانجلى حقائقه
نال المنى في وقوفه ومضى
ورد ضوء الكتاب مُنتشراً
هدى به الله من أضلّ هدى

يقصر وصفه الطويل ثنا
فقل بمثن يُقيم منسرحه

في مدح علي السجاد ابن الحسين عليهما السلام

أبد لي مم احوراز المقل
بت منها وهي سكرى ثملاً
تلفت نفسي أما يرأف بي
ثغره الأشنب لو عللني
جائر الأعطاف كم قد هزما
حارب الصب بها حرب الرّشا

أهو من كحل بها أم كحل
هل سمعتم ثملاً من ثمل
ساحر الأجفان أو يعطف لي
لشفي لي عللي أو غللي
فأسال النفس فوق الأسل
فاستهان الناس حرب الجمل

خف بند الخصر منه فانثنى
 دع فؤادي وسناً وجنته
 ذهب ألاحظه قابسة
 رام يُطفيها بدمع فاغتنى
 زاد في الطين بللاً فالتجى
 سيد العُباد مصباح الهدى
 شرف جاز المعالي وعلي
 صدع الليل بشخص قائم
 ضارع لله في وقفته
 طلّق الدنيا ثلاثاً وانثنى
 ظلم الطالب تشبيهاً له
 علمت كل الورى أنّ به
 غاية الفضل ابتداءً عنده
 فاض في الدنيا نداءه فاستوى
 قف على آثاره وأسأل تجد
 كم توخى جمعها من حازم
 لم يطق يجمع منها بحرهما
 ما على مادحه من كلف
 نسب زاه وفضل زاهر
 ويد بيضاء في كل الورى
 هي راح الملتجي والمرتجي

عنه وأثاقل درع الكفل
 فهو جاء النار كيما يصطلي
 منه فارتدت له بالشعل
 نهب نار ومياه همل
 «لعلي» بن الحسين بن علي
 في المهاوي نور عين المجتلي
 فاز في نص الكتاب المنزل
 في محاريب الدجى مبتهل
 يبتغي العزة في المستقبل
 لهوى الأخرى بسوق مشغل
 عندما يذكره في رجل
 موضع الشبه وضرب المثل
 ينتهيها في الرعيل الأول
 باطن السهل وظهر الجبل
 منه ملء السمع ملء المقل
 فانثنى منها غريق البلبل
 فاكتفى عن بحرهما بالوشل
 إن يجانس بين تلك الخصل
 وهوى منجٍ وفخر منجل
 كم تجلت في السواد المقبل
 إن يرم عصمته أو يسئل

يبلغ القول ولا يبلغه
 لعلو المرتقى والمنزل

في مدح محمد المهدي ابن الحسن عليهما السلام

أروضة العارضين طرزها
بدت لنا من خدوده فتن
تبارك الله خط دائرة
ثنى ثنايا عن شارب فغدا
جالت على الغصن منه أوشحة
حبيب قلبي لا تقذفن به
خلفته والعيون رامقة
دمع يزيد الجوى تدفقه
ذبت إما رحمة فتنعشني
رق لدمع مرقق وحشي
زالت فلولا «المهدي» يركزها
سيف النبي الهادي وصعدته
شقت غيوم الظلام طلعته
صنيعة الله في خليقته
ضفت برود الجلال سابعة
طرزها مجده ووشعها
ظلت عيون الأنام شاخصة
عاد بك الله يا ابن رحمته
غبت فباتت دلائل لك لم
فأنت لله في الملا عدة
قامت قناة الإسلام واعتدلت
كنت قوامًا لها فقومها
لا برحت روضة الثناء على
ما قصدته الورى فخيبتها
منحت قلبي مدحًا لمعشره
وجئت فيها له موشيتها

ورد العذارين حين طرزها
فزادها عارضًا وعززها
من عارضيه والخال مركزها
مُنْعَطْفًا فوقها لينهزها
صدرها والكثيب عجزها
هوة وجد أبعدت حيزها
إليه حزوًا تطيل مهمزها
وحرقة لم تدع تميزها
أو موة اغتدى مجهزها
قطع منها الغرام مفرزها
هداه لم تستطع لتركزها
جرده للهدى وهزهزها
حين بدت شمسها وأبرزها
حاسة في الضعفاء ميزها
على علاه والمجد طرزها
كماله والجمال فروزها
رامت لحاقًا به فأعجزها
لتجمع الخلق أو لتفرزها
تكذُري العالمين معجزها
بالحق لا بد أن سينجزها
واستصلب العاجمون مغمزها
وكنتَ حرزًا لها فأحرزها
محمد مسرحًا ومنترها
ولا نحت نيله فأعوزها
ولم أدع قوة لأكنزها
بزئبر منتقى مطرزها

هدية ترتقي لمنزله فيتقبل منها تجوزها
يقلُّ مني أن أهد مطنباها
فكيف أهدي إليه موجزها

بعد الصبا

أبعد أن عرى الصبا أفراسه
خفض عليك فالمشيب قد أتى
لم تدع الخمسون منك جانباً
سوّد لي غض الشباب كتبه
فلا ذوى روض جلا ثغامه
ماذا الذي استفدت منه غير أن
أيام أغدو مرحاً وأنثني
يا ويح نفسي هل أرى لي توبة
حتى متى أرجو اطراد أمني

تطلب إيناس الهوى أوناسه
يضحك منك كاشراً أضراسه
إلا وهداً مرّها أساسه
وبيض الشيب بها قرطاسه
وليذو عود قد شممت آسه
وجدت كالنار التظت أنفاسه
جدلان يسقيني الغرام كأسه
أرحض عن ثوبي بها أدناسه
وكيف لم أخش بي انعكاسه

عبد العزيز الجواهري

اطلب ترجمته ورسمه ونخبة من نثره في قسم المنثور من هذا الكتاب.

(١) الشباب

فما عمر الفتى غير الشبابِ
فإنَّ السيف يصدأً بالقراب
فإنَّ المجد أجدر بالطلابِ
فكم خطأً يتول إلى الصواب
فإن الجد مقلد كل باب
تقاعس عزمه عند الغلاب
فليس يفيد مطرد الكعاب
فما للشيب فرع للشباب
فإنَّ السيف يقطع بالذباب
وكم شهر توقد في شهاب
إذا يخلو وينزل وهو رابي
لما شمخت على الروض الروابي
تبرأت النفوس من الرقاب
لما افتخر الحسام على القراب
أعز عليّ من بنت النقباب

تطلب في شبابك للصعابِ
وسل حسام عزمك للمعالي
ودع طلب الهوان لمبتغيه
وكرر لو خطأت الجد يوماً
إذا ما الجهل أرتج منه باباً
ولا تجدي الشجاعة في غبي
إذا انعكس السنان لدى طعان
وإن غصن الشبيبة راق حُسنًا
ولا ينقصك قولهم فتى
وكم قمر تولد من هلال
وإن الدهر كالميزان يعلو
«ولو لم يعل إلا ذو محل»
ولو معنى الجهالة صيغ طوقاً
ولو رهن البطالة حاز فخرًا
وليس ابن النقيبة في هوان

فأصل أرومة الأخلاق منها
وينمو من عوائدها ربياً
إذا روح الحياة بها تسرت
لأنت أجل مدرسة تسامت
وإنك للحياة أجل بيت
وإنك للوليد أجل سفر
وإنك في ارتجافك خير درس
وإنك كالمرأة صفت صقلاً
وما ضرب النوابض فيك إلا
أيا من ضلهم صبح الترقى
سكنتم فوق مهد من خمول
بليل مغدف الأرجاء داج
تشع لغيركم شمس المعالي
ألا فلتغنموا فرصاً إليها
فمن طلب الفضيلة في هوان
وما معنى الكمال سوى رموز
تطلس جذر مفخرنا وأبقى
وما اندرست معارفنا ولكن

يمتُّ بكل فرع مستطاب
كما تنمو الرياض من الرباب
فما تلد العقاب سوى عقاب
لدرس بنيك يا صدر الكعاب
منيع الركن مرعي الجناب
يطالع فيه شاكلة الصواب
تردد فيه ألسنة الخطاب
بها ارتسمت خلال الإكتساب
لتحريض الصبي على الطلاب
وشع لديهم ليل التغابي
يهز حراكه شم الهضاب
أحم الوجه غريب الإهاب
وشمسكم توارت بالحجاب
تمر عليكم مرّ السحاب
كمن طلب الفريسة تحت ناب
تزين برسمها صدر الكتاب
لنا شبه الأصم من الحساب
خفى حسن السبيكة بالتراب

(٢) ملك السجن

نظمها بمناسبة الدستور وخلع الملك عبد الحميد.

بعيشك كم تحنُّ إلى السرير
هلالياً أراك نحلت جسمًا
طواك الرعب قبل الموت ميتًا
أهانتك القصور وكنت ملكًا
قريت الوحش من جثث البرايا

وكم ترنو بطرفك للقصور
أما تشفيك آفلة البدور
وأحيتك المنى قبل النشور
تهيب منه سكان القبور
ورويت الربا بدم النحور

بكت منك الثغور دمًا مُراقًا
فأقسم أنّ عود الدست لو لم
لأثمر في رعوس الجند روضًا
تنوح عليك أقفار الموامي
وتندبك العذارى حاليات
بكتك الغانيات بدر دمع
وتضحك عند باسمة الثغور
يكن من حر باسك في سعير
وأزهر من دماها في غدير
وتهتف فيك ساغبة النسور
بموشي الدمقس مع الحرير
بكاء الورد بالطل النثير

* * *

أتاك نذير يلدز مستطيرًا
يخاف الطفل من رؤيا أبيه
لقد عبر النجوم إليك جيش
لقد ذعرت به الأنفاس حتى
يسد الجو منه غبار نقع
أراك أسير أحزان وقييد
وقد كنت الأمير على السرايا
غريب لو جزيت الخير لكن
لقد أوغرت صدر الجند حتى
وكننت تظنه وجه البشير
وتخشى المرضعات من الحجر
بغير سراه في الشعري العبور
كأن الجسم يرصد بالضمير
ويقذى دونه طرف البصير
وكننت أراك ترسف في السرور
فكيف رسفت في قيد الأسير
جزيت الشر يا شر الدهور
أراك الدهر عاقبة الغرور

ومنها في الباخرة:

تسير به بنات البحر جريًا
إذا اتقدت عزائمه سراجًا
عجبت لها تجن الماء وجدًا
لقد رنحت بطود الحلم منه
فتسبق فيه أبناء الطيور
أمدته بالسنة الزفير
وتمشي الدهر في الماء الغزير
ولوله لطارت للأنثير

(٣) رثاء

زعيم الأحرار ورئيس الملة الشيخ محمد كاظم الخراساني ووصف ورود «البرق» من نساء إيران بعضهم وضع الحادث الجلل هناك.

فهل كنت فوق النجم أم كنت في الثرى
 تعالى الذي صفاك للناس جوهرًا
 فقد عُدت سرًّا في حشا الغيب مضمرًا
 ولكنه في صوت ناعيك فسرا
 لها ارتجت الأفلاك وارتجف الثرى
 لطارت بنا الأرض العريضة في الذرى
 لأنك قد كنت الحسام المجوهرًا
 تجنُّدُ للأعداء جنْدًا مظفرا
 وتلبسهم ثوبَ المنية أحمرًا
 تردى ثياب الموت في الحرب مئزرا
 تموج بها البيض الصفايح أبحرا
 فزارك تحت الليل في سنة الكرى
 قد اتخذ الخمس الأنامل منبرا
 ورق لوجه الرق أمسى محررا
 فتجري به من حالك الحبر عنبرا
 ويرجع جمع المالِ جمعًا مُكسرا
 حماك ولما ينثنى متحيرا
 فجاءتك في شخص الرقاد مصورا
 جرى بفصيح اللفظ ينطق مخبرا
 وأعمى بليل المشكلات تبصرا
 أتاك مُقيماً يسبق البرق في الثرى
 عجيج نساء تستشيط تزفرا
 وأهدته صبغ الدمع فانصاع أحمرًا
 وينطِقُ عن لفظ له الوجد عبرًا
 إذا سمعت أن ابنها قد تنصرا
 إذا ما نكا في فحمة الليل أو سرى
 بأنك أحرى أن تعز وتنصرا
 أشع من الشمس المنيرة منظرا

بكاك الحيا دمعا كما بكت الورى
 تحير عقلي كيف أرثيك واصفا
 لئن كنت نورًا في حشا الكون مظهرًا
 رأيت بطيفي سوف تبلغنا المنى
 لقد مادت الدنيا لوقع مُرنة
 ولو لم تكن طودًا من اللحم فوقها
 بكتك الدراري في لآلئِ دمعها
 أناصر دين الله هل لك نهضة
 تحوك لهم ثوب الوقيعة أسودًا
 بفتية صدق إن توازر جمعها
 إذا أوقدوا في الحرب نار كرية
 تهيبك الموت المقدر يقظة
 وإن خطيبًا فوق كفك ناطقًا
 رضيع بمهد الكف ينشي حديثه
 يشع كوجه الصُّبح كافور طرسه
 يصد جميع الجيش بالنصر سالمًا
 عجبت له كيف استزارك طارقًا
 بلى كنت للإسلام والدين ناظرًا
 وأخرس إن حل السؤال بسمعه
 أصم لأسرار البرية سامع
 إذا ارتجفت أسلاكه داخل الحشا
 أتاك بصدر الليل ينشد حاسرًا
 أعارته أحشاها فأوقد جمرة
 يحدثُ عن قول يُحرره الأسى
 من المسلمات اللائي تجزع لوعة
 تجاذب سلك البرق أسلاك دمعها
 تؤمل نصر الدين والدين عالم
 فيا من غدت للناظرين صفاته

بروضتها أهدت إلى الطرف أنضرا
أتى آخر منهن أزهى وأزهرا
وعبق رياها الرياض وعطرا
سناه وللمرتاد روضاً منورا
جدير بأن يمسي بنعمك أخضرا
عدو له ناعيك أمسى مبشرا
فقد كان أوفى منه جوداً وأكثر

حديقة ورد كُلمًا جف ناضر
وشهب سماء كُلمًا غاب زاهر
أريحانة الوادي التي فاح طيبها
لقد كنت للداجي سراجًا منورًا
وإن صعيدًا قمت فيه مجاورًا
وأعظم حزن فيك يا منذر الورى
سقاك الحيا أو صوب كفك لا الحيا

شقيقي علي

أن لا يخون بوده وإخائه
قمرًا ويشرق زاهرًا بسمائه
حتى يُشارك أهله بعزائه
رسمًا فقارن خسفه بجلائه
بالنور ثوب الحزن من ظلمائه
قد فل جوهر حدّه بمضائه
ليليل قد كثرت نجوم سمائه
وذوت خميلته أوان روائه
ذبلت أقاحة ثغره في مائه
وطلبت طوق الحزن في ورقائه
نبتت تسبح في ضريح ثوائه
لأروين السورد في أندائه
بيد المنون وجف قبل نمائه
طربت له الأيام قبل غنائه
فرحًا وعاد مُصوّبًا بنعائه
ورعيت يأسى فيه بعد رجائه
فحرمتني من بشره وهنائه
وكفاه صبغ الدمع عن حنائه

بزغ الهلال فأين عهد وفائه
أيرى أخاه مُغيبًا تحت الثرى
هلا توارى بالصعيد جماله
قمر بدا ليل المحاق هلاله
ثكلت به زهر النجوم فخرقت
سيف جلاه المجد أبيض ناصعًا
برزت نواجذه فقلبت بشاره
أواه غصني لفه شوك الردى
لم يذوه لثم الشفاه وإنما
إنى خضبت أناملي بمدامعي
وعكفت حول أزاهر من قبره
نذر عليّ لئن زها ريحانه
يا لهف أيار تفرط ورده
يا بلبلاً قد حلّ في قفص الثرى
جاء الكنار مُبشراً بقدمه
فشربت منه سراپتي حين الظما
أهلل عيدي أين غيبك الردى
أغنته عن جدد الحلى أكفانه

وتركت قلبي حول قبرك حائماً
 إن شع لي قبس الحياة فإنه
 لو يترك الموت استنارة نجمه
 ولأصبح الطل السقيط على الربى
 أأخيَّ يا قوسي ونبل كنانتي
 أبقيت قلبي للزمان دريئة
 أرسلت جفني في ضريحك أملاً
 حملته في نعش الغماء وأنشدت
 خفقت بأجنحة الفراشة روحه
 فكست رقيمة قبره وبودها
 نزعتك من كفي المنية صارماً
 حلم فرشت له الجفون فزارها
 فصل الورود كثيرة أثوابه
 ورسمت شخصك فوق مرآة المنى
 رضوان يا ملك الجنان تنحَّ عن

شبه الفراش يحوم حول ضيائه
 لهب السراج يلوح في إطفائه
 زمناً لكان البدر في إهدائه
 غيئاً يرش الورد في أنوائه
 ومدير جيشي بل أمير لوائه
 ونصبتني غرضاً إلى أبنائه
 أن يصحبن الطيف في إغضائه
 سفر الظلام قصيدة لراثه
 لكنها احترقت بجمر ذكائه
 لو أنها نثرت على حصبائه
 لمعت بروق الموت في أنضائه
 ليلاً ومتع ناظري بلبقائه
 ويخص أيار بثوب بهائه
 حتى طمعت اليوم في إحيائه
 ملك طيور الخلد من وزرائه

خفق الهلال

سدَّ الثغور بعزيمة الإسكندر
 لبس الحديد مضاعفاً من عزمه
 زرع القنا فوق العداة فأورقت
 يسقيه من حمر الدماء ويجتني
 فكأنَّ سيف النصر فوق يمينه
 وكانَّ أعواد الوشيج بنقعه
 وكانما البيض الصفاح جداول
 يجري بشهباءٍ يصكُّ رنينها
 أمن السمك به فباع قنانه
 تروي بضحضاح المجرة خيله

جيش يقاد من النهى في جوهر
 ومشى على حسك الوشيج الأسمر
 زهراً بغير نفوسها لم تثمر
 ثمر المنون من الحديد الأخضر
 برق يشعُّ بعارض متعنجر
 روضٌ عليه سحابة من عنبر
 زهرت بريحان القنا المتعطر
 وجه الكتيبة باليباب المقفر
 طرباً وحنَّ إليه قلب المشتري
 وتروى في أس السماء المزهر

ضاق الفضاء بعزمه من بعد ما
من كل أبلج ذي عذار أخضر
يغزو بسورة عزمه وجفونه
قومٌ إذا ما الشر أسدف مُظلمًا
أو أجذب الوادي وصوح نبته
وإذا السماء تزلزلت أفلاكها
برقت مواضيهم وسحب أكفهم
أبناء رامة إن مشوا نحو الردى
تبنى على حسك الرماح قصورهم
لبسوا الصباح مفاضةً محبوبكة
خفق الهلال عليهم وتأمروا
بعدت تمائمهم وهن صفائح
خطت بأطراف الرماح حروفها
ذعورا الفضاء فلان في أرواحهم

* * *

فتيات رومةً نظمي درر البكا
وصفي القلائد للرجال مدامعًا
ودعي الخدور لهم فقد نهبتهم
قد فاجأت غاب الليوث فأصبحت
رصد المحيط جسومها فلو انها
تترصد الأجفان سطوة هذبها
ترنو الصباح مقلدًا بصوارم
وتكاد تهرب أرضها من تحتها

سمطًا يزان بلؤلؤ متنثر
وذري تمائمهم مكان الجواهر
بيض السيوف بكل ليث مخدر
مثل الفريسة تحت ناب غضنفر
نزعت لتفحص في الثرى لم تقدر
وتخاف مقلتها عداء المحجر
وترى الظلام مجندًا في عسكر
لو كان تبصر مأمنا في مقفر

الشعر حي لم يمّت

أرى كل شيء شاعرًا مترنما
تخط عليها الخلق شعرًا منظمًا
نقيم احتفالًا أو نُشِيد مأتما
إذًا لرآه الطرف شخصًا مجسمًا
رموزًا فيمليها الهزار مُترجمًا
أرى البدر فيها شاعرًا مُتبسمًا
قصيدة شعر بينها الحب نظمًا
لدى الصبِّ ليلًا زفها الوجد أنجمًا
وتلثم ثغر الأتحوانة مبسمًا
عليها خيال البدر شعرًا مجسمًا
بساطًا وسامرت الخيال المسلما
من الليل وشيًّا بالنجوم منمنما
كنصف سوار زان لليل معصما
ولوعًا بأشعار الطبيعة مغرما
لكالشعر يمليه الخيال توهما
وفتشت أسرار العوالم في السما
ولم أَلْفَ إلا شاعرًا أو متيما
وسيان فينا من بكى أو ترنما

خليلي ما معنى الشعور فإنني
أرى الكون في لوح الوجود قصيدة
هو الشعر باقٍ ليس تفنى حياته
تصوّره روح الخيال فلو بدا
وتنشر أسفار الطبيعة شعرها
هل النجم إلا روضة نرجسية
فدئى لدموع العاشقين فإنها
عرائس حبٍ إن تجلت بدورها
تُقبّل خدّ الجلّانة وجنةً
وزاهرة ما روض الحفل مثلها
فرشت بيوت الشعر فوق رياضها
لقد نسجت أيدي الفراقد فوقها
نظرت به طوق الهلال مفضّصًا
ولم أرَ مثل الروض في الأرض شاعرًا
وما الشعر تمليه الرياض حقائقًا
تفريت أسفار الخلائق في الثرى
فلم أرَ إلا روضة أو خريدة
ألا كل صوت طارق صوت شاعر

الحياة شباب

فما عمر الفتى غير الشباب
فإنّ السيف يصدأ بالضراب
فإنّ المجد أجدر بالطلاب
فكم خطأ يئول إلى الصواب
فإنّ الجدّ مقلد كل باب

تطلب في شبابك للصعاب
وسل حسام عزمك للمعالي
ودع طلب الهوان لمبتغيه
وكرّر لو خطأت الجد يومًا
إذا ما الجهل أرتج منه بابًا

ولا ينقصك قولهمُ فتِيٌّ
 وكم قمر تولد من هلال
 وإنَّ الدهر كالميزان يعلو
 وهل تجدي الشجاعة في غنيٍّ
 إذا انعكس السنان لدى طعان
 وإنَّ غصن الشبيبة راق حُسناً
 «ولو لم يعملْ إلا ذو محلٍّ»
 ولو معنى الجهالة صيغ طوقاً
 ولو رهن البطالة حاز فخرًا
 وليس ابن النقيبة في هوان
 فأصل أرومة الأخلاق منها
 وينمو من عوائدها ربيب
 إذا ما الوالدات
 فأنت أجل مدرسة تسامت
 وإنك للحياة أجل بيت
 وإنك للوليد أجل سفر
 وإنك في ارتجافك خير درس
 وإنك كالمراة صفت صقالاً
 وما النزغات تنبض فيك إلا
 أيا من ضلهم صبح الترقى
 سكنتم فوق مهد من خمول
 بليل مغدف الأرجاء داج
 تشع لغيركم شمس المعالي
 ألا فلتغنموا فرصاً إليها
 فمن طلب الفضيلة في هوان
 وما معنى الكمال سوى رموز
 تطلس جذر مفخرنا وأبقى
 وما اندرست معارفنا ولكن

فإنَّ السيف يقطع بالذباب
 وكم شرر توقد في شهاب
 إذا يخلو وينزل وهو راوي
 تقاعس عزمه عند الغلاب
 فليس يُفقد مطرد الكعاب
 فما في الشيب فرع للشباب
 لما شمخت على الروض الروابي
 تبرأت النفوس من الرقاب
 لما افتخر الحسام على القراب
 أعز عليٍّ من بنت النقاب
 يمتُّ بكل فرع مستطاب
 كما تنمو الرياض من الرباب
 فما تلد العقاب سوى عقاب
 لدرس بنيك يا صدر الكعاب
 منيع الركن مرعيُّ الجناب
 يطالع فيه شاكلة الصواب
 تردد فيه ألسنة الخطاب
 بها ارتسمت خلال الإكتساب
 لتحريض الصبي على الطلاب
 وشع لديهم ليل التعابي
 تهز حراكه شم الهضاب
 أحم الوجه غربيب الإهاب
 وشمسكم توارت بالحجاب
 تمر عليكم مرّاً السحاب
 كمن طلب الفريسة تحت ناب
 تزين برسمها صدر الكتاب
 لنا شبه الأضم من الحساب
 خفى حسن السبيكة بالتراب

المجرة

هذي المجرة بارتجاف نجومها
فكأنها والنجم روضة نرجس
تحكي الصفيحة في يمين جبان
غرست بفيض العارض الهتان

الكمال

أيها السالكون غير طريق الرُّ
ما لكم قد قعدتم عن كمال الذ
فأفئقوا من رقدة الجهل لو كا
أدرك السابقون ما أملاو اليو
أبغير الكمال ينسى غريب
أبغير الكمال يشقى عدو
أبغير الكمال يصفو ويحلو
فالكمال الكمال فالنقص عار

* * *

أين أنتم عن رائقات المعاني
أين أنتم عن له وهو دون
فاز ذو منية بنيل مناه
برشاد قد عمنا الرُّشد واستح
من له من مهابة العز جند
سار بالعدل منه باس ولين
سيرة المصطفى التي أحكامها
طابق اسم الرُّشاد فيه مسماً
جاء كفو العلى يتوق إليها
ويدور السعود بعد أفول

نظمتها الأفكار درًا يروق
بالكمال التصدير والتفويق
واستردت مظالم وحقوق
كم عقد الإسلام فهو وثيق
رحب صدر العدو فيها يضيق
ما حريق ذكر اسمه ورحيق
صاحباه الصديق والفاروق
ه فطاب المفهوم والمنطوق
وهي شوقًا إلى علاه تتوق
عم أفق الإسلام منها الشروق

(٤) الأمل والحقيقة

بها شرر الآمال يلهب كالوقد
لها من خيالي جذوة سعرت زندي
أكرر آمالي فتوثق بالشد
أصول بسيف لا يسلم من الغمد
جلية سبك الوجه مصقولة الخد
لدى الطرف والأوهام معكوسة الطرد
وتؤنسنني إن شفاها ألم السهد
وعشنا سواء نمرث الودع في المهد
بها زهر الآمال تنبت كالورد
رويت ولم أظمأ إلى ترع الورد
وأودع جسمي في ضريح من اللحد
ولكنني أفنى وبني أمل العود
طليقاً من الآمال أرسف في قيد

حياتي وإن أضحت رماداً على جلدي
ونفسي وإن طارت شعاعاً من الأسى
وإنني إذا ما الدهر فل تميمتي
لئن أضلتوا للحرب سيفاً فإني
جزى الله مرآة الأمانى فإنها
أرى فوقها شخص المحال مصوراً
تبيت معي إن ضاف أجفاني الكرى
وضعنا أمانينا بحجر من الصبا
وما عاطفات المرء إلا حديقة
إذا لمحت عيني سراياً من المنى
وإنني إذا ما الرأس جنح نمله
نعم تصبح الآمال عني بعيدة
أراني وقد رمت الحقائق طالباً

* * *

حقائق ما إن زلن مخفية عندي
سوى شبح يغوي المناظر من بُعد
بها غدت الأعلام وافرة العد
ويهتف كلُّ طالباً واضح القصد
ونعرف في أي الألداء نستهدي
مغبة جهل ضيعت مذهب الرشيد
ولا كل صوت في السما زجل الرعد
نراها وإن أمست مشققة البرد
يهون له لو رامها شرك الصيد

تقرت سفر الكون درساً فلم أبن
أصورها فوق الخيال فلا أرى
أرى شيعاً شتى وطرقاً كثيرة
يزمجر كلُّ نادباً لطريقه
حنانكم رفقا لينتشر الهدى
خذوا بيدي عن ذا الضجيج فإنه
فما كل برق ضاحك بارق الحيا
هلموا لنستجلي الحقيقة علناً
فمن عرف العنقاء أين محلها

* * *

بجملة أعماله فأبصر ما تسدي

ألا ليت عقبي الموت ترجع للذنى

فإما الشقا كيما أزوده الشقا
هرمت ولم تقطع ركابي تهامة
ولم أستلم ركن الحطيم وزمزم
عبدت إلهي لست راهب ناره
ولكن نور الحق جلى بصيرتي
وإما إلى رشد فأرغب للرشد
وما طرقت عيسى المغاور من نجد
ولم أتضرع في منى خاشعاً وحدي
ولا رغبت نفسي إلى جنة الخلد
فأيقنت أن الحكم للواحد الفرد

(٥) الحياة

أرى عمر الحياة شواظ نار
وما ليل الشباب سوى دخان
من الأجسام تكمن في زناد
وما صبح المشيب سوى رماد

